العددان
٣ و ٤

صدى القرآن

مجلة قرآنية .. ثقافية .. فصلية

العددان الثالث والرابع ـ السنة الثانية ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

- الحروف المقطعة القرآنية بين القيم التربوية والتوظيف المعجز
- أهل البيت عليهم السلام في آية المباهلة
- الحوار والجدل بين القرآن الكريم والقضية الحسينية
- تزكية النفس في القرآن الكريم
- إنسانية الخطاب القرآني مع الآخر المختلف
- المدخل اللغوي للتشريع في القرآن الكريم
- الأرض في القرآن الكريم كرة فلكية
- التنمية في القرآن الكريم
- الأنبياء في القرآن الكريم
- البيئة في المنظور القرآني
- مشاكل الفقر بين الواقع وآليات القضاء عليه
- حسن شحاته.. من هو؟

تصدر عن
دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العددان الثالث والرابع السنة الثانية

أسرة التحرير

الإشراف العام
سماحة الشيخ
عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

الإشراف الإداري
الشيخ حسن المنصوري

رئيس التحرير
أ.د. عادل نذير بيري
جامعة كربلاء

مدير التحرير
أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي
جامعة كربلاء

سكرتير التحرير
جعفر حسن علي
دار القرآن الكريم

هيئة التحرير
أ.م.د. محمد جعفر العارضي
جامعة القادسية
أ.م.د. حيدر عبد الزهرة
جامعة بغداد
م.د. فالح حسن الأسدي
جامعة بابل
م.د. انتصار راضي عليوي
جامعة الكوفة

المدقق اللغوي
أ.م.د. عبد الحسن العبودي
جامعة القادسية

ترجمة
سعد شريف طاهر

التنسيق والعلاقات
عمار رزاق الخزاعي

الإخراج الفني
محمد طاهر الموسوي

الهيئة الاستشارية

سماحة السيد فاضل الجابري
الأستاذ طلال الكمالي
الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي
الدكتور زين العابدين موسى جعفر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣

www.dar-alquran.org sadaalquran1@gmail.com

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العددان الثالث والرابع السنة الثانية

محتويات العدد

الافتتاحية ٥

أبحاث ومقالات

١ الحروف المُقطَّعة القرآنية بين القيم التربوية والتوظيف المعجز قراءة في فكر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي ٧
أ.م.د. محمد جعفر محيسن العارضي

٢ اهل البيت عليهم السلام في آية المباهلة ١٥
السيد فالح الموسوي

٣ الحوار والجدل بين القرآن الكريم والقضية الحسينية ٢٩
أ.د. عادل نذير بيري

٤ تزكية النفس في القرآن الكريم ٤٥
السيد حسين نجيب محمد

٥ إنسانية الخطاب القرآني مع الآخر المختلف ٥١
م.م علي محمد شندي

٦ المدخل اللغوي للتشريع في القرآن الكريم (آية الولاية) ٦٩
أ.د. محمد كاظم البكاء

٧ الارض في القرآن الكريم كرة فلكية ٧٥
عبد الامير المؤمن

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العددان الثالث والرابع السنة الثانية

٨ التنمية في القرآن الكريم (عرض وتحليل) ٨٥
أ.د. رياض محمد علي عودة المسعودي

٩ الأنبياء في القرآن الكَريم ٨٩
د. أسامة رشيد الصفّار

١٠ البيئة في المنظور القرآني
العلاقة بين الإنسان والبيئة في ضوء نظرية الاستخلاف ١٠١
د. سليم الجوهر

١١ مشاكل الفقر بين الواقع وآليات القضاء عليها ١١١
أ.م.د. ميثاق هاتف الفتلاوي

من هو حسن شحاته ١٢٦
أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي

لقاء وتعريف

لقاء مع الشيخ سيد متولي عبد العال ١٢٩

مبرة أهل البيت عليهم السلام ١٣٣

مرفأ قرآني ١٣٥

مشاريع قرآنية ١٣٩

معهد الإمام الحسين عليه السلام لرعاية التوحد

الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة
إنما تمثل رأي الكاتب

الافتتاحية

دعوة للقراءة ... دعوة للكتابة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين..

اما بعد

فقد وصلنا عن ابي عبد الله الحسين عليه السلام انه يقول: «من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وان ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة ، وكان خيراً له مما بين السماء الى الارض».

ربما يفهم من النص الشريف الدعوة للقراءة وحسب، ولكن القراءة الواعية هي المقصودة لان اثرها لا يزول بزوال اللفظ وانما يترجم الى تدبر ثم الى سلوك يقود الانسان الى مرتبة من مراتب الايمان التي تسعى الاديان السماوية الى تحققه؛ ولا غرابة فقد كان اول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، فهذه دعوة سماوية للقراءة الواعية التي تقود الى الكتابة الواعية.. المسؤولة.

الافتتاحية

المسؤولية هذه نتلمسها نحن – العاملين – في مجلة صدى القرآن مندفعين بما آتانا الله من قوة في السعي لان تكون هذه المجلة المباركة في مصاف المجلات القرآنية الناشطة في السعي على طريق الحقيقة الاسلامية الاصيلة ولا سيما ما يتوصل اليه عن طريق الوعي والتدبر لنخبة من الاساتيذ والباحثين الساعين إلى نشر الوعي القرآني في اكبر شريحة مجتمعية ممكنة في زمنٍ الامة فيه احوج ما تكون الى المحافظة على الهوية الاسلامية الاصيلة.

وعليه فإن مجلة صدى القرآن تدعو الباحثين والكتاب على مختلف توجهاتهم ومراكز عنايتهم بالقرآن الكريم ان يتوجهوا الينا في صدى القرآن بأفكارهم وكتاباتهم القرآنية لتجد طريقها الى النشر والتوزيع في مختلف البلدان العربية والاسلامية اعلاءً لكلمة الله جل وعلا. وتلافياً للتأخرٍ في صدور أعداد المجلة فأننا نضع بين يدي القارئ هذه المرة عدداً مزدوجاً يتضمن أبحاث العدد الثالث والعدد الرابع لنتدارك أبحاث المجلة في سنتها الأولى.

ونحن بهذه المناسبة نثمن غالياً الجهود المبذولة لكل العاملين في هيئة تحرير مجلة صدى القرآن في عدديها الأول والثاني ولا سيما جهود الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي بوصفه رئيساً للتحرير آنذاك، إذ إن له قدم سبق في خدمة الإمام الحسين عليه السلام، وفي خدمة اللغة العربية، وهي في الأصل خدمة للقرآن الكريم.

سائلين الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ على أهل القرآن وخدمته بالسداد والرشاد.

رئيس التحرير

الحروف المُقطَّعة القرآنية

بين القيم التربوية والتوظيف المعجز

قراءة في فكر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي

أ.م.د. محمد جعفر محيسن العارضي

الملخَّص :

ما يتميز به النظر الفكري عند الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (رحمة الله عليه) أنَّه يميل إلى التحليل المعنوي والروحي فيتبنَّاه في أغلب المعطيات الفكرية؛ اعتمادا على حيثيات وأدوات تتسم بالشمول والتكامل.

ومن ذلك التحليل ما يتصل بالاستعمال القرآني؛ إذ نجده يتبنى تحليلا للظهورات القرآنية يتضمن مجموعة من الأبعاد منها المادي ومنها الروحي المعمَّق.

ويتجلَّى هذا الموقف التحليلي عندما يعرض (رحمة الله عليه) توظيف «الحروف المقطَّعة» في الخطاب القرآني، وما يمكن أن يستخلص من رؤى دلالية في سياق توظيفها القرآني؛ فينتهي إلى مواقف محددة يصوغ بناءً عليها مقولاته التحليلية التفسيرية المتأملة التي لا تقف عند حدود الدلالة المتبادرة بل يتخطَّاها كثيرا إلى الإشارة الرمزية ذات المغزى التربوي والقيمي المتجذِّر الذي لا يُستغنى عنه في تكوّن منظومة البناء الإنساني بناءً تكاملياً.

لقد سعى البحث إلى بيان هذه المواقف التحليلية الرمزية من خلال مقولات الشيخ الوائلي المتعلِّقة باستعمال «ق» الحرف المقطَّع الذي استُهلَّت به السورة المباركة وكان اسماً لها.

وفي سياق هذه المقولات تستعرض آراء العلماء، ويُردّ ما كان منها يعتمد الإسرائيليات التفسيرية؛ ومن ثم يأتي استخلاص تناسب دلالي بين «الحرف المقطَّع» ومصاحباته الدلالية من مفاهيم قرآنية تتصل بالتعبير عن القرآن الكريم وأسمائه ومضامينه ... وصولا إلى تعلُّق ذلك كلّه بالتنمية الإنسانية وبناء الذات في مقاربة فكرية رمزية جديدة تحكي تفرد الاستعمال القرآني من جهة، ودقَّة التذوق وأصالته عند الشيخ الوائلي من جهة ثانية.

في منهاجيَّة المحاضرة عند الشيخ الوائلي:

الشيخ الدكتور أحمد حسون الوائلي خطيب ومفكر تجديدي وإصلاحي كبير، ولد في النجف الأشرف، ونشأ فيها نشأة علمية متكاملة.

واتخذ الشيخ الوائلي من المنبر الحسيني وسيلة لنشر أفكاره الإصلاحية الإنسانية العامة التي لا تقتصر على مجتمع بعينه. له محاضرات كثيرة في الأخلاق وبناء المجتمع والأسرة، والعقيدة وقضايا الإسلام المعاصرة، وتجسيد مفهوم العدل الاجتماعي[١].

كان يقيم محاضرته المنبرية على أساس قرآني، إذ يبدأ محاضرته بآية قرآنية كريمة. وهذا الضابط المنهجي الرائد دعاه إلى أن يتوسع في علم التفسير وآراء المفسرين[٢]. وأخذ يعرض من خلال هذه الآية المباركة أو تلك لبحثه التفصيلي في مضامينها ليتنقل بين مقارباته الفكرية والاجتماعية والتربوية وبما ينسجم مع مضمون الآية محل البحث.

لقد «كان بمحاضراته يهزّ عروش الظلمة والملحدين ويسفِّه آراء كل الناصبين العداء لأهل البيت عليهم السلام بأسلوب علمي دقيق»[٣]، ينسجم مع مشروعه في تجديد المنبر الحسيني وصولاً إلى «المنبر الموهوب» المتضمِّن جميع الوسائل الحضارية والمعرفية التي ينبغي أن ينشرها المنبر في هذا العصر[٤]، ليوظفها في بناء الإنسان[٥]. معتمدا الروح القرآني في ترسيخ أسس هذا البناء .

في الحروف المُقطَّعة وتوظيفها القرآني :

كثيراً ما نجد الدكتور الوائلي رحمة الله عليه يذكر مقولات تؤكِّد حقيقة الإعجاز القرآني، وهو يجعل الحيثيات اللغوية منطلقاً فكرياً لها. ومن ذلك وقفته مع « الحروف المقطَّعة» خلال محاضرة له تناول فيها «القرآن والإنسان» من خلال قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[٦]. ويمكن التعاطي مع مقولاته[٧] في هذا السياق وفي «الحروف المقطَّعة» عموما في ضوء لحاظات متعددة تتكفَّل الفقرات الآتية ببيانها :

١ - «الحروف المُقطَّعة» بين العبادة والقسم:

استعمل القرآن الكريم «الحروف المقطَّعة» أو «فواتح السور» على هيئات متنوعة، فمنها ما كان على حرف واحد: ﴿صٓ﴾[٨]، و﴿قٓ﴾[٩]، و ﴿نٓ﴾[١٠]. ومنها ما كان على حرفين : ﴿طه﴾[١١]، و﴿طسٓ﴾[١٢]، و ﴿يسٓ﴾[١٣]، و ﴿حمٓ﴾[١٤]. ومنها ما كان على ثلاثة أحرف : ﴿الٓمٓ﴾[١٥]، و ﴿الٓرٰ﴾[١٦]، و﴿طسٓمٓ﴾[١٧]. ومنها ما كان على أربعة أحرف: ﴿الٓمٓصٓ﴾[١٨]، و﴿الٓمٓرٰ﴾[١٩]. ومنها ما كان على خمسة أحرف : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٢٠]، و ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾[٢١]. وقد يكون هذا الاستعمال المتنوع يدلل على أنَّ القرآن الكريم يريد أن يسلك بها مسلك العرب في أساليب كلامهم[٢٢].

إنَّ العبادات تنقسم على ثلاثة أقسام هي: العبادات اللسانية، والعبادات الجارحيَّة، والعبادات القلبيَّة. ويأتي كل من هذه العبادات على نحوين، هما: العبادة المتعقَّلة، والعبادة غير المتعقَّلة[٢٣].

ويعنينا في هذا البحث من أقسام العبادات العبادة اللسانية، التي تتمثَّل المعتقَلَة منها في قراءة القرآن الكريم، والأدعية، والأذكار إذ يفهم الإنسان ويعقل غرضها. وهذا معنى كونها متعقَّلَة.

أمَّا العبادات اللسانية غير المتعقَّلَة فتتمثَّل في «الحروف المقطَّعة» القرآنية التي تُقرأ ولا يُفهم منها المراد الحقيقي، على الرغم من ضرورة الاعتقاد بها، والتعبّد بقراءتها؛ فإنَّ مغازيها الحقيقيَّة والواقعية تبقى سرًا على العقل الإنساني[٢٤].

ولعلَّ «السر في وجود مثل هذه العبادات غير المتعقَّلَة ... يمكن أن يُقال فيه إنَّ القرآن الكريم بهذه التكليفات غي المتعقَّلَة يريد أن يضع الإنسان في إطاره الحقيقي، وأن يُبيِّن له حجمه الواقعي ومحدوديته. بمعنى أنَّه يريد أن يقول لنا : إنَّ العقل البشري عقل محدود قاصر عن أن يتصوَّر كلَّ شيء أو يفهم كلّ شيء، وعليه أن يعتقد بأنَّه ذو قابلية محدودة في فهم الأشياء وبيان حقيقتها، وأنَّ هذا الأمر موكول إلى الله جلَّ وعلا»[٢٥].

و يخلص الشيخ الوائلي إلى أنَّ «المسألة هي مسألة تربوية يريد القرآن الكريم هنا أن نتبناها ونُذعن لله جلَّ وعلا بها وأن يعوِّدنا عليها فنعتقد اعتقادًا مطلقًا وكاملاً أنَّ عقولنا قاصرة عن فهم كثير من الأشياء»[٢٦].

و قد يكون استعمال هذه الفواتح يأتي ليحقق ما يشبه « الجذبات الروحية» التي تدخل في صلب فكرة الإعجاز القرآني وتنص على حقيقته وتؤكِّدها[٢٧].

و جاء استعمال «الحروف المقطَّعة» على نحو من القسم القرآني[٢٨] ؛ لغرض تحقيق هدف يتساوق مع ما ذُكر من محدوديَّة العقل الإنساني، والتعبد بما لا يُتعقَّل؛ فإنَّ الخطاب القرآني «إذا أقسم بالحرف فإنَّ الذهن حينئذ يتوقَّف عن الانصراف إلى معنى محدد، لأنَّ هذا الحرف ليس له معنى قائم في نفسه. وبهذا نعرف أنَّ القسم إنَّما وقع بهذه الحروف، لأنَّ الله جلَّ وعلا يريد أن يمجِّد أصل القرآن الكريم، لأنَّ هذه الحروف المادية هي أصل القرآن، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يكرِّم القرآن بتكريمها، ويمجِّده بتمجيدها، ويجعلها موضع تكريمه وتعظيمه حيث إنَّه تعالى أقسم بها، وهو جلَّ وعلا لا يُقسم إلا بعظيم وإن رأيناه نحن غير ذلك»[٢٩].

وعلى الرغم من أنَّ العلماء قد ذكروا هذا الرأي، غير أنَّ واحداً منهم لم يرق إلى الفضاء القيمي لتوظيف «الحروف المقطَّعة» المتضمن الإشارة التربوية التي وقف عليها الشيخ الدكتور الوائلي متوخياً أثرها في خلق إنسان يعي مقدراته وإمكاناته، فيسعى للعمل والحياة في ضوء منها.

٢ - في «ق» ودلالاتها :

تنوعت الآراء في معنى «ق» الحرف المقطَّع في سياق السورة المباركة بلغت أحد عشر رأياً، ولا دليل على صحتها[٣٠]. فهو جبل محيط بالأرض، تقع عليه أطراف السماء[٣١]. وأقل ما يقال في هذا الرأي إنَّه من الإسرائيليات التفسيرية[٣٢].

وقيل فيه إنَّه اسم من أسمائه تعالى، أو اسم من أسماء القرآن. وقيل أيضا إنَّه بمعنى قف، وغير ذلك[٣٣].

أو هو اسم فاعل مأخوذ من الاقتفاء؛ فيكون معناه «أنَّ هذا القرآن قاف لجميع الأشياء بالكشف»[٣٤]. وأجد الدكتور الوائلي يصعد بهذا

الرأي وصولا إلى مقاربته نحو الفكرة التربوية الكمالية للإنسان؛ إذ «إنَّ هذه الكلمة تعني الكثير الكثير من موارد حفظ كرامة الإنسان، لأنَّها كما قلنا اسم فاعل بمعنى كاشف، والقرآن يكشف لنا كلَّ الوسائل التي تخدم في عمليَّة بناء المجتمع، وتثبِّت دعائمه، ولا يترك وسيلة دون أن يوظفها في سبيل تحقيق هذا الهدف، فكل ما يخدم تحقيق هذا الهدف يضعه بين أيدي الناس، كي يستفيدوا منه في تحقيق هذه العمليَّة الاجتماعية»[٣٥].

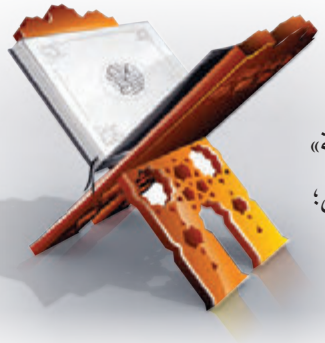

٣-«الحروف المقطَّعة» والوظيفة الإعجازيَّة:

لا شكَّ في أنَّ « الحروف المقطَّعة» مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني؛ ولا سيما أنَّها مرتبطة بالتحدي[٣٦].

ومن المناسب في هذا السياق أن نقف على ما تنبَّه إليه الدكتور الوائلي من التلازم بين استعمال طائفة من «الحروف المقطَّعة» ومجموعة من المفاهيم. يقول: «إنَّنا نلاحظ عليها أنَّها تأتي بعدها كلمة «القرآن» أو كلمة «تنزيل»، أو كلمة «الكتاب». فمثلاً يقول تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [٣٧]، و﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [٣٨]، و﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [٣٩]. وهذا يقودنا إلى قاعدة عامة هي أنَّ هذه الحروف المقطَّعة إذا جاءت في أوائل السور فإنَّها دائما تعقب بكلمة «القرآن»، أو بكلمة لها معنى القرآن»[٤٠]. ومن الملاحظ أنَّ الإشارة إلى هذا مثل هذا التلازم تأتي لتؤكد علاقة هذه الحروف بحقيقة إنزال الكتاب من السماء[٤١].

وهذه الوقفة تُعمِّق التحليل الرمزي من خلال النظر في التلازم الدلالي بين «الحروف المقطَّعة» وهذه المفاهيم التي تشترك في دلالتها العامة على القرآن الكريم، ولكنَّها تدل عليه مرة بلحاظ قراءته، ومرة بلحاظ تنزيله، ومرة بلحاظ جمعه. وهذا كله لا يكون بمعزل عن اللفت إلى مضامينه. ومن ثم يستجمع إعجازه كله .

هكذا تأتي مقولات الشيخ الدكتور الوائلي وقد استندت إلى رؤى فكرية معمَّقة محفوفة بنظر تربوي وتأمل مجتمعي يتساوق مع المنظومة القرآنية من جهة، ويكرِّس النظر التربوي والمجتمعي الذي يسعى إليه عميد المنبر الحسيني في طروحاته ومحاضرته .

وإذا صحَّت فكرة أنَّ «ما يقترب بالكلام على «الحروف المقطَّعة» من الفكرية أنَّها تقابل الفكرة القرآنية في الوجود بين التفكيك (الإنسان ــ الحواس) والتشكيل (الإنسان ــ العقل)»[٤٢]. فإنَّ في مقولات الشيخ الوائلي ما يمثِّل مصداقاً من مصاديق هذه الثنائية الفكرية بين العقل الإنساني ومعطيات الكون تصاغراً واتساعاً.

الهوامش

١- ينظر. تجاربي مع المنبر، الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص ٦٥ - ٦٦ .

٢- ينظر. تجاربي مع المنبر، ص١١٢ ــ ١١٥ .

٣- المجالس الحسينية لخادم العترة النبوية الدكتور

الشيخ أحمد الوائلي، مركز الإمام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت٢٠٠٨، ص٨.

٤- ينظر. تجاربي مع المنبر، ص ٢٩ ــ ٣٠، الشيخ أحمد الوائلي ونجفياته في الشعر والأدب والتأريخ والخطابة، د. حسن عيسى الحكيم، مطبعة الغري الحديثة، العراق، النجف الأشرف ٢٠٠٦، ص ٨ .

٥- ينظر. تجاربي مع المنبر، ص ١١٨ .

٦- ق : ١ .

٧- بعد أن شاركت في مؤتمر السيد هبة الدين الشهرستاني بالبحث الموسوم « الحروف المقطَّعة في فكر السيد هبة الدين الشهرستاني من خلال كتابه المعجزة الخالدة »، وبينما كنت استمع لمحاضرات الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمة الله عليه وجدت أنَّ للشيخ الدكتور الوائلي نظرا فكريا تربويا في « الحروف المقطَّعة » أيضا. ورحت أقرأ في المصادر التي حوت تراثه وفكره فتطلَّعت للكتابة في وظيفة هذه الحروف عنده؛ فكان هذا البحث الذي يتكلَّم على فكرة مختلفة عمَّا كان عند السيد الشهرستاني. غير أنَّ المهاد النظري للبحثين جاء متقاربا؛ لذا اقتضى التنويه .

٨ - في : ص : ١ .

٩- في : ق : ١ .

١٠- في : القلم : ١ .

١١- في : طه : ١ .

١٢- في : النمل .

١٣- في يس : ١ .

١٤- في: غافر:١، فصلت :١، الدخان :١، الجاثية:١، الأحقاف:١.

١٥- في : البقرة : ١، آل عمران : ١، العنكبوت : ١، الروم : ١، لقمان : ١، السجدة : ١ .

١٦- في : يونس : ١، هود : ١، يوسف : ١، إبراهيم: ١، الحجر:١.

١٧- في : الشعراء : ١، القصص : ١.

١٨- في : الأعراف : ١.

١٩- في : الرعد : ١.

٢٠- في : مريم : ١.

٢١- في : الشورى : ١ــ٢.

٢٢- ينظر. الكشاف، جار الله الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ص ١ / ١٠٥.

٢٣- ينظر. روائع محاضرات الوائلي، مركز الإمام الحسن للتحقيق والدراسات، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣٧٧ ــ ٣٨٢.

٢٤- ينظر. روائع محاضرات الوائلي، ص ٣٧٧ ــ ٣٨٢ .

٢٥- روائع محاضرات الوائلي، ص ٣٨١ .

٢٦- روائع محاضرات الوائلي، ص ٣٨٤ .

٢٧- ينظر. المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الشهرستاني، ط٢، مطبعة المعارف، العراق، بغداد ١٩٥١، ص ٩٠ - ٩٢.

٢٨- ينظر. تفسير جوامع الجامع، الشيخ أبو علي الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم ١٤٢٣، ص ١ / ٦١، فهم القرآن ـــ دراسة على ضوء المدرسة السلوكية، جواد علي كسار، ط١، مطبعة مؤسسة العروج، إيران ١٤٢٤ هـــ، ص ٥٠٥ .

٢٩- روائع محاضرات الوائلي ٣٨٦ .

٣٠- ينظر. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، المملكة العربية السعودية، ص ٨ / ١٢٠ .

٣١- ينظر. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢/١٧.

٣٢- ينظر. روائع محاضرات الوائلي ٣٨٩ .

٣٣- ينظر. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧ / ٢ - ٣، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ٢٠٠٧، ص ٣ / ٢٣ ـــ ٢٤.

٣٤- روائع محاضرات الوائلي ٣٩٤ .

٣٥- روائع محاضرات الوائلي ٤٠٢ .

٣٦- ينظر. مراجعات قرآنية ـــ أسئلة شبهات وردود، السيد رياض الحكيم، ط١، دار الهلال، العراق، النجف الأشرف ٢٠٠٥، ص ١٥ .

٣٧- ص : ١ .

٣٨- ق : ١ .

٣٩- البقرة : ١ - ٢.

٤٠- روائع محاضرات الوائلي ٣٨٧ .

٤١- ينظر. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ط١، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، العراق، النجف الأشرف ٢٠٠٥، ص ٥٠٦ - ٥١٤.

٤٢- انفتاح الدلالة القرآنية - مقاربة فكرية في التفسير الموضوعي والخطاب الحضاري، د. محمد جعفر محيسن العارضي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية ـــ كلية الآداب، المجلد ٩، العددان ٣، ٤، لسنة ٢٠٠٦، ص ٩٤ .

اللهم صل على محمد وآل محمد

أهل البيت عليهم السلام
في آية المباهلة
بين القيم التربوية والتوظيف المعجز

السيد فالح الموسوي

المبحث الاول

لا شك في أن الخطاب يتشكل من الارضية الثقافية لقائله، هذا اذا ما سلمنا أن اللغة مكتسب اجتماعي يلتقطه الفرد من الواقع المحيط، وهنا يشير الكاتب الى حضور آيات القرآن الكريم في الخطاب الحسيني طيلة حياته ولا عجب في ذلك ما دام قد تربى في حجر النبوة وشهد نزول بيان ربه، يجتهد الكتاب عبر هذا المقال في ارجاع غالبية المفردات والعبارات الواردة على لسان الامام الحسين عليه السلام الى اصلها القرآني.

في بيان حادثة المباهلة

لم تكن حادثة المباهلة بتفاصيلها الدقيقة مما تتفرد بنقله مصادر الشيعة الامامية، بل تناقلتها المصادر السنية بكل تفاصيلها وجزئياتها، فقد ذكرت المصادر التاريخية والحديثية من الطوائف الاسلامية المختلفة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـــ في فتح مكة ـــ كتب كتاباً الى نصارى نجران يدعوهم فيه الى الاسلام، وقد جاء فيه (بسم الله من محمد رسول الله الى اسقفة نجران بسم الله فأني أحمد اليكم اله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أما بعد ذلكم فأني أدعوكم الى عبادة الله من بعد عبادة العباد، وأدعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد، فأن أبيتم فالجزية، وأن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام).[1]

فتداول النصارى أمرهم، وتدارسوا كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد هالهم ما سمعوه من انتشار الاسلام واتساع الدعوة الاسلامية في ربوع الجزيرة العربية وادركوا أن عوامل الخطر قد احاطت بنجران، فأجتمع رأيهم على ان يبعثوا وفداً من أهل الرأي والرجاحة مقابل النبي الجديد والوقوف على مجريات الاحداث عن كثب، فتجهز وفدهم، وكانوا ستين راكباً[2]، يرجع امرهم الى

ثلاثة منهم: العاقب واسمه عبد المسيح وسيد وهو الايهم، وابو حارثة بن علقمة. واقبلوا حتى اقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، فلما حانت الصلاة، ضربوا ناقوسهم في المسجد وصلوا الى جهة المشرق فأراد الناس منعهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[٣] وأمهلهم النبي صلى الله عليه وآله ثلاثاً، فلم يدعهم ولم يسألوه، لينظروا الى هدية ويعدوا ما يشاهدون منه مما يجدون من صفته، فلما كان بعد ثلاث دعاهم الى الاسلام، فاخذوا يدارسون امر المسيح عليه السلام وقال ابو حارثة: يا محمد! ما تقول في المسيح؟[٤] فقال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى اخبركم بما يقول الله في عيسى.[٥]

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[٦] فقال: هو عبد الله ورسوله[٧]، يا محمد، فيمَ تشتم صاحبنا؟! وقال: مَن صاحبكم؟! قال: عيسى بن مريم، تزعم انه عبد. قال: (أجل انه عبد الله وروحه ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٨] فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها، فأرانا قدرته وامره فهل رأيت قط انساناً خُلِقَ من غير أب؟[٩] فأنزل الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[١٠] فأبوا ان يقروا. فأمر تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله بمباهلتهم، وانزل في ذلك: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١١] فرضوا بمباهلته، وقالوا: أخرِّنا ثلاثة أيام، فلما رجعوا الى منازلهم، قال رؤساؤهم: السيد، والعاقب والايهم : إن باهلنا بقومه باهلناه: فأنه ليس نبياً، وإن باهلناه بأهل بيته خاصة فلن نباهله، فأنه لا يقدم على أهل بيته إلاّ وهو صادق.

فلما انقضت المدَّةُ دعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وخرج آخذاً بيد الحسن والحسين، تتبعه فاطمة وعلىّ بن ابي طالب بين يديه[١٢] وهو يقول: (إن أنا دعوت فأمّنوا أنتم) [١٣] وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحليّ وقد حفوا بأبي حارثة. فقال ابو حارثة: مَن هؤلاءِ معه؟ قالوا: هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناها. فجثا رسول الله صلى الله عليه وآله على ركبتيه ثم ركع.[١٤]

فقال ابو حارثة: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة. فقال: اني ارى رجلاً حريّاً على المباهلة، واني اخاف ان يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يُطعَم الطعام.[١٥] وقال اسقفهم: يا معشر النصارى، اني لأرى وجوهاً لو دعت الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى في وجه لأرض نصراني إلى يوم القيامة،[١٦] فقال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك ولكنا نعطيك الجزية. فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على ألفي حلة من حلل الأواقي، قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك.[١٧] روي أنه صلى الله عليه وآله قال: (لو فعلوا (لاعنوا) لأضرم عليهم الوادي ناراً).[١٨]

والذي أوردناه متفق عليه بأرباب السير ونقل الأخبار، لا ينكره أحد من المخالفين، كيف وقد أخرجه أئمة الحفاظ من أهل السنة معترفين

بصحته، روى مسلم وأحمد بن حنبل والترمذي في صحاحهم مصرحين بصحته: عن عامر بن سعد أبن أبي وقاص عن أبيه قال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبه، لان تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم... لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي...[١٩]

المبحث الثاني: معطيات آية المباهلة وبعض دلالاتها:

تبين هنا أن لا خلاف بين المسلمين بمختلف مذاهبهم واختلاف مشاربهم أن الذين أخرجهم النبي صلى الله عليه وآله للمباهلة هم علي وفاطمة والحسن والحسين لا غير، فالآية من خصائص أهل البيت لا يشاركهم فيها أحد من هذه الأمة، ولنأتي إلى بيان بعض معطياتها ودلالاتها:

أولاً: دلالاتها على الأفضلية المطلقة

لأصحاب الكساء: أن أهم ما يمكن أن يستفاد من آية المباهلة هو التأكيد على المقام العالي والمنزلة الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي صرحت به الروايات الكثيرة عن قديس الرسالة الأكرم صلى الله عليه وآله: وأن اختيارهم للمباهلة ما كان عن أمر النبي صلى الله عليه وآله بل أمر مباشر من الله تعالى، كما أثبتت ذلك مصادر أهل السنة. روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن أبي رياح مولى أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله (ولو علم الله تعالى أن في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني (في) أن أباهل بهم، لكن أمرني في المباهلة مع هؤلاء، وهم أفضل الخلق، فغلبت بهم (اليهود والنصارى).[٢٠]

وفي الحديث تصريح بأمرين هما أعظم ما خص الله أهل بيت النبوة عليهم السلام: أولهما: التأكيد على أن اختيار أهل البيت عليهم السلام للمباهلة إنما كان بأمر الله تعالى، ومن الواضح جداً أن الاختيار الالهي لم يكن الا بملاكات خاصة، يفتقر إليها غيرهم، ولهذا لم يخرج النبي غير فاطمة من النساء على الرغم من أن الخطاب القرآني جاء بلفظ (نسائكم) الذي ينصرف ظاهرا للنساء، وليس (بناتكم)، إذ لا يصلح لمضاهاة هؤلاء إلا الزهراء عليها السلام والثاني أن هذه الصفوة الطاهرة هي أفضل الخلق، وأكرمهم عند الله تعالى.

ولعل القارئ لا يجد تصويراً لسمو فضلهم، وتصريحاً بعلو قدرهم، ادق واصدق من هذا التصوير المعلن برفيع مكانتهم وكبير قدرهم وسمو منزلتهم وجليل فضلهم.

وإن هذا التعبير يخلق في النفس صوراً شتى من القيم المثالية التي تعبر عن مكانتهم الرفيعة في المجتمع الروحاني الاقدس وهذا هو الشرف العظيم الذي تطمئن اليه الرقاب نجوعاً، ولهذا الحديث منشآت عالية في النفوس، فهو يجعل الانسان امام صور من قدس النفس وعظيم المنزلة، ومن خلاله يقطع الانسان ما لهؤلاء من الفضلِ والكرامةِ عند الله تعالى، وانه ليس احد اكرم عليه منهم، ويقف على الصورةِ المثاليةِ الرفيعة لهذه الثلة الطاهرة، التي ارتقت في سلم الكمال حتى ارتفعت عن كل تفكير، وبحسب الناظر في هذا الحديث وغيره

من الاحاديث الصحيحة، المتمعن في جليل معناها وعمق مغزاها ان يثبت لهم اعلى درجة الكمال.

ويؤيد ذلك التصريح جماعة كثيرة من علماء أهل السنة بدلالة الحديث على ما قلناه من الفضل وسمو المنزلة، قال الزمخشري: (وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام).[٢١]

ويعضده ما اورده الثعلبي، والفخر الرازي، والبغوي، والنسفي، وابو السعود، والالوسي، وابن مردوية الأصفهاني، والمباركفوري وغيرهم من كلام أسقف نجران حينما قال: (اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيلوا جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة).[٢٢]

ثانياً: دلالتها على افضلية علي عليه السلام على جميع آحاد الامة:

مَن ابرز معطيات آية المباهلة ودلالتها اثبات افضلية علي عليه السلام على جميع آحاد هذه الامة: لان الله تعالى جعله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وليس في عالم الامكان اشرف ولا اقدس ولا افضل من رسول الله صلى الله عليه وآله والذي يدل عليه العديد من الامور:

الامر الاول:

ان الله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يدعو من المسلمين الابناء والنساء والانفس، معلوم باجتماع المسلمين قاطبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله انما دعاء الحسنين واباهما وامهما عليهم السلام ولم يدع غيرهم، فأنصرف دعاء الابناء الى الحسنين عليهما السلام والنساء الى فاطمة عليها السلام والانفس الى علي عليه السلام لأنه لا يصح في العرف ان يدعو الانسان نفسه، كما لا يصح في مقام الامر ان يأمر نفسه، وقد قال الفخر الرازي ــ ناقلاً كلام ابي الحسن البصري في المحصول مستحسناً له ــ ما خلاصته (لو امر الانسان نفسه فقال: افعل كذا، فهل يدخل ذلك حول الامر فيسمى امراً؟ قال: والحق انه لا يسمى به: لان الاستعلاء معتبر في الامر وذلك لا يتحقق إلاّ بين شخصين). ثم تساءل قائلاً (ان ذلك هل يحسن ام لا؟ فأجاب بقوله: والحق انه لا يحسن لأن الفائدة من الآمر اعلام الغير كونه طالباً لذلك الفعل، ولا فائدة في اعلام الرجل نفسه ما في قلبه).[٢٣]

الامر الثاني:

اذا كان المراد من الانفس نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يصح لرسول الله صلى الله عليه وآله إخراج علي عليه السلام للمباهلة،

بل يكون إخراجه متكلفاً: لأنه ــ بناءً على هذا الاحتمال ــ قد خرج بنفسه ومعه الابناء والنساء وانتهى كل شيء، ولكن بطلان هذا الرأي وفساده معلوم بالبداهة: لامتناع التكلف على النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن القائل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٢٤]، سيما وقد قام الدليل القطعي على ان من اخرجهم النبي صلى الله عليه وآله للمباهلة كان بأمر رباني واختيار الهي، كما اوضحنا ذلك سابقاً، ويضاف الى ذلك، ان اجماع المسلمين على عصمة النبي صلى الله عليه وآله عن الخطأ في التبليغ يبطل هذا الاحتمال.

ثالثاً: دلالتها على المساواة بين علي والنبي صلى الله عليه وآله في بعض الوجوه:

ومن اهم الدلالات الظاهرة لهذه الآية المباركة التصريح بأن علياً عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس المراد منها العينية الحقيقية والتوحد الخارجي، اي ان نفس علي عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله بل المراد ان هذه النفس مثل تلك النفس، وظاهر ذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه، غير اننا تركنا العمل بعموم المساواة بحق النبوة وفي حق الفضل وغيرها مما يعد من خصائص النبوة للدليل القاطع بأن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله افضل من علي عليه السلام، فبقي ما عدا تلك الخصائص معمولاً به، وذلك يؤكد ان امير المؤمنين عليه السلام بلغ من قدسية الذات وسمو المنزلة وطهارة النفس ونقاء السريرة أن صار بمنزلة نفس الرسول الله صلى الله عليه وآله، ويؤيد ذلك تصريح النبي صلى الله عليه وآله بأنه نفسه، في العديد من المواطن، كما نصت على ذلك الروايات المعتبرة عند اهل السنة، منها على سبيل المثال لا الحصر: ما اخرجه الحافظ ابن مردويه والخوارزمي، ان عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يذكر علياً عليه السلام، فقالت: لم تقل في علي شيئاً؟ قال: (علي نفسي، فمن رأيته يقول في نفسه شيئاً). [٢٥]

ومنها ما اخرجه النسائي، وابن ابي شيبة، وابو يعلى الموصلي، والزيلعي، الهيثمي ــ واللفظ له ــ عن عبد الرحمن بن عوف، قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة، انصرف الى الطائف، فحاصرها سبع عشرة او تسع عشرة، ثم قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال: (اوصيكم بعترتي خيراً، وان موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة، ولتؤتين الزكاة، او لابعثن اليكم رجلاً مني او كنفسي، يضرب اعناقكم، ثم اخذ بيد علي فقال: هذا). [٢٦]

وفي لفظ ابن ابي الحديد المعتزلي، ان النبي صلى الله عليه وآله قال لهم (لتنتهين يا بني وليعة، او لا بعثن عليكم رجلاً عديل نفسي)قال القندوزي الحنفي (هذه خصوصية لا يتقدمهم فيها احد، وفضل لا يلحقهم فيهِ بشر، وشرف لا يسبقهم اليهِ خلق، اذا جعل نفس علي عليه السلام كنفسه). [٢٨]

اقول: وهذه الروايات والكلمات من اعلام اهل السنة تؤكد ان هذه الخلعة الربانية، والمنحة الوحدانية، من اجل ما منّ الله تعالى بهِ على امير المؤمنين عليه السلام، مما يفوق بهِ العالمين سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وفيها من الدلالة على التفضيل ما لا يحتاج الى دليل. وهذا ما اكدته النصوص الكثيرة عند اهل السنة، ومنها:

١- اخرج البخاري في صحيحهِ، والبيهقي، والصنعاني، وابن ابي شيبة، والنسائي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام: (انت مني وانا منك). [٢٩]

٢- اخرج احمد بن حنبل، والهيثمي، وابن عساكر، والمتقي الهندي، والمناوي، عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وآله (لا تقع في علي، فانه مني وانا منه، وهو وليكم بعدي).[٣٠]

٣- اخرج ابن ماجة، ابن ابي شيبة، والضحاك، وابن ابي عاصم، وابن المغازلي، عن الحبشي بن جنادة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (علي مني وانا منه، ولا يؤدّي عنّي الا علي).[٣١]

٤- روى ابن حجر الهيثمي، ومحب الدين الطبري، والخضرمي، عن ابي بكر قوله: ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله يقول فيه (علي مني كمنزلتي من ربي)[٣٢]. وفي لفظ ابن الدمشقي (لم اكن لأتقدم رجلاً سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : هو بمنزلتي من ربِّي).[٣٣]

رابعاً: دلالتها على افضلية علي عليه السلام على الانبياء عليهم السلام

ومن اهم دلالات آية المباهلة افضلية امير المؤمنين عليه السلام على جميع الخلق بمن فيهم الانبياء عليهم السلام، ذلك بأن الاجتماع دل على أن النبي صلى الله عليه وآله افضل الانبياء عليهم السلام، ودلت الاخبار الصحيحة على ان منزلة امير المؤمنين عليه السلام كمنزلة النبي صلى الله عليه وآله، ما عدا خصائص النبي صلى الله عليه وآله فيلزم ان يكون علي عليه السلام افضل من سائر الانبياء عليهم السلام ، وهذا مؤدى الآية صراحة.

ويؤيد ذلك اخبار كثيرةٌ طفحت بها المصادر الحديثة من الطوائف الاسلامية المختلفة، منها ما اخرجه الحافظُ ابن مردويه الاصفهاني، والخطيب الخوارزمي، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يذكر علياً عليه السلام فقالت: لم تقل في علي شيئاً؟ قال: (علي نفسي، فمن رأيته يقول في نفسه شيئاً).[٣٤]

ومنها: ما روي عن حذيفة، وقد سُئل عن علي عليه السلام فقال: (خير هذه الامة بعد نبيها، ولا يشك فيه إلا منافق).[٣٥] ومنها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: (من اراد ان ينظر الى ادم في علمه، ونوح في فهمه، وابراهيم في حلمه، ويحيى في زهده، وموسى في بطشه، (وعيسى في صفوته) فلينظر الى علي بن ابي طالب).[٣٦]

وقد دلَّ الخبر الاول على اثبات انه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، والثاني على افضليته على احاد الأمة قاطبة، والثالث نظير الثاني في الدلالة، والرابع دل على اجتماع فيه ما تفرّق في الانبياء، ولا يخفى ان ذلك بمجموعه يدل على افضليته على جميع الانبياء عليهم السلام سوى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله. وقد اخرج الحافظ ابن مردويه، وابن عساكر،

والمتقي الهندي، والقندوزي وغيرهم، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (علي خير البشر، من ابى فقد كفر).[٣٧]

خامساً: دلالة الآية على امامة علي عليه السلام :

من اهم معطيات اية المباهلة: التدليل على امامة امير المؤمنين عليه السلام، وقد استدل الائمة الاطهار عليهم السلام على ذلك بقوله: (وأنفسنا)، وان اول من استدل بها على الامامة امير المؤمنين عليه السلام نفسه، كما اورده ابن حجر الهيثمي والقندوزي عن الدارقطني، وغيرهما من المصادر السنية التي اكدت انه عليه السلام احتج يوم الشورى بالآية على امامته، من غير ان يُنْكَرَ عليه ذلك[٣٨]، وذلك بأن الآية المباركة اثبتت لعلي مزايا النبي صلى الله عليه وآله، عدا ما خرج منها بالأجماع كالنبوة فأنه لا نبي بعده، وبقي ما عداه من مزايا النبي صلى الله عليه وآله، كالعصمة لكونه افضل الخلائق على الاطلاق وكونه اولى بالمؤمنين من انفسهم، فعلي عليه السلام اولى بهم كذلك، وهو دليل امامته.

ويمكن الاستدلال على امامته بالآية بوجه اخر، وهو: أن القرآن جعل عليا عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس المراد من النفسية حقيقة الاتحاد، بل المراد المساواة فيما يمكن المساواة فيه من الفضائل والكمالات، لأنه اقرب المعاني المجازية الى المعنى الحقيقي، فيُحمل عليها عند تعذر الحقيقة على ما هو منقح في القواعد الاصولية، ولا شك ان النبي صلى الله عليه وآله افضل الناس اتفاقاً ومساوي الافضل افضل، فيقبح تقديم غيره عليه بالإمامة عقلاً، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.[٣٩]

نعم يتوقف الاستدلال بالآية على امامته عليه السلام على ثبوت امرين:

الامر الاول:

نزول الآية بشأن اهل البيت عليهم السلام : وهذا امر مشهور بين اهل العلم بالأخبار، ولشهرته وذيوع صيته بين العامة والعامة أنكر على الشعبي تعمد تركه، واتهامه بمداراة بني امية، قال الطبري بأسناده عن جرير، قال: فقلت للمغيرة:

(ان الناس يروون في حديث اهل نجران ان علي كان معهم! فقال: اما الشعبي فلم يذكره، فلا ادري لسوء بني امية في علي، او لم يكن في الحديث؟).[٤٠]

اقول: وكلامه في مداراة الشعبي لنبي امية صحيح، ومع ذلك فأنه صرح بنزول الآية بشأن اهل البيت عليهم السلام، وان المراد بقوله: (وأنفسنا) هو علي لا غير، كما اثبته المصادر الحديثية السنية[٤١] عند جمهور المسلمين، وعلى كل حال فالرواية بحضور علي عليه السلام يوم المباهلة مشهورة متواترة، وعدم ايرادها من قبل بعض المؤرخين لم يكن بسبب من وجودها، بل بسبب ميولهم الاموية، لذا قال الحاكم النيسابوري: (وقد تواترت الاخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره: ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم....).[٤٢]

والامر الثاني:

كون علي عليه السلام هو المراد بقوله: (وانفسنا): وقد اثبتنا ذلك اعتماداً على مصادر اهل السنة واوردنا نماذج من كلماتهم كقول الأمام الحافظ المبارك

فوري في تحفه الاحوذي بشرح جامع الترمذي والقاري في شرح المشكاة: (دعا رسول الله (علياً) فنزّله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والاخوَّةِ...)[٤٣]، وهكذا قال غيره من اعلام اهل السنة.

وعليه فالاستدلال بالآية على امامة علي عليه السلام واضح ولا يخالف فيه الا معاند او صاحب عصبية او هوى.

سادساً: دلالتها على بنوة الحسنين عليهما السلام:

وثمة شيء اخر هو من اهم معطيات اية المباهلة: اعني تصريحها ببنوة الحسن والحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الفخر الرازي: (هذه الآية دالة على ان الحسن والحسين كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وعد ان يدعو ابناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب ان يكونا ابنيه، ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الانعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾[٤٤]،الى قوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[٤٥]، ومعلوم ان عيسى عليه السلام انما انتسب الى ابراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب فثبت ان ابن البنت قد يسمى ابناً[٤٦]، واقول: ان كلامه الاخير: (ان ابن البنت قد يسمى ابناً)، لم يمكن يطرد عرفاً في جميع ابناء البنات بل هو خاص بالحسن والحسين، وقد تنبه الى ذلك فقال: (قد يسمى)، و(قد) تحقيقه، ولكنها تفيد التقليل اذا ادخلت على المضارع).

سابعاً: دلالاتها على افضلية الزهراء عليها السلام على نساء الأمة قاطبة:

إن هذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة تلقي الضوء على افضلية الزهراء عليها السلام، ويكاد ان يعتقد كل منصف انه لا يجد في نساء المسلمين من يشاركها في فضلها، وبوضوح ترسم لنا الواناً من السمو، وتحتفل بضروب من العظمة، وهي بمجموعها تمثل لنا صورة من المنزلة العالية والمقام الرفيع عند الله تعالى لفاطمة عليها السلام وهذه المثالية خرجت من حدود المقاييس والموازين، لتلك الانوثة الطاهرة.

وليس هناك ما يمنعها من هذه المثالية وقد خرجت من بيت الذي بزخ منه نور الدعوة الاسلامية بما تحويه من القيم والمثل، وسارت في الطريق الذي يسير فيه القرآن المجيد ولن يفترقا عنه حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض يوم القيامة.

وعليه فحسب الزهراء عليها السلام فضلاً وسمواً ان تكون مختارة الله ليباهل بها رسول الله صلى الله عليه وآله من بين تسع نسوة هن امهات المؤمنين.

لا يجوز للعاقل ان يختار واحدة من تسع دون ان تكون هناك افضلية او مزية، ولا يأتي الاختيار

اذا لم يكن هناك كمال مطلق وافضلية على سائر النساء، والا لزم الترجيح من غير مرجح وهو قبيح في نظر العقلاء، مستحيل في نظرة الحكماء، فكيف يصير اليه سيد العقلاء، وامام الحكماء.

من هنا لابد من القول بأن سيدة النساء عليها السلام لم تحظ بشرف الاختيار من بين نساء النبي صلى الله عليه وآله الا من سمو القدس وغلبة الروحانية في انسانيتها الطاهرة المهذبة.

وهكذا كانت سيدة النساء، فقد اجتمعت في انوثتها النواميس الروحية والكمالات النفسية فرفعتها في الانسانية الى اسمى الدرجات لتكون اهلاً لان يباهل بها النبي صلى الله عليه وآله من بين نسائه، حتى استحقت ان تشارك الانبياء والاوصياء في مثل هذه المهمات الكبرى.

وقد صرحت بعض النصوص الروائية بأنه صلى الله عليه وآله قد اخرج فاطمة عليها السلام من دون سائر النساء اذ قالت: (وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة)[٤٧] اي أنه اخرجها من دون نسائه رغم عددهن، ورغم ورود الامر بدعوة النساء.

ثامناً: اهل البيت عليهم السلام شركاء في الدعوة:

هنالك بعض القرائن القوية التي تؤكد ان النبي صلى الله عليه وآله لم يخرج بأهل بيته عليهم السلام بدافع العاطفة، او جرياً على ما هو معتاد في المباهلة، بل هناك بعض الغايات السامية والاهداف الراقية التي دفعته لذلك، من اجلها رتبة التدليل على كونهم عليهم السلام شركاء النبي صلى الله عليه وآله في الدعوة، وهذا ما يؤكد قوله صلى الله عليه وآله (اذا انا دعوت فأمنوا)[٤٨]، فلو لم يكن لدعوتهم فائدة تذكر او هدف واضح لما طلب النبي صلى الله عليه وآله منهم التأمين على دعوته، قال الطباطبائي: (وهذا يعطى ان يكون الحاضرون للمباهلة شركاء في الدعوة، فان الكذب لا يكون الا في دعوة، فلمن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا من افضل المناقب التي خص الله بها اهل بيت نبيه عليهم السلام، كما خصهم باسم الانفس، والنساء، والابناء، لرسوله صلى الله عليه وآله من بين رجال الامة ونسائهم وابنائهم).[٤٩]

ومن البعيد جداً ان يخصهم الله تعالى بذلك كله جزافاً، قال القاساني: (ان لمباهلة الانبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله اياهم به، وهو المؤثر بأذن الله بالعالم العنصري فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا في الهيئات الواردة عليه كالغضب، والحزن، والفكر في احوال المعشوق، وغير ذلك من تحرك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم، وانفعال النفوس البشرية منه كانفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات ارواحنا، فإذا اتصل نفس قدسي به كان تأثيراً في العالم عند التوجه الاتصالي تأثيرها ما يتصل به، فتنفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية منه بما اراد. الم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف، واحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية؟.[٥٠]

وما ذكره معنا جليل وهو لا يختص بالنبي صلى الله عليه وآله بل يشمل جميع من اختارهم الله تعالى للمباهلة.

المبحث الثالث: معالجة الاشكالات:

اورد بعض اعلام اهل السنة مجموعة من الاشكالات والانتقادات الواهية على آية المباهلة،

محاولاً بذلك صرف الآية عن اهل البيت عليهم السلام، واسقاط استدلال الشيعة بها على اثبات امامة امير المؤمنين عليه السلام، وعمدة تلك الاشكالات والانتقادات.

اولاً: القدح بروايات الحادثة:

تصور بعضهم أنه وجد ثغرة يكيد بها الشيعة الامامية ويطيح باستدلالهم بآية المباهلة، فقال: (ان الروايات متفقة على ان النبي صلى الله عليه وآله، اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما...)، الى ان قال: (ومصادر هذه الروايات: الشيعة، ومقصدهم منها معروف). [٥١]

وقد بنى مقالته على أن اساس الحكاية ومصدرها: روايات الشيعة، وليس في روايات اهل السنة ما يؤيد ذلك او يصرح به.

ولكن الحق بخلاف ذلك تماماً، والواقع يكذب هذه الفرية جملة وتفصيلاً، ونحن ننقل بعض اقوال الكبار من اعلام أهل السنة، وآرائهم على نحو العجالة لنبين القيمة العلمية من هذا الكلام، ومن ثمة تتضح سلامة الاستدلال بآية المباهلة.

قال الجصاص: (ان رواة السير ونقلة الاثر لم يختلفوا فيه: ان النبي صلى الله عليه وآله اخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم ودعا النصارى الذين حاجوه الى المباهلة...). [٥٢] وهذا تصريح منه بعدم الخلاف بين المؤرخين والمحدثين في ذلك، وهو يريد بذلك المؤرخين والمحدثين من السنة دون غيرهم.

وقال ابن طلحة الشافعي: اما اية المباهلة فقد نقل الرواة الثقات والنقلة الاثبات نزولها في حق علي

وفاطمة والحسن والحسين. [٥٣] وكلامه لا يختلف عن كلام الجصاص، ولكنه اضاف نكته لطيفة وهي اشارة الى قوة اسانيد الاخبار التي روت حادثة المباهلة. [٥٤]

وقال الالوسي: (وهذا الذي ذكرناه من دعائه صلى الله عليه وآله هؤلاء الاربعة المتناسبة رضي الله تعالى عنهم هو المشهور المعول عليه لدى المحدّثين). [٥٥]

ويضاف الى ذلك جميع ما ذكرناه في هذه المقالة مما هو مسند في المصادر السنية المعتبرة، كصحيح مسلم، ومسند احمد بن حنبل، وسنن الترمذي، والدر المنثور للسيوطي، وتذكرة ابن الجوزي، وشواهد الحاكم الحسكاني، وكشاف الزمخشري، وتفسير الرازي، وغيرها مما لو اردنا استقصاءه لاحتجنا الى مقالة مفردة[٥٦]، ولا ادري كيف جوز المستشكل لنفسه التفوه بمثل هذا الخطأ الفاحش، والغلط الظاهر، اللهم الا ان يدعي ان من اوردنا ذكرهم من الشيعة؟!..

ثانياً: اشتراك اهل البيت عليهم السلام بهدف التأثير النفسي:

من الشبهات والاشكالات التي تثار حول الآية: ان النبي صلى الله عليه وآله انما كان يهدف من اخراج اهل البيت عليهم السلام معهم التأثير النفسي على الخصوم، ويوحي لهم بثقته بنفسه، ولا دليل يثبت اكثر من ذلك.

اقول: فضلاً عن كون هذا الرأي ظاهر البطلان، فأنه من تفسير القرآن بالرأي، وتقديم قراءة تفسيرية للآية من غير دليل، بل تتصادم صراحة مع الدليل الصريح، وذلك بأن الادلة القطعية تؤكد ما هو خلاف ذلك، ونحن نكتفي بالإشارة الى امرين:

ان اخراج اهل البيت عليهم السلام لم يكن باجتهاد خاص من النبي صلى الله عليه وآله كي يصح القول بأنه اراد كذا وكذا، وانما كان بأمور على نحو الوجوب والالزام، ويدل على ذلك اولاً: مفاد صيغة الامر في الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾.

وثانياً: تصريح النبي صلى الله عليه وآله بكونه مأموراً بإخراجه معه، كقوله صلى الله عليه وآله: (لو علم الله تعالى ان في الارض عباداً اكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني في ان اباهل بهم، ولكن امرني بالمباهلة مع هؤلاء، وهم افضل الخلق، فغلبت بهم (اليهود) والنصارى).[٥٧]

وهذان الامران يؤكدان ان اخراج اهل البيت عليهم السلام الى المباهلة كان بتدبير الهي وقرار رباني مباشر، فلابد من تفسير خروجهم للمباهلة في ضوء ذلك الامر الالهي بعيداً عن تصورات المفسرين الضيقة. نعم يبقى شيء لابد من التنبيه عليه: وهو ان التأثير النفسي على الخصوم، وثقة النبي صلى الله عليه وآله بأحقية دعوته، اهم ملازمات الحادثة، ولكنه لم يكن الغرض الوحيد من الحادثة، فلا ينبغي ان يفهم من كلامنا نفي ذلك.

ان مؤدى هذا الرأي المزبور اتهام القرآن بعدم الجدية الحقيقية، وانه قام بمناورة، الهدف منها التأثير في الخصم نفسياً. ولو حكمنا هذا الفهم القاصر في بيان آيات القرآن الكريم لما امكن الوثوق بالفاظ القرآن الكريم، ولما امكن الاطمئنان بكل ما يقال في تفسيره وبيانه.

الخاتمة:

توصلنا بهذه الاطلالة المختصرة على آية المباهلة، انها من الآيات الخاصة بأهل البيت (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)، وقد اثبتت لهم من المزايا والفضائل ما يفوق جميع احاد الامة، كما دلت على امامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، واثبتت له الافضلية المطلقة على جميع احاد الامة بل والانبياء السابقين عليهم السلام، واكدت ايضاً على ان اهل البيت عليهم السلام شركاء النبي صلى الله عليه وآله في الدعوة، كل ذلك اعتماداً على ما افادته المصادر السنية المعتبرة.

الهوامش

١- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٥، ص٦٤.
٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ج٥، ص٦٧.
٣- جامع البيان، الطبري: ج٣، ص٢٢١؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ج٢، ص٦٩٥؛ إمتاع الأسماع، المقريزي: ج١٤، ص٦٥.
٤- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨٢ - ٨٣.
٥- دلائل النبوة، البيهقي: ج٥، ص٣٨٧؛ روح المعاني، الآلوسي: ج٣، ص١٨٦.
٦- آل عمران: ٥٩ ـ ٦٠.
٧- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨٢ - ٨٣.
٨- انظر: جامع البيان، الطبري: ج٣، ص٤٠٢؛ العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر: ج٢، ص٦٨٠.
٩- الدر المنثور، السيوطي: ج٢، ص٣٧؛ سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ج٦، ص٤١٧.
١٠- المائدة: ١٧.
١١- آل عمران: ٦١.
١٢- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨٢ - ٨٣.
١٣. تحفة الأحوذي، المباركفوري: ج٨، ص٢٧٨ - ٢٧٩.
١٤. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص ٨٢-٨٣.
١٥- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨٢ - ٨٣.
١٦- تحفة الأحوذي، المباركفوري: ج٨، ص٢٧٨ - ٢٧٩.
١٧- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٨٢-٨٣.
١٨- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي: ج١، ص٤٤٨؛ وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي: ج١، ص٣٣٩؛ التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٥.
١٩- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧، ص١٢٠-١٢١؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥، ص٣٠١-٣٠٢، ح٣٨٠٨؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١، ص١٨٥. وانظر: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢، ص٣٥ - ٣٧؛ ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي: ج٢، ص١١٩-١٢٠؛ مسند سعد بن أبي وقاص، أحمد بن إبراهيم الدورقي: ص٥١؛ الفصول المهمة في معرفة الأئمة، الفقيه ابن الصباغ المالكي: ج١، ص٥٨٩ - ٥٩٠؛ الدر المنثور، السيوطي: ج٣، ص٢٣٢، دار الفكر، بيروت؛ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٢٣، نشر الشريف الرضي، قم، ١٣١٨ هـ.
٢٠ - ينابيع المودة، القندوزي: ج٢، ص٢٦٦.
٢١- الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٤٣٤.
٢٢- تفسير الثعلبي، الثعلبي: ج٣، ص٨٥؛ تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٥؛ تفسير البغوي، البغوي: ج١، ص٣١٠؛ تفسير النسفي، النسفي: ج١، ص١٥٨؛ تفسير أبي السعود، أبو السعود: ج٢، ص٤٦؛ تفسير الآلوسي، الآلوسي: ج٣، ص١٨٨، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن مردويه: ص٢٢٧؛ تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٨، ص٢٧٩.
٢٣- انظر: المحصول، الفخر الرازي: ج٢، ص١٤٩.
٢٤- سورة ص: ٨٦.
٢٥- المناقب، ابن مردويه: ص١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي: ص٤٣.
٢٦- السنن الكبرى، النسائي: ج٥، ص١٢٨؛ المصنف ابن أبي شيبة، ج٧، ص٤٩٨، وج٨، ص٥٤٣؛ مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي: ج٢، ص١٦٦؛ وانظر: تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي: ج٣، ص٣٣٢؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩، ص١٦٣.
٢٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٩٤.
٢٨- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١، ص١٣٦.
٢٩- صحيح البخاري: ج٣، ص١٦٨؛ ج٤، ص٢٠٧؛ ج٥، ص٨٥؛ السنن الكبري، البيهقي: ج٨، ص٥؛ فتح الباري، ابن حجر: ج٧، ص٣٩٠؛ المصنف، الصنعاني: ج١١، ص٢٢٧؛ المصنف، ابن أبي شيبة: ج٧، ص٤٩٩؛ السنن الكبرى، النسائي: ج٥، ص١٢٧.
٣٠- مسند أحمد: ج٥، ص٣٥٦؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩، ص١٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢، ص١٨٩؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١، ص٦٠٨؛ فيض القدير، المناوي: ج٤، ص٤٧١.
٣١- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني: ج١، ص٤٤؛ المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي: ج٧، ص٤٩٥؛

الآحاد والمثاني، الضحاك: ج٣، ص١٨٣؛ السنة، ابن أبي عاصم: ص٥٨٤؛ المناقب: ابن المغازلي: ص١٨٨.

٣٢- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ص١٧٧؛ الرياض النضرة، محب الدين الطبري: ج١، ص١٢٤؛ وسيلة المآل، الحضرمي: ص١١٣.

٣٣- جواهر المطالب، ابن الدمشقي: ج١، ص٥٩.

٣٤- المناقب، ابن مردويه: ص١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي: ص٤٣.

٣٥- المناقب، ابن مردويه: ص١١١.

٣٦- المناقب، ابن مردويه: ص١٤٧. تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج٤٢، ص٢٨٨؛ وانظر: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١، ص١٠٠؛ التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٦؛ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ج٢، ص٥٠٣.

٣٧- المناقب، ابن مردويه الأصفهاني: ص١٠٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢، ص٣٧٢، حديث خيثمة، خيثمة بن سليمان الأطرابلسي: ص٢٠١؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١، ص٦٢٥؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٢، ص٧٨. وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٨، ص٢٠٤، طبقات الشافعية، عبد الوهاب السبكي: ج٤، ص١٧٠، لسان الميزان، ابن حجر: ج٢، ص١٨٥.

٣٨- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ص١٥٦؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٢، ص٤٤٧.

٣٩- يونس: ٣٥.

٤٠- جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج٣، ص٤٠٨.

٤١- المناقب، ابن المغازلي: ص٢١٥؛ أسباب النزول، الواحدي: ص٦٨.

٤٢- معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري: ص٥٠.

٤٣- تحفة الأحوذي، المباركفوري: ج٨، ص٢٧٨-٢٧٩؛ شرح المشكاة، القاري: ج٥، ص٥٨٩.

٤٤- الأنعام: ٨٤.

٤٥- الأنعام: ٨٥.

٤٦- التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٦.

٤٧- الدر المنثور، السيوطي: ج٢، ص٣٨.

٤٨- تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي: ج١، ص١٨٦؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ج٣، ص٨٥؛ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: ج١، ص٢١٥؛ معالم التنزيل، البغوي: ج١، ص٣١٠؛ مدارك التنزيل ومعالم والتأويل، النسفي: ج١، ص١٥٨؛ الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٤٣٤؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ج٢، ص٢٠.

٤٩- الميزان، الطباطبائي: ج٣، ص٢٢٥.

٥٠- تفسير القاسمي: ج٢، ص٨٥٧.

٥١- تفسير المنار: ج٣، ص٣٢٢-٣٢٣.

٥٢- أحكام القرآن، الجصاص: ج٢، ص١٨.

٥٣- انظر: مطالب السؤول، محمد بن طلحة الشافعي: ص٣٨.

٥٤- اعلم أنّه لا كلام في صحة روايات المباهلة وفق المباني السنية لورودها في الصحيح (صحيح مسلم: ج٧، ص١٢١)، وقد نصّ جماعة من كبار محدثيهم على صحة بعض تلك الروايات، فالترمذي بعد أن خرّج الحديث، قال: (هذا حديث حسن صحيح) (سنن الترمذي: ج٤، ص٢٩٤، وج٥، ص٣٠٢) وقال الحاكم الحسكاني: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك: ج٣، ص١٥٠).

٥٥- تفسير الآلوسي، الآلوسي: ج٣، ص١٩٠.

٥٦- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧، ص١٢٠-١٢١؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥، ص٣٠١-٣٠٢، ح٣٨٠٨؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١، ص١٨٥؛ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢، ص٣٥-٣٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢، ص١١٩-١٢٠؛ مسند سعد بن أبي وقاص، الدورقي: ص٥١؛ الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ج١، ص٥٨٩-٥٩٠؛ الدر المنثور، السيوطي: ج٣، ص٢٣٢؛ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٢٣؛ زاد المسير، ابن الجوزي: ج١، ص٣٣٩؛ التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٥؛ الكشاف، الزمخشري: ج١، ص٤٣٣-٤٣٤.

٥٧- ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٢، ص٢٦٦.

الحوار والجدل
بين القرآن الكريم والقضية الحسينية

أ.د. عادل نذير بيري

المقدمة

قد لا يكون من وكد الباحث أن يقول حقائق ولكنه يروج لها في هدي ما يتسع له من معلومات لان الحقيقة مهما نصحت واتضحت تبقى نسبية في عرف البشر والبشرية والحقيقة المطلقة، وإذا لم يفض البحث إلى حقيقة فانه يفضي إلى علامة استفهام تستحق الإشارة ويبقى للمتلقي حرية التفاعل معها وحرية الإجابة عنها بما يتأتى له من معلومات وأفكار في رؤى لايطلب بها سوى الحقيقة على الأقل بينه وبين نفسه مرة وتارة بينه وبين الله، لان الحقيقة إذا طلبت بين طالبها والناس تبقى مشوبة بمسبقات تخرج طالبها عن الموضوعية والحياد (الموضوع هو أن الحسين عليه السلام مبدأ حوار في عالم الأزمات).

والعرف الأكاديمي يقتضي مراقبة العنوان والعمل بلحاظه حتى لايقفز إلى الغاية اوالنهاية من دون مقدمات تجعلنا أكثر تمسكا بما ننتهي إليه، وبؤرة هذا الموضوع هو أن الحسين بوصفه مبدأً حواريا ليست بلحاظ واقعة الطف فقط وإنما بلحاظ سيرته الشريفة بكل تفصيلاتها التي قادته إلى تلك النهاية المشرفة لذا فالعنوان يفترض هيكلية محاور لمعالجة الموضوع تتوزع على النحو الآتي:

المحور الاول: الحوار ومصاحباته المصطلحية بين اللغة والاستعمال القرآني.

المحور الثاني: حاجة الأمة إلى الحوار.

المحور الثالث: الامام الحسين عليه السلام بين ثوابت الحوار ومتغيراته

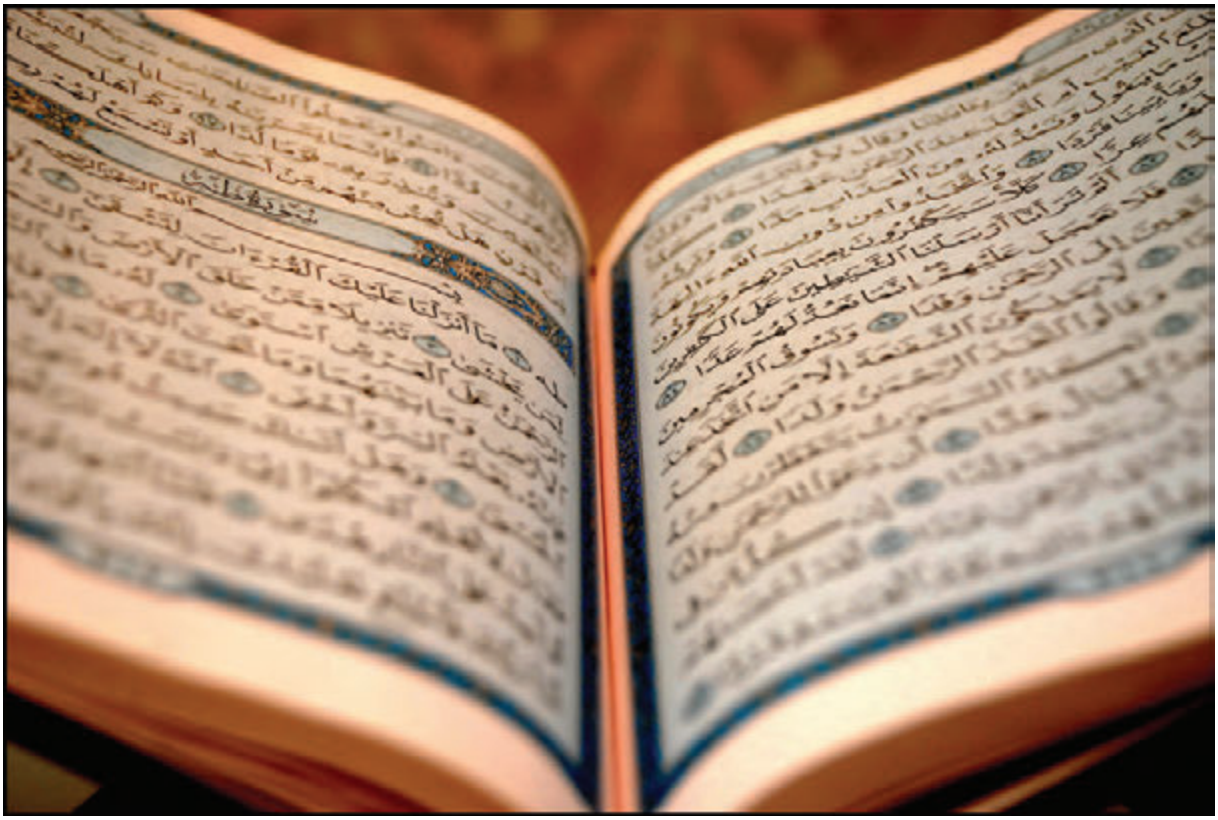

المحور الأول:

قد صاحب الحوار مصطلحات سنعرض لها تباعا بلحاظ التداخل بينها وبين الحوار:

أولاً/المناظرة: لغة من النظير، أو النظر بالبصيرة، فهي من النظر تفيد الانتظار والتفكير في الشيء نفسه، ومن التناظر تفيد التقابل[١] ومن النظير تفيد التماثل.

أما في الاصطلاح ؛ فالمناظرة فيها معنى التناظر الذي يعني التقابل سواء أكان بين الأشخاص في المجلس الواحد أم بين الأدلة والحجج[٢]، والمناظرة هي «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين شيئين إظهاراً للصواب ومنها المكابرة، وتكون من مرادفات الجدل والمجادلة إذا كانت المناظرة بين الشخص ونفسه بمعنى المكابرة وذلك إذا علم المجادل بفساد كلامه وصحة كلام خصمه وأصر على المنازعة ومنها المعاندة وهي المجادلة مع الجهل بالقضية التي يجادل فيها»[٣]. والمناظرة في الواقع وان كان أساسها من النظر فإنها تطورت لتعني التناظر والشعور بروح التحدي، فكل واحد من الطرفين يحسب نفسه عند المناظرة نظيرا للآخر أو نداً قادراً على أن يتحداه.

أما الجدل ؛ فالجيم والدال واللام (جدل) أصل واحد من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، وجدل يجدل: اشتدت خصومته[٤] ذلك ما تثبته المعجمات، وفي الاصطلاح فقد عرفه الأصفهاني بقوله «هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة»[٥] أما العكبري (٦١٦هـ) فيعرفه بأنه «عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله لحجة او شبهة وهو لايكون إلا بمنازعة غيره»[٦] وعند الجرجاني أن الجدال «عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها»[٧] ، ويعرف الجدل بأنه القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات الغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة[٨] وإنعام النظر فيما ورد من تعريفات يلاحظ في ضوئها مقدار ما تتمتع به تلك التعريفات من ألفاظ لاتخلو من عنف وتشنج ونزاع وصراع، يشهد على ذلك متابعة هذا المصطلح في القرآن الكريم، إذ وردت لفظة الجدل وتصريفاتها في تسعة وعشرين موضعاً لم يكن الجدل فيها محمودا سوى أربعة مواضع:

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.[٩]

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.[١٠]

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.[١١]

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾.[١٢]

وقد جاء الجدل بمعنى مذموم في خمسة وعشرين موضعاً بقصد الغلبة والرياء والجدل للباطل أو بغير علم أو في مكان غير مناسب او لقصد الجدل فقط.منها على سبيل المثال:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾.[١٣]

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾.[١٤]

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾.[١٥]

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾.[١٦]

وأكثر ما يكون الجدل بغير علم في مجتمعنا اليوم وهو في أمر بين الدين والسياسة؛ فالدين والسياسة مائدتان مفتوحتان ليلاً ونهاراً لمن يريد أن يتعاطاها وكل على حد سواء المتخصص فيهما أم غير المتخصص فكلاهما يلامس حياة المرء يوميا، من دون انقطاع، الأمر الذي يحفز الكثيرين لان يروا في أنفسهم القدرة على خوضها.

أما الحوار؛ فانه سوف يستوقفنا أكثر من غيره لأنه عماد البحث وغايته فأول ما يقتضيه التعريف بهذا المصطلح عرضه على اللغة ولاسيما المدونة المعجمية للوقوف على معانيه، فهو من نحو الرجوع والتردد بين شيئين، والتحاور من التجارب والمحاورة، وحاورته راجعته في الكلام، وكلمه فما رد عليه محوره، وما أحار جوابا: أي ما رجع، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[١٧]، ومراقبة هذه المفردات في المعجمات العربية تكشف عن جملة من المعاني الآتية[١٨]:

- (الرجوع) إلى الشيء وعن الشيء، والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى رأي الآخر أو قوله أو رغبة في الوصول إلى الصواب والحقيقة، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾[١٩] أي لن يرجع مبعوثاً يوم القيامة.

-(التحول) من حال إلى حال، فالمحاور يتنقل في حواره من حالة إلى أخرى، فمرة يكون مستفسراً، وأخرى يكون مبرهناً، وثالثة يكون مفندا وهكذا.

-(الإجابة) والرد وهو قريب من المعنى الاصطلاحي للحوار، لان كلا من طرفي التحاور يهتم بالإجابة عن أسئلة صاحبه، ويقدم مجموعة من الردود على أدلته وبراهينه.

-(الاستنطاق) ومراجعة الحديث فكل واحد من المتحاورين يستنطق صاحبه ويراجع الحديث معه لغرض الوصول إلى هدفه وقصده.

-النقاء والتخلص من العيوب، والواقع أن طبيعة الحوار والمناقشة تؤدي بالنتيجة إلى التخلص من العيوب الفكرية عبر طرح الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها.

وفي القرآن الكريم لم يرد لفظ الحوار، وإنما ورد الفعل (حاور) والمصدر التحاور ثلاث مرات وذلك في المواضع الآتية:

- ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾.[٢٠]

- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾.[٢١]

- ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.[٢٢]

والحوار اصطلاحاً «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر به احدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب».[٢٣]

ويقال عنه انه «مناقشة بين شخصين أو مجموعتين، أو أشخاص أو مجموعات بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، واثبات حق ودفع شبهة، أو رد الفاسد من القول والرأي».[٢٤]

والحوار «أسلوب يجري بين جهتين يسوق كل

منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الآخر في منطقه وفكره قاصدا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره... وكل واحد من المتحاورين في الحوار لايقتصر على عرض الأفكار القديمة التي يؤمن بها، وإنما يقوم بتوليد الأفكار في ذهنه، ويعمد إلى توضيح المعاني المتولدة من خلال عرض الفكرة وتأطيرها وتقديمها بأسلوب علمي مقنع للآخر، بحيث يظل العقل واعيا طوال (مدة) المحاورة ليستطيع إصدار الحكم عليها سلباً وإيجاباً»[٢٥].

وبعد هذا العرض لمصطلح الحوار وما يوازيه من مصطلح الجدل نسجل الآتي:

- الحوار أقل استعمالاً في القرآن الكريم من الجدل، فقد جاء الأول في ثلاث مرات، والثاني في تسعة وعشرين موضعاً.

- أغلب المواضع التي جاء فيها الجدل في القرآن الكريم كانت بمعنى مذموم في حين أن معنى الحوار في القرآن الكريم جاء ليعني ضرباً من الأدب الرفيع وأسلوبا من أساليبه التي تقترب من معنى المناقشة.

- بلحاظ ما قدمناه من معان لغوية يتضح أن كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل بوصف (الجدل) متضمناً معنى الصراع بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب.[٢٦]

- بالنظر إلى التفاوت العددي في ورود الجدل بالنسبة إلى الحوار في القرآن الكريم ينبغي الالتفات إلى ما احسبه نكتة في هذا الصدد هي أن القرآن لما كان في وجه من وجوهه عرضا لإخبار الأولين والآخرين، فانه يكشف عن أن البشرية في غالب أزماتها ومشاكلها إنما تتعامل على أساس

الجدل والحوار والمجادلة أكثر من الحوار والتحاور والمحاورة، ولذا اعتقد أن هذا التفاوت العددي كان بلحاظ التفاوت الأسلوبي في التعاطي مع الأزمات والمشاكل التي تعترض الإنسان عقلياً ونفسياً واجتماعياً، ولذا فانَّ الجدل على وفق المعطيات يخبرنا بها القرآن الكريم غالبا ما يؤدي إلى تفاقم الأزمات أكثر من أن يقود متعاطيه إلى الحلول ن يشهد على ما تقدم قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٢٧]، بمعنى أن الجدل قد يفضي بالأزمة إلى أزمة، فهذا التفاوت العددي بين الجدل والحوار في القرآن الكريم يضع أمامنا الصورة التي ينبغي تجنبها في التعامل مع الأزمات التي كانت دينية او اجتماعية أو سياسية، وفي ضوء مراقبة حضور مصطلح الجدل وما يوافقه من معان نلحظ أن الجدل يحتوي على معاني الصراع والإغراق في الكلام في معظم أحواله ولذلك اتجه الفكر المعاصر إلى استبداله بالحوار وذلك ماتجسده دعوة الفاتيكان في الوثيقة الصادرة منه سنة ١٩٦٥[٢٨] .

– هذا العرض لمصطلح الحوار وما يرافقه من مصطلحات موازية تجعلنا نتمسك بالحوار أسلوباً قرآنياً حضارياً في التعاطي مع الأزمات الفكرية والسياسية فضلاً عن العقيدة التي يمر بها المسلمون في مختلف أصقاع الأرض وهو ما يفضي بالبحث إلى الحديث عن :

المحور الثاني: حاجة الأمة إلى الحوار :

– يبدو أن الحوار ولد مع الإنسان وهو بعد بين يدي الله سبحانه وتعالى: إذ أشركه الله

سبحانه وتعالى في الإجابة عما انصرف الملائكة عن الإجابة عند لحظة سؤاله سبحانه وتعالى –إياهم عن الأسماء وهم يستفهمونه عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة وهو يخلق خليفة له في الأرض قد يكون مفسداً أو سافكاً للدماء في هذه الحوارية التي يستحضرها الله سبحانه وتعالى في أول أجزاء القرآن الكريم من سورة البقرة أذ يقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.[٢٩]

فهذا الحوار الذي ولد مع الإنسان إنما كان بين طرفين لم يكن أحدهما متعصباً، وإنما كان بين الله وملائكته فهو حوار يسمو بسمو الأطراف المشتركة فيه، فهو حوار في قضية خلق آدم وجعله خليفة الله في أرضه، ولذلك كانت النتيجة ترسيخ قناعة الملائكة بالحكمة الإلهية التي لأجلها خلق الإنسان.

- إن كثيراً من معاني الحوار التي أسلفنا عرضها تحققت في سياق الآيات الشريفات ولا سيما على مستوى (الرجوع) و(التحول) و(الإجابة) وذلك بأن رغبة الملائكة في الوصول إلى الحقيقة هي أساس استفهامهم أَتَجْعَلُ فِيهَا مما جعلهم يرجعون عن فكرة أن الإنسان مفسد في الأرض ومسفك للدماء .والإجابة الإلهية كانت برهانيه تطبيقية إذ أنطق آدم بما علمه إياه من أسماء فكانت النتيجة ترسيخاً للقناعة وإزالة للشبهة التي قد تبقى لو لم ينبرِ الملائكة للاستفهام.

- ولذا فقد أسهم هذا الحوار في تحقيق غاية سامية للحوار هي إحدى معانيه المرصودة آنفاً اعني النقاء والتخلص من العيوب الفكرية وذلك في ضوء عرض الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها .

والمشهد الثاني الذي يشهد على ولادة الجدل والعناد مع وجود الإنسان بوصفه خليفة الله على الأرض يتمثل في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.[٣٠]

إننا نضع هذا المشهد وإبليس فيه يجادل الله سبحانه وتعالى إزاء المشهد الماضي والملائكة يحاورون الله سبحانه وتعالى، وكيف أن جدال إبليس أفضى بإبليس إلى الابتعاد عن رحمة الله وعفوه، على حين أن الحوار أفضى بالملائكة إلى مزيد من النقاء واليقين وكلا المشهدين ولد مع ولادة آدم وهو يشهد - وهو بين يدي الله سبحانه وتعالى - حوار الملائكة وجدال إبليس هذه الحقائق القرآنية على الأمة أن تتدبرها وتنظر فيها ملياً وهي تواجه تحديات العصر وأزماته العقديّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون للحوار، ولكن أي حوار؟ الحوار الذي بنا حاجة إليه ينبغي أن يتقنن بهدي من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسيرة أهل البيت عليهم السلام إذ إنّ الحوار اليوم علم قائم بذاته له قواعد وأساليب ومعطيات وله فنياته واستراتيجياته ولا سيما الحوار القائم على الدليل العلمي، الإسلام هو دين الحوار المتكافئ القائم على ارداة القيم، وارادة العلم، وارادة التعايش بعيداً عن مختلف الاكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية.[٣١]

أننا نعيش اليوم عصر أزمات أوضحها حضوراً ذلك الاحتقان الطائفي الذي نمر به اليوم وهو في أوجّه إلى الحد الذي استطاع أن يغير ملامح المشهد الديموغرافي لكثير من بلداننا ومدننا التي تعيش فيها مختلف المذاهب والأديان والأعراق منذ أزمنة طويلة .

اليوم الأمة الإسلامية يجب أن توجه إلى استثمار تلك الطاقات العلمية والدينية الباحثة في نقاط الاختلاف إلى البحث في نقاط الاتفاق إننا نشهد موجة من الفضائيات التي تصنع الفرقة باسم الإسلام الذي كان شعاره وما يزال ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ الفضائيات التي نقرأ في أشرطتها المتحركة ألوانا من الشتائم والتراشق الذي لا يولد سوى البغضاء والشحناء. ولن يتوقف هذا التفريق الطائفي ما لم تؤمم الأنظمة الإسلامية الحاكمة تلك الفضائيات وتستأصل بؤر التمويل الطائفي بكل إشكاله وأساليبه.

تعيش الأمة اليوم عصر الطائفية الالكترونية التي تسري في المجتمع الإسلامي سريان النار في الهشيم فكثير من مواضع التواصل الاجتماعي اليوم عنواناتها طائفية هذه المواضع تحتاج الأمة في إزائها إلى مواقع موازية تشيع فيها الألفة والتعايش والحوار المبني على أساس قرآني ونبوي .

في ضوء هذه الخواطر العجلى أحسب أن الأمة يجب أن تؤمن بالحوار مع النفس أولا قبل أن تتصدى لتستضيف حواراً أممياً أو حواراً للأديان أو حواراً للحضارات ,علينا أن نحاور الآخر المذهبي على أساس من المبادئ العلمية للحوار. هذه المبادئ يجب أن نتقنن في ضوء مشاهد الحوار التي يستحضرها القرآن الكريم للأفراد والأمم و المجتمعات التي خلت ففي القرآن الكريم مشاهد

لحوار الله مع الملائكة
لحوار الله مع إبليس
لحوار الله مع أنبيائه
لحوار الأنبياء مع أبنائهم
لحوار الأنبياء مع نسائهم
لحوار الأنبياء مع الطير والحيوان

لمشاهد كثيرة يستوعب فيها القرآن آراء الآخر على مختلف أشكاله من دون ان يبين وجهات نظره مهما كانت مغالية وغير مقبولة بل ويكفل صياغتها على نحو جمالي رائع يقول الدهريون في القرآن الكريم ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٣٢] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾[٣٣] وكلام قوله تعالى على لسان النصارى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[٣٤] وكلام المنافقين ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٣٥]، فالقران الكريم يستحضر رأي الآخر رغم فساده دون أن يبين كلامه ويشوهه ويقطعه، فهو يستحضر الآخر استحضاراً كاملاً يعطيه الفرصة الكاملة لكي يتم نصاً كاملاً أو ليتم فكرة واضحة بكل قوتها . إيماناً من الله سبحانه وتعالى بان القوة الذاتية في الحق حيث دار والضعف ذاتي في الباطل حيث صار ولهذا لا خوف من الحوار ولا إظهار لكلام الخصم . بل في ذاته أكثر دفعاً لإظهار الحق فالحق قوي بما يأتي به من أدلة وما يعرضه من أفكار، وقوي بتهافت الرأي الآخر.

وتطول مشاهد الحوار بلحاظ السنة النبوية

الشريفة، وتطول مشاهد الحوار أكثر بلحاظ سيرة أهل البيت عليهم السلام، وتطول أكثر وأكثر إذا وقفنا على سيرة الصحابة الصالحين، وكل ذلك الإرث يجب أن نتعاطى معه بوعي وعلمية وتخصصية ومن ثم نقف على المفاصل التي تستوعب الآخر فتستنطقه أو تحثه على الرجوع والتحول الإجابة بل تقوده في النهاية إلى النقاء والتخلص من العيوب الفكرية .

هذا الأمر يزين لنا أن ندعو لإيجاد جيل من البالغين والدعاة يؤمنون بالحوار منهاجاً قرآنياً ونبوياً في التعاطي مع الأزمات واستيعاب الآخر لتحقيق التعايش المنشود على مستوى المذاهب والأديان والأعراق فضلاً عن الحضارات على مختلف مرجعياتها .

مرت البشرية في ثلاثة أطوار من التواصل:

١.الطور الطيني:

إذ دون الإنسان لأول مرة فكره وأدبه ليطلع عليه الآخر على الطين وهذه وسيلة تواصل لاتصل إلى الآخر مالم يصل إليها لأنها غالباً ماتكون ثابتة.

٢.الطور الورقي:

وهذا طور متحرك يسوق بمختلف الإحجام والأوزان بدءاً من الصحف وانتهاء بالمجلدات الضخمة. وهي تصل إلى الآخر بمختلف وسائل التسويق.

٣.الطور الالكتروني:

وهو الذي نعيش اليوم طفولته، الله وحده يعلم كيف سيكون, لا نقول بعد مائة سنة بل بعد عشر سنوات فسرعة تطوره تتلاءم وسرعة وصوله إلى الآخر وهو في عقر داره و طور التواصل الصوري أو الالكتروني ينقسم على قسمين رئيسين الأول يتمثل بالتلفزيون وما يتمتع به من قنوات محلية وفضائية.

والآخر يتمثل بالفضاء الالكتروني الذي يعج بمواقع التواصل الاجتماعي, ومفاصل التواصل الالكتروني هذه تحتاج إلى جيش متمكن من المراقبة ويمتلك زمام المبادرة في الإجابة والرد على الآخر ليوفر الرأي الموازي أولا ويبقى للآخر المتلقي بوصفه متصفحاً حرية الاختيار.

لذلك فالأمة اليوم أحوج ما تكون للحوار والمحاورين الذين يؤمنون بفاعلية الحوار في الوصول إلى حل الأزمة وهذا يستلزم أن تكون هناك ورش عمل للمبلغين والدعاة لاستشعار أهمية الحوار والوقوف على أساليبه وتقنياته ومن ثم للعمل على برنامج استراتيجي بأخذ على عاتقه مراقبة البث الواعي لتلك الأساليب وتوضيحها في مخاطبة الآخر.

ففي إقامة الحوار بوصفه مبدءاً في التعاطي مع الآخر لحل الأزمة يجب أن نكون أمام ثلاث خطوات لابد منها:

- القرآن الكريم والسنة النبوية - وسيرة أهل البيت عليهم السلام هي مصادر تقنين الحوار وصياغته الأسلوبية.

- على المحاور بلحاظ توصية القرآن الكريم واستيعاب الآخر - إن يستفرغ نفسه من الرواسب الذاتية ويتعاطى الحلول مع الآخر على أساس من معطيات المصادر المقننة للخطاب والمشرعنة له فقط ومن تلك المشاهد ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾. أو قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾.

- على المحاور أن ينطلق من موقع الإخلاص والحق لله والإسلام ولأهله.

- «بحيث تكون المسألة هي أن يكتشف أين هو الإسلام ؟, وماهي الخطوط الأصيلة فيه ,أن نمتلك بصيرة على مواجهة كل الحساسيات التي يثيرها الحوار ولكل الإسقاطات التي يمكن أن يصاب بها هذا الفريق عندما يبدو له بان التزامه الفكري خاطئ»[٣٦] وشعار المتحاورين فيه ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

الأمر الذي يجعل المتحاورين يؤمنوا بالحاجة إلى عدالة الحوار في مختلف المجالات ولا سيما العقائدية.

المحور الثالث: الامام الحسين عليه السلام بين ثوابت الحوار ومتغيراته:

جدير بالاشارة، أن القضية الحسينية المتضمنة لسيرته فضلاً عما جرى في الطف تحتاج الى اعادة قراءة مستمرة لتتواكب معطياتها مع روح العصر وتطلعاته، وكلما افرزت حقبة معينة مجموعة من القيم يجب ان تعرض تلك القيم على القضية الحسينية بوصفها معيارا قيميا سماويا نعتقد انه يرفض ما يتعارض وقيم القرآن الكريم والسيرة النبوية.

ولخلق جو من الحوار الفاعل ينبغي تصنيف الاخر الى نماذج متعددة كيما يتم على ضوئه توجيه الخطاب في القضية الحسينية وتصنيفه هذا التصنيف سوف يسهم في تحقيق غاية بلاغية في الخطاب لكي يكون لكل مقام مقال من جهة، ومن جهة اخرى يجعلنا ان «نكلم الناس على قدر عقولهم»[٣٧]، وهذا يدفعنا الى ايجاد انماط من الخطاب في القضية الحسينية بلحاظ طبيعة الاخر، ومستوى وعيه على وفق ما يعتقد به من قيم انسانية كانت او اخلاقية او دينية، ولذلك يمكن تنميط الاخر للتحاور معه على النحو الاتي:

- **الاخر الضمني:** مهما يكون المتلقي متوافقا مع الثوابت التي نؤمن بها فهو يختلف معنا في قراءة تلك الثوابت وكيفية التعاطي معها لذلك هذا النوع من الاخر نراه دائما مع ما تقول ولاسيما في الثوابت، وكل ما يحتاجه هو ان يترسخ ما يعتقد به على وفق المعطيات العلمية المعاصرة له كيما يستطيع البقاء محتفظا بهويته إزاء الاخر.

- **الآخر المسلم:** وهو ذلك المتلقي الذي يؤمن باسلام الحسين عليه السلام وانتسابه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها من الثوابت المنقولة والمعقولة في تراثنا الاسلامي ولكنه لايقول بامامته كما نعتقدها، والامامة التي تكتنفها العصمة الالهية، لانه اساسا يناقش في عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله فاذا كانت هذه حاله فمن الصعوبة بمكان ان يعتقد بما نعتقده بوصفنا اصحاب مذهب معين ثبت لدينا ماهو غير ثابت عند الاخر، ولذلك الحوار مع هذا يجب ان يكون متكافىء لايسعى الا لاستيعابه لضمان التعايش السلمي معه.

- **الاخر الانسان:** هو ذلك المتلقي الذي قد يعتقد بغير دين الاسلام، والملحد الذي لايؤمن بالله سبحانه وتعالى، هذا المتلقي يقينا يؤمن بمنظومة قيمية يراقب في ضوئها الخطأ والصواب ويراعيها في مسيرة حياته، وهذه المنظومة القيمية كثيرا من مفاصلها يفرضها العقل بالفطرة وما تفرضه الفطرة ربما يكون صالحاً. هذه المفاصل

هي ميدان الحوار مع الاخر ونحن نعرض عليه القضية الحسينية. ولا سيما ان هناك أقوالاً كثيرة من المفكرين الغرب في الامام الحسين عليه السلام وهذه الاقوال ليست بلحاظ الاعتقاد بالامام والاسلام والا لاسلموا، ولكن بلحاظ ما توافق من القضية الحسينية ومسيرة الامام عليه السلام مع الثوابت القيمية ذات البعد الانساني التي لا يختلف على احقيتها اثنان.

فلو اردنا ان نحاور الاخر في مفصل من مفاصل القضية الحسينية، وهو المفصل الاكثر حيوية بلحاظ الغاية التي لاجلها خرج الامام الحسين عليه السلام، الا وهي قضية (الاصلاح) فاننا نحتاج الى ثلاثة انماط حوارية:

- النمط الاول (الاخر الضمني) الذي يرغب بترسيخ ما يعتقده يمكن احالته الى ماتضمنته الايات الشريفات ولاسيما التي حاور فيها الملائكة الله سبحانه او تلك التي جادل فيها ابليس ربه، ويمكن القول في هذا الصدد مجموعة اطاريح:

١- الاطروحة الاولى: حركة الامام الحسين عليه السلام؛ حركة فيها كثير من الامارات التي تتساوق والنص القرآني على نحو يجعلها جزءا من الاجابة الالهية المستمرة للملائكة والبشر على حد سواء، اي ان الاستفهام الذي يطلقه الملائكة ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. يجعلنا نتخيل أن الباري عز وجل يقول للملائكة: دونكم الحسين مصداقا لادم الذي ينشد الصلاح والاصلاح، افلا يستحق مثل الحسين ان يكون خليفة لي على الارض، الا يستحق مثل الحسين وهذا فعله ان نخلق الارض له ولامثاله ليعيشوا فيها مصلحين ويرثوها فيما بعد.ومنهج الامام في مواجهة الفساد ونفيه واضح غير خاف لمن يعيد قراءة وصية الامام عليه السلام لاخيه محمد بن الحنفية، فقد كان من جملة وصيته قوله عليه السلام «واني لم اخرج اشراً ولا بطراً، ولامفسداً، ولاظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر....»[٣٨]، فشعار الحركة الحسينية هو(الاصلاح) وهو خلاف ما يحذره الملائكة من وجود الانسان على الارض.

٢- الاطروحة الثانية: الامام الحسين عليه السلام ليس هو المصداق الاوحد في سلسلة الاجابة الالهية عن استفهام الملائكة، وهم يحاورن الله سبحانه وتعالى في قضية خلق ادم واستخلافه على الارض. فهناك المسيح عليه السلام مثلاً - فقد اجتمع الناس على

صلبه - وقد شبه لهم ذلك - وهو يقود حركة اصلاحية انذاك، وهناك يحيى بن زكريا عليه السلام وفي ذكر الامام لقصته اشارة لتشابه ما احاط بهما من ظلم وحيف وقد ذكَر الامام بذلك عبد الله بن عمر اذ يقول عليه السلام «هيهات يابن عمر! ان القوم لايتركونني...اما تعلم يا عبد الله ! ان من هوان هذه الدنيا على الله تعالى انه اؤتي برأس يحيى بن زكريا عليه السلام، الى بغيَة من بغايا بني اسرائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم؟ اما تعلم ابا عبد الرحمن ان بني اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في اسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئا».[٣٩]

٣- الاطروحة الثالثة:

يبدو ان سلسلة الاسماء التي هي عنوان (الاصلاح) ومصداقه هي الاسماء التي علمها الله آدم أنبأ بها الملائكة انذاك ليزدادوا اطمئناناً ويقيناً بالحكمة الالهية التي لاجلها خلق الله آدم واستخلفه في الارض.

٤- الاطروحة الرابعة: وفي كلام الامام اشارة الى ما كان يخشاه الملائكة من سفك الدماء ففي حواره مع الاخر يوم العاشر ذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين عليهما السلام «هذان سيدا شباب اهل الجنة»[٤٠] ، ثم قال للآخر «اما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟».[٤١]

وقد يتيسر لغيرنا قراءة هذه النصوص على غير هذا النحو من الملاحظات او العرض على القرآن الكريم، ولكن شريطة ان يكون الرابط بقرآئن لفظية ومقامية تسوغ ما يذهب اليه وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام اننا يجب ان نعرض ما يصلنا عنهم على القرآن الكريم فما وافقه فهو منهم، وما لم يوافقه نضرب به عرض الجدار.

وعليه فاطوار القراءة الآنفة الذكر - وهذه الحال - مقبولة ولكنها ليست القراءة الاخيرة او النهائية لان باب استنطاق النصوص ومحاكمتها مفتوح على وفق معطيات العصر وتطوره.

ولا اشك في ان محاورة (الاخر الضمني) على هذا النحو تتساوق وتطلعات المتلقي الذي يطلب ترسيخا لعقيدته على نحو اكثر نقاء وخلوا من

العيوب الفكرية، ومواكبا لتطلعات العصر المبنية على اعادة القراءة على نحو واع.

- (الآخر المسلم) ومن المنطق نفسه نقترح الاجابة الاتية:

١- مقدار الفساد او سفك الدماء الذي يتعمده الظلمة من البشر هو الذي جعل الملائكة يستفهمون عن ضرورة وجود الانسان على الارض، ولذلك كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يكشف لهم عن وجود خط اصلاحي يواجه الفساد ويحاربه، وفي هذا الركب سار كثير من الناس والاولياء والصالحين ولاشك في ان الامام الحسين عليه السلام بلحاظ الوثائق التاريخية انما خرج لطلب (الاصلاح) وطالما كان هذا شعاره وغايته، فهو يواجه خط الفساد ومصاديقه كثيرة نحو هابيل وفرعون والسامري، ويزيد وسلسلة من اغواهم ابليس، فابتعدوا عن رحمة الله وسراطه المستقيم، وهنا يذكر الامام الحسين عليه السلام ضمن سلسلة الانبياء والاولياء والصالحين الذين ان كانت غايتهم الاصلاح. وهم في وجه من وجوه وجودهم شكل من اشكال الاجابة الالهية عن ذلك الاستفهام الملائكي.

وعليه فان غاية الحسين عليه السلام وما جوبه به، ضدان؛ الاول يمثل الاصلاح، والثاني يمثل الفساد، وعلى الاخر المسلم ان يقرر مع من يكون ؟ ولاشك فان خياره اصلاحي حسيني اذ اخذ بنظر الاعتبار الخيار الذي اختاره رمز من رموزه ففي حواره مع عبد الله بن عمر يقول الامام الحسين عليه السلام «اتق الله ابا عبد الرحمن! ولا تدعن نصرتي واذكرني في صلاتك. فوالذي بعث جدي محمداً صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً

لو ان اباك عمر بن الخطاب ادرك زماني لنصرني كنصرته جدي، واقام من دوني قيامه بين يدي جدي، يا بن عمر! فان كان الخروج معي لما يصعب عليك ويثقل، فانت في اوسع العذر، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم، ولاتعجل بالبيعة لهم حتى تعلم الى ما تؤول الامور».[٤٢]

– الاخر الانسان: لا ينكر احد ما لكلمة الاصلاح من وقع على مختلف مستويات الوعي الانساني فما من حركة سياسية، اواقتصادية، او اجتماعية، او دينية، الا ورافقتها حركات اصلاحية لا تريد تدميرها، وانما تريد تاطيرها بالاطار الذي يدفعها الى الغاية التي لاجلها وجدت وبذلك تحصنها من الفساد، وان كانت حركة الحسين تحت راية الاصلاح لما لاحظته مما اعترى الاسلام والمسلمين في حسينه، فعلينا ان نقدم الحسين ضمن السلسلة الثائرة بوجه الفساد والظلم ومصاديقها كثيرة في العالم، الامام الحسين اذا شئنا تقديمه للاخر الانساني يجب ان يكون على اساس انسانيته، وانسانيته فقط لكي لايكون الاخر في ارتياب مما نحن بصدده، فهو يمتلك هوية قد تكون دينية اوغير دينية، ومنظومة القيم التي يؤمن بها يصعب عليه ان يراك تهاجمها، وان علينا بدءا ان نتناغم مع مايتوافق منها مع الاسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة اهل البيت عليهم السلام لكي نحرز اصغاءه لما نقول ونؤمن جانبه على الاقل ولانكون معه على قطيعة فلا يعرف ما عندنا من خير له، ولانعرف مايضمره لنا «ولعل سائلاً يقول هل يجوز السلام على العاصي؟ ويجيب الامام عليه السلام: يراه الله عز وجل للتوحيد اهلا، ولانراه للسلام عليه اهلا».[٤٣]

الحوار الذي نريده هو الحوار المتكافىء الذي لايسخر من ثوابت الاخر وان يحترمها لاننا جميعا الى الله منقلبون، فيخبرنا بما صلح من افعالنا وما طلح.

– الحوار الذي ننشده يرسخ ما نعتقده على نحو علمي من دون تشنج وتزمت.

– الحوار الذي نريده لا نطمس به هوية احد، وانما نريد به فهم الاخر لنا كما نعتقد لا كما يفسره هو، والمطلب نفسه من انفسنا اي ان نفهم الاخر كما يعتقد هو لا كما نفسره نحن.

– الحوار المنشود دعوة للتعايش واستيعاب الاخر مهما كانت هويته لان الناس صنفان كما يرى مولانا امير المؤمنين عليه السلام اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق.

ونظيري في الخلق يقول:

كن بلسماً إن صار دهرك ارقما
وحلاوة ان صار غيرك علقما
احسن وان لم تجزحتى بالثنا
اي الجزاء الغيث يبغي ان هما
فاعمل لاسعاد الورى وهنائهم
ان شئت تسعد في الحياة وتنعما
ايقظ شعورك بالمحبة ان غفا
لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
لو لم يكن في الارض الا مبغض
لتبرمت بوجوده وتبرما
لا تطلبن محبة من جاهل
المرء ليس يحب حتى يفهما[٤٤]

الهوامش

١ - ينظر: التعريفات للجرجاني:
٢- ينظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن: ٣٠
٣ - المعجم الفلسفي، جميل صليبا :٣٤١/٢.
٤- ينظر مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٣٣، ولسان العرب، ابن منظور: مادة (جدل)
٥- ينظر: المفردات في غريب القرآن :١١٧.
٦ - الكليات، العكبري :١٤٥.
٧- التعريفات:
٨- المصدر نفسه:
٩ - المجادلة / ١.
١٠- العنكبوت /٤٦.
١١- النحل / ١٢٥.
١٢- هود / ٧٤.
١٣- غافر /٤٠
١٤- غافر / ٥٠
١٥- الحج /٨ ، لقمان / ٢٠.
١٦ - الحج /٣.
١٧- يمكن مرجعة هذه المعاني في المعجمات الاتية: القاموس المحيط، لسان العرب، تاج العروس
١٨- ينظر دراسة في اسلوب الحوار في القرآن الكريم، د.اسحاق رحماني: www.nurmajalla.com
١٩ - الانشقاق / ١٤
٢٠- الكهف / ٣٤.
٢١- الكهف / ٣٧.
٢٢- المجادلة / ١٠
٢٣- فنون الحوار والاقناع، محمد راشد ديماس: ١١. وينظر: دراسة عن اسلوب الحوار في القرآن (انترنت)
٢٤- معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد :٢١٢.
٢٥ - دراسة في اسلوب الحوار في القران الكريم (انترنت)
٢٦- الحوار في القرآن الكريم ؛ قواعده واساليبه ومعطياته، محمد حسين فضل الله: ٥٢.
٢٧- الكهف / ٥٤.
٢٨ - حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري في بلاد الشام والعراق: ١٥
٢٩- البقرة / ٣٠- ٣٣.
٣٠- الاعراف / ١١- ١٨.
٣١- ينظر منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة عن أسلوب الحوار في القران الكريم اسحاق رحباني
٣٢- الجاثية /٢٤.
٣٣- المائدة / ٦٤.
٣٤- المائدة / ٧٣.
٣٥ - يس /٤٧
٣٦- خطاب الإسلاميين ,المستقبل، غسان بن جدو ص١١٧
٣٧ - اصول الكافي: ٦٧.
٣٨ - بحار الانوار :٣٢٩/٤٤.وينظر: المناقب لابن شهر اشوب :٨٩/٤. وموسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام :٣٥٤.
٣٩- موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: ٣٧٤.
٤٠- الانساب، السمعاني: ٤٧٧/٣.
٤١ - الامام الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الاموي، السيد سامي البدري: ١٩٣.
٤٢- الفتوح، ابن اعثم الكوفي: ٢٦/٥. ومقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي: ١٩٢/١. وموسوعة كلمات الامام الحسين: ٣٧٤ .
٤٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير: ٢/ ١٥٣ وينظر: الامام الحسين السفر الانساني، د. حسين قطب:١٢.
٤٤- الابيات مختصر قصيدة الشاعر العربي ايليا ابي ماضي(كن بلسما) وهو يرحب فيها باحد رجال الدين المسيحيين.ينظر: ديوان الشاعر.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
بالمؤمنين رؤوف رحيم
حريص عليكم
٦ ١٤٠٠هـ

تزكية النفس
في القرآن الكريم

السيد حسين نجيب محمد

اهمية التزكية:

تعد تزكية النفس من الاخلاق القرآنية لأن القرآن الكريم بيّن أنّ هدف بعثة النبي محمدﷺ تزكية النفوس فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]، وقد ورد في دعاء ابراهيم الخليلعليه السلام ما يؤكد الهدف لبعثة الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله فقال تعالى: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

فبداية دعوة النبي محمدصلى الله عليه وآله وسائر الانبياءعليهم السلام دعوة الناس لتزكية نفوسهم لذا نجد أن نبي الله موسىعليه السلام بدأ دعوته لفرعون بضرورة تزكية النفس، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾.[4]

ومن هذه الآيات المباركة ندرك أن أشرف الاعمال، وأعظم الاخلاق العمل بالتزكية فعن الامام عليعليه السلام انه قال: «الاشتغال بتهذيب النفس اصلح».[5]

معنى التزكية:

التزكية تعني النمو والزيادة، ومن ذلك قول الامام عليعليه السلام: «والعلم يزكو على الانفاق»[6]، فتزكية النفس تنميتها للوصول بها الى الكمال اللائق بها، فكما ان الجسد ينمو من الطفولة وصولاً الى الصبا ثم الشباب، فأن النفس تنمو كذلك مع الفارق بينهما وهو أن لنمو الجسد حدا ينتهي بالموت، وأما الروح فلا حدود لها، ولتقريب ذلك نأخذ مثالاً العقل، العقل لا حدود له، فهو ينمو

ويتكامل ولا حدود لنموه بل انه كلما ازداد الانسان علماً وتفكيراً ازداد نمو نفسه، وهكذا الحال في النفس فأنها تنمو وتنمو ولا حدود لتنميتها فإن مراتب الكمال لا متناهية، و سميت الصدقة بالزكاة لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، او أنه يزيد في الثواب، ومنه زكاة البذور في الارض اي تنميتها وتربيتها كي تصل الى مرحلة الشجر فتعطي الثمر.

كيف نزكي انفسنا :

ان تزكية النفس تشبه تزكية البذور في الارض، فكما أن المزارع يزيل الاشواك من الارض وينظفها من الاوساخ والقذارات ثم يزرع البذور ويتعهدها كي تنمو، وتثمر، كذلك الحال في تربية النفس البشرية وهذا ما يعبر عنه علماء الاخلاق بطريقة (التخلية والتحلية) فإذا تم الامران حصلت التزكية.

والمراد من التخلية ازالة الصفات السيئة في الانسان، والمعبر عنها في الروايات بالذنوب، ورذائل الاخلاق: كالكفر، والظلم، والحسد، والنفاق، والعجب، والكبر، والحرص، والى غير ذلك.

قال الشيخ محمد جواد مغنية: سألني احد طلابي: ما هي الغاية من علم الاخلاق؟ فقلت له: إن وظيفة هذا العلم كوظيفة البلدية؛ هذه تقوم بتنظيف الازقة من القذارة، والنفايات، وعلم الاخلاق يهدف الى تطهير القلب من الرجس كالغش، والحقد، والحسد. [٧]

والمراد من التحلية اتصاف النفس بالفضائل ومكارم الاخلاق كالإيمان والعمل الصالح والعدالة والرحمة والاحسان وغير ذلك من مكارم الاخلاق.

ومن طرق التزكية :

١ــ ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[٨]. فالمسلم يزكي نفسه بذكر الله تعالى - قلباً ولساناً - وبالصلاة

٢ــ الصدقة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٩].

٣ــ طاعة الله تعالى: فعن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.[١٠]

انه قال: «قد افلح من اطاع وقد خاب من عصى».

٤ــ الدعاء: فعن رسول الله ص انه قال حين تلا قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. «اللهم آتِ نفسي تقواها، انت وليها ومولاها، وزكها أنت خير من زكاها».[١١]

٥ــ اختيار الطعام الزكي: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.[١٢] وهذه الآية تشير بالضرورة الى أن نربّي انفسنا واولادنا على ان يختاروا ازكى الاطعمة فلا يختاروا ما يضرّهم ويبعث القسوة في قلوبهم، فقد ثبت أن للطعام اثراً في تربية النفس وحياة القلوب وموتها.

٦ــ التخلق بالآداب الاجتماعية: ومن ذلك ادب الزيارة قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا

نَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (١٣).

٧ــ العلم والفقه: فإن الله تعالى يقرن التزكية بالتعليم فيقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾. (١٤)

وهنا لا بد من الاشارة الى أن للوقاية أثراً مهماً في تزكية النفس وهو المعروف في الرواية بالتقوى فقد ورد في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾(١٥). وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(١٦)، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾. (١٧)

ولتزكية النفس طرائق عديدة تكفلت ببيانها كتب العرفان ومنها (تزكية النفس) للسيد كاظم الحائري.

وليعلم الانسان أن تزكية النفس بحاجة الى توفيق الهي، فكم من اناس حاولوا ذلك ففشلوا لما فيه من مشقة وتعب لذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾(١٨)، وقد ذهب بعض المفسرين الى أن قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾(١٩) بمعنى (افلح من زكاها الله تعالى).

فوائد التزكية:

إن نتيجة التزكية تعود الى الانسان في دنياه وآخرته، فأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٢٠)، ومن تلك الثمار:

١ــ الفَلاح: قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾(٢١)، وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (٢٢).

والفَلاح هو الظفر بالمطلوب والمراد به في الآيات الكريمة (الفَلاح الاخروي الدائم اي الذي لا يزول، فهو بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ومن دون الفَلاح الدنيوي الذي هو عبارة عن الغنى والعز والبقاء الزائل، فإنه غير معتنى به عند اولياء الله تعالى فضلاً عنه عز وجل). (٢٣)

وفي هذا السياق اودّ الاشارة الى أن بعض الآيات قالت: (لعلكم تعلمون)، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(٢٤)، وفي آيات: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾(٢٥)، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (٢٦).

٢ــ الانتقال الى العالم الاخر من دون عذاب: فأن سبب العذاب في الاخرة هو ما ينقله الانسان معه من اخلاق سيئة الى الاخرة كما يقول الامام زين العابدين عليه السلام: (ومن يكون اسوا حالاً مني ان انا نقلت على مثل حالي الى قبر لم امهده لرقدتي)، فإذا زكى الانسان نفسه انتقل باطمئنان ورضي بما اتاه الله كما يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.[٢٧]

٣ـ الكرامة الى الله تعالى: فعن الامام علي عليه السلام انه قال: (ليس على وجه الارض اكرم على الله من النفس المطيعة لأمره).[٢٨]

٤ـ دخول الجنة: فهو جزاء التزكية قال تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾[٢٩]، فلأهل التزكية الدرجات العالية في جنات عدن.

٥ـ التحلي بالأخلاق الحسنة: وهو ما ينعكس على الانسان – سعادةً وكمالاً – وينعكس على الاخرين، فصاحب النفس الزكية يتعامل مع اسرته وجيرانه بمنتهى الاخلاق والآداب.

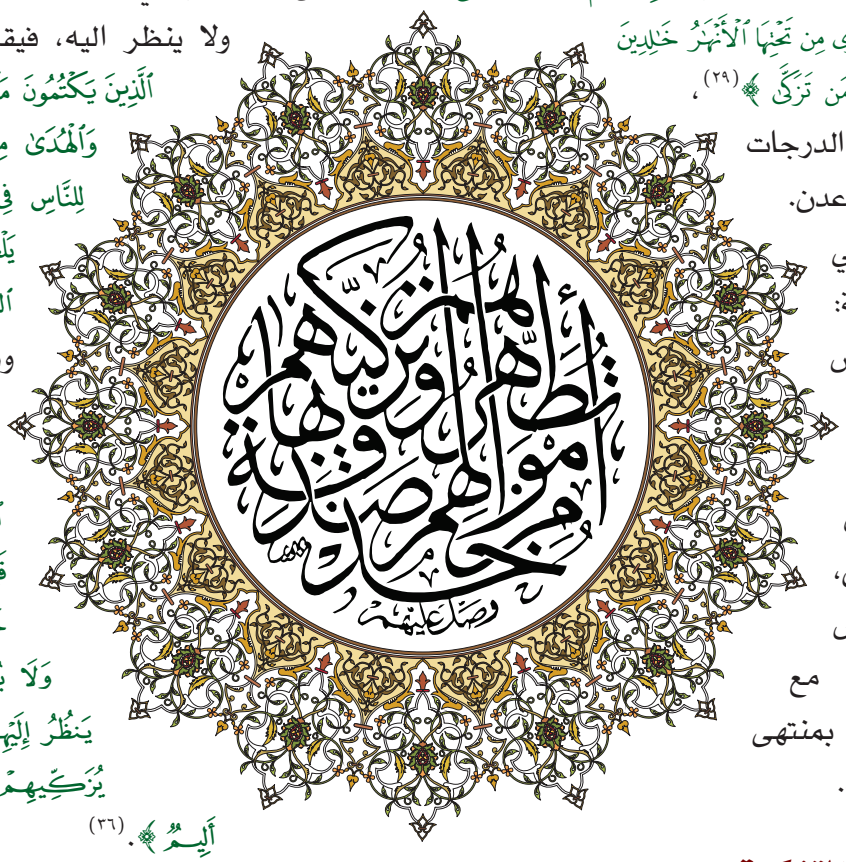

سلبيات عدم التزكية:

واذا لم يهذب الانسان نفسه فإنه يعرضها للشقاء، والخسارة في حياته، وبعد مماته ويقول تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٣٠]، والدس: الدفن في التراب كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٣١] فيكون المعنى ان الخائب هو الذي يدس نفسه في الذنوب والمعاصي كما روي عن الامام الصادق عليه السلام في معنى الآية أنه قال: «قد افلح من طاع وخاب من عصى»[٣٢] وعن الامام عليه السلام: «من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة»[٣٣] وعنه عليه السلام: (من لم يدارك نفسه بإصلاحها اعضل داؤه واعياً شقاؤه وعدم الطبيب).[٣٤]

ومن شقاء العبد في الآخرة ان الله تعالى لا يزكيه ولا ينظر اليه، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٣٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.[٣٦]

النفس الزكية:

النفس الزكية هي النفس الكاملة الطيبة كنفوس الانبياء، والائمة عليهم السلام ومنهم السيد المسيح عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾[٣٧].

ومنهم (النفس الزكية) الذي هو من علامات ظهور الامام المهدي(عج) ففي الرواية عن الامام

الباقر عليه السلام انه قال: «وقتل غلام من ال محمد عليهم السلام بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية.... فعند ذلك خروج قائمنا».[٣٨]

التزكية بين الحقيقة والادعاء:

إن تزكية الانسان لنفسه من الافعال المذمومة، وذلك لأنه نتيجةً للغرور والعجب وتوهم الكمال، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[٤٠]

وفي التفسير عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا يفتخر احدكم بكثرة صلاته وصومه وزكاته ونسكه لان الله عز وجل اعلم بمن اتقى».[٤١]

وعن جميل بن دراج قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فقال عليه السلام: قول الناس صليت البارحة وصمت امس فقال عليه السلام: لكني انام الليل ولو اجد بينهما شيئاً لنمته».[٤٢]

نعم هناك حالات يجوز للإنسان ان يزكي فيها نفسه كما اذا كان في مورد دفع تهمة، او دفاع عن حق، او اثبات فضيلة، ومن ذلك قول النبي يوسف عليه السلام لحاكم مصر ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، فقد قيل للإمام الصادق عليه السلام ما يجوز للمرء ان يزكي نفسه؟ فقال عليه السلام: «نعم اذا اضطر اليه، اما سمعت قول يوسف ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وقول العبد الصالح ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾».[٤٣]

الهوامش

١ــ الجمعة: ٢.
٢ــ آل عمران: ١٦٤.
٣ــ البقرة: ٩.
٤ــ النازعات: ١٧ــ ١٩.
٥ــ ميزان الحكمة: مادة النفس.
٦ــ نهج البلاغة: الكلمة ١٤٧.
٧ــ فلسفة الأخلاق: ص٢٠٢.
٨ــ الأعلى: ١٤ــ١٥.
٩ــ التوبة: ١٠٣.
١٠ــ الشمس: ٧ــ١٠.
١١ــ الأمثل: ج٢، ص١١٩.
١٢ــ الكهف: ١٩.
١٣ــ النور: ٢٨.
١٤ــ الجمعة: ٢.
١٥ــ النور: ٣٠.
١٦ــ الحشر: ٩.
١٧ــ الأنعام: ١٥١.
١٨ــ النور: ٢١.
١٩ــ الشمس: ٩.
٢٠ــ فاطر: ١٨.
٢١ــ الشمس: ٩.
٢٢ــ الأعلى: ١٤.
٢٣ــ مواهب الرحمن: ج٣، ص١٢٥.
٢٤ــ المائدة: ٣٥.
٢٥ــ الشمس: ٩.
٢٦ــ المؤمنون: ١.
٢٧ــ الفجر: ٢٧ــ ٣٠.
٢٨ــ ميزان الحكمة، مادة النفس.
٢٩ــ طه: ٧٥ــ ٧٦.
٣٠ــ الشمس: ١٠.
٣١ــ النمل: ٥٩.
٣٢ــ الأمثل: ج٢، ص٢١٩.
٣٣ــ ميزان الحكمة: مادة فضح.
٣٤ــ المصدر نفسه.
٣٥ــ البقرة: ١٧٤.
٣٦ــ آل عمران: ٧٧.
٣٧ــ مريم: ١٩.
٣٨ــ الإمام المهدي واليوم الموعود: ص٣٠٢.
٣٩ــ النجم: ٣٢.
٤٠ــ النساء: ٤٩.
٤١ــ الأمثل: ج١٧، ص٣٦.
٤٢ــ الفرقان: ج٢٧، ص٤٥٠.
٤٣ــ المصدر نفسه: ص٤٤٨.

إنسانية الخطاب القرآني مع الآخر المختلف

م.م. علي محمد شندي

مقدمة

إنّ عدمَ التصديقِ بما جاءَ به الخطابُ القرآني، اعتقاداً وسلوكاً أنتج لنا نمطاً من المتلقين الرافضين لمضمون هذا الخطاب، مثلوا بسلوكياتهم موقف التضاد والاختلاف مع حقائق القرآن في العقيدة والفهم والنظرة إلى الحياة .

وتَمَثُّلُ نصوصِ القرآن فيما تناولتْ به المتلقي المضاد، حقيقةَ الخطاب وإنسانيته ببعدها العلائقي مع الآخرِ المختلف والذي بإبرازه وإثباته ومقاربته نهجاً في حُسْنِ التعامل مع الإنسان ذاتاً، غيرَ معتقدةٍ ولا مصدقةٍ لتعاليم شرعةِ الإسلام. نكونُ قد حفظنا الإنسان في جميع أنماطه المؤتلفة والمختلفة مع مضمون القرآن الكريم بما يُحَقِّقُ إنسانية الدين وإنسانية الخطاب القرآني.

والمتلقي المضاد (المختلف) ينقسمُ مِنْ حيث اعتقادِه ومواقفِهِ بمضمونِ الخطابِ على أربعة أقسام:

١ - المنافق:

هو ذلك المتلقي الذي لَمْ تحصلْ لَهُ القناعةُ والتصديقُ بمضمون الخطابِ القرآني، فآثرَ أن يتظاهرَ بالإيمانِ ويُبْطِنَ الكُفْرَ إما طمعاً في مكاسبِ الانتماءِ للمسلمين أو خوفاً من سطوتهم.

والمنافِقُ : اسمُ الفاعلِ مِنَ النِّفاقِ وهو في عُرْفِ القرآنِ إظهارُ الإيمانِ وإبطانُ الكفر[١].

ومادامَ المنافقُ قَدْ تشهَّدَ الشهادتين فإنَّهُ مسلمٌ ظاهري، وإضمارُهُ الكُفرَ لا يُخْرِجُهُ من دائرةِ الإسلام، وتَنطَبِقُ عليه كُلُّ قواعدِ وأحكامِ الإسلام في الحقوق والواجبات «ويجبُ أنْ نتعاملَ معه كمسلم بغضِ النظرِ عن واقعِه وعنْ حقيقةِ مُعتقدِهِ الذي يُخْفِيهِ في نَفسِه»[٢].

ولمّا كانَ مِنْ غاياتِ الخطاب القرآني، بناءُ مجتمعٍ متماسكٍ يحفظُ للإنسانِ كرامتَهُ ووجوده المعنوي، فإنَّ مُعالَجَتَهُ لمسألةِ المنافقين اشتملتْ على:

الإشارةِ إليهم جماعةً في المسلمين، والتأكيدِ على وجودِهم في الجسدِ الإسلامي في المرحلة المدنية من الدعوة، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.[٣]

ب - جَرى ذِكْرُ الخطابِ لهم بالصفةِ دون التعيين في كلِّ النصوص التي تناولتْ أقوالَهم وأفعالَهُم وذكرُ صِفاتِهم فَمِنْ أقوالهم، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.(٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.(٥)

ومِنْ أفعالِهم وإذا قِيلَ لَهُم تَعالوا يَسْتَغفر لَكُمْ رسولُ اللّهِ لوّوا رؤوسَهم ورأيتَهم يصدون وهُم مستكبرون(٦)

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾.(٧)

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.(٨)

ومما جاءَ في الخطابِ من صفاتِهم قوله تعالى وإذا رأيتَهُم تُعْجبُكَ أجسامَهُم وإنْ يقولوا تسمعْ لقولِهم كأنَّهُم خشبٌ مسندةُ يَحسبونَ كلَّ صيحةٍ عليْهِم هُمْ العدوُّ فأحذرْهُم قاتَلَهُم اللّه أنّى يُؤفَكون(٩).

جـ - توعدَهم الخطابُ بأعنف القول والتهديد بأشدِّ العذاب في النار جزاءَ أعمالِهم وسلوكياتِهم التي كانت تؤذي الرسولﷺ والمسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(١٠)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(١١)، ومن متابعة النصوص أعلاه، يُمكن أنْ نلحظَ أنّ المنافقين، جماعةً في المسلمين، خَصَّهُم القرآنُ بمساحة كبيرةٍ من الآيات حتى نَزلتْ فيهم سورةٌ كاملةٌ (المنافقون) وبالغتْ الآياتُ في وصفِهم، وحالاتِهم، وتوعُّدِهم بالعذابِ، إلاّ أنّ الخطاب القرآني وعلى الرغم من حساسية التعامل مع هذه الفئةِ ؛ كانتْ لهُ خطوطٌ من الإنسانية والتعاملِ معهم بما يحفظُ لهم ذواتهم وجماعة المسلمين تمثلت بما يأتي :

١ - لمْ يُصرَّحْ بأسمائهم أبداً، ولم يُعزلْ أحدٌ أو جماعةٌ منهم، بل كان لهم كلُّ ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، يجري ذلك في مشاركتِهم في الحضورِ مع جماعة المسلمين في حالات السلم والحرب، ومشاركتِهم للمسلمين عطاءهم المفروض لهم، وغنائمهم في الحرب.

٢ - كلُّ الآيات التي توعدتهم بالعذابِ لَمْ يُلحَظْ فيها الاعتقاد الباطني؛ بل كانتْ تَردُ بعد التأكيد على سلوكِهم العملي الذي يؤذي النبيﷺ وجماعةِ المسلمين، فَهُم في سلوكياتِهم تلك مثلوا مشاريعَ هدم لبناءِ الإسلام من الداخل، ولإصرارهم وعنادِهم وعدمِ توبتهم جرى الخطابُ في حِدَّتِهِ مُعَرِّضاً، ومؤنِّباً، ومتوعِّداً لهم بالعذاب جزاءً للعمل، لأنّ اعتقادَهم يُمَثِّلُ مرضاً شأنُهُ في ذلك شأنُ الحالات التي تُصيبُ الإنسان، وربَّما شُفِيَ منها. وقدْ تَجَنَّبَ الخطابُ في إنسانيته الوعيدَ لهم بذلك إلاّ بعدَ أنْ ترجموا ذلك الاعتقادَ إلى سلوكٍ بما لا يُرجى منهُ شفاءٌ .

٣ - إنّ الخطابَ القرآني لمْ يقطعْ الأملَ منهم على الرغم من أقوالهم وادعاءاتهم ؛ بل كان يُحفِّزُ فيهم روحَ الإيمان ويَمَنِّيهم بالمغفرة والتوبة، قال تعالى: قالتِ الأعرابُ آمنا قلْ لمْ تؤمنوا ولكنْ قولوا

أسلمْنا ولمّا يَدخُلِ الإيمانُ في قلوبِكم وإنّ تُطيعوا اللّه ورسولَهُ لا يَلِتْكُم من أعمالِكُم شيئاً إنّ اللّه غفورٌ رحيمٌ[١٢].

٤- يُضافُ لِما تقدمَ أنّ الخطاب القرآني كان يأمرُ النبيﷺ بالإعراض عنهم وعن مخططاتهم العدائية بما لا يجعلُ النبيﷺ يعيشُ العقدة معهم في التعامل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[١٣].

فاللّه تعالى ومِنْ إنسانيةِ خطابه يأمرُ نبيَّهُ في أنْ ينصرفَ عن مجازاةِ المنافقين وعقوبتهم بالإعراض عنهم. وكان رسولُ اللّه يُداري المنافقين ما أمكَنَهُ لأجلِ تظاهرهم بالإسلام ومـأموراً بالتعامل معهم على حسبِ ظواهرهم[١٤].

ومُمْكِنُ القولِ إنّ المنافقين وعلى الرغم منْ خطورتهم ومواقفهم العدائية حافظَ الخطاب القرآني على ذاتهم الإنسانية عندما أتى على ذكر صفاتهم ومواقفهم الخطرة، وقد تمثّل ذلك في سياسة النبيﷺ معهم فلَمْ يعتقلْ أحداً بتهمةِ النفاق أو يُصادِرْ مالاً بذريعة إبطان الكفر، بل تمتعوا بكامل حقوقهم المدنية.

بل كانوا يحضرون المسجدَ ويُدلون بآرائهم في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية ويسمعُ لهم النبيﷺ وعندما ينفعلُ بعضُ الصحابة تجاه استفزازات بعض هؤلاء ويَطْلِب الأذن من النبيﷺ لردعه وقمعه، كان الرسولﷺ يرفض ذلك .

الخلاصة في خطاب المنافقين، وعدّه إنسانياً، من خلال التجاوز لاعتقادهم الباطني، والإعراض عن ذكر أسمائهم رغم خطورة ما كانوا يقدمون عليهم من الإساءة والمؤامرات للإسلام ونبيه عليه أفضل الصلوات ودائم التسليم.

٢ - الكتابي:

الكتابي مفردٌ من الكتابيين، وهم أهلُ الكتابِ، اشتملتْ آياتُ القرآنِ الكريم خطاباً لأهلِ الدياناتِ السماويةِ السابقةِ، وجاءَ التعبيرُ عنهم بعدة صفاتٍ لهم، منها بوصفهم «أهل الكتاب : وهم قرّاء التوراة والإنجيل»[١٥]، أو يُرادُ بهم اليهود وهم أتباعُ النبي موسىعليه السلام، أو النَصارى أتباعُ عيسىعليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[١٦].

ويَرِدُ ذكرُ الصابئين، في جماعةِ أهلِ الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٧]، ولا يُراد بالصابئين هنا عبدةُ الكواكب بل إنّهم أصحابُ دينٍ سماوي، ولَهُمْ كتابٌ يُنسبُ إلى يحيى بن زكرياعليه السلام[١٨].

وقد ذكر الراغب في مفرداته أنّ الصابئين قـومٌ كانـوا على ديـن نوحعليه السلام[١٩]، وذِكْرُهُمْ إلى جنب المؤمنين واليهود والنصارى يدلُّ على أنّهم أتباع دين سماوي[٢٠].

ويأتي الذكرُ في القرآن عن أتباع الديانات جميعها وبضمنها السابقة القديمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢١].

ويُلْحَظُ في هذا النص أنّ الخطاب شَمِلَ الصابئين والمجوس، مضافاً للذين آمنوا واليهود والنصارى باعتبار مسألة عبادة الله منهم جميعاً كنقطةِ الانطلاقِ في الاعتراف أجمالاً بوجودِ خالقٍ ومدبرٍ لهذا الكون، ليأتي بعد ذلك التأكيد على تفصيلات تلك العبادة التي تختلف تحريفاً أو إضافة أو حذفاً بحسبِ ما وقعت فيه تلك الأصناف بدليل قوله تعالى إنّ الله يفصلُ بينهم يوم القيامة[٢٢]، ومن هنا لمْ يَرِدْ ذِكْرُ الكافرين أو منكري أصلِ فكرة الله الخالق. والمشركون وإنّ كانوا في النص يُمثلون الطرف الأبعد عن مبدأ التوحيد إلا إنّ انطلاقهم منها، لكنَّهم أشركوا مع الله آلهةً وأصناماً.

وأمّا المجوس فالمعروف أنهم كتابيون وديانتهم من الديانات القديمة لكنّهم انحرفوا عندما أثبتوا لتدبير العالم مبدأي الخير والشر، والنور والظلمة[٢١].

والخلاصة مما تقدم أنّ أهل الكتاب أو الكتابيين مصطلحٌ يُخاطبُ به اليهود والنصارى والصابئين والمجوس، مع لحاظِ أنّ الأغلب في ما ورد في الخطاب القرآني ينصرفُ إلى اليهود والنصارى لأنَّهم الأقربُ إلى زمن النبيﷺ، وأمر

موسى وعيسى عليهما السلام وذكرُ التوراةِ والإنجيلِ وردَ كثيراً مقروناً بهم.

وفي الخطابِ القرآني لنمطِ المخاطب الكتابي مقارباتٌ عقائديةٌ تسمو في فضاءِ التكريم بوصفِها تَلْحَظُ فيه متلقياً موحداً ومهتدياً بالأنبياءِ متبعاً لِما جاءوا به في كتبهم السماوية، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.[٢٢]

ونودوا كذلك بنقطةِ الالتقاءِ والتوحدِ العبادي الذي انطلقَ فيه الموحدون من أتباع الدياناتِ السماوية في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢٣]، فالآية تدعوهم إلى حقيقة واحدة تكون سواء بالنسبة لنا جميعاً فلا امتياز لنا عليكم ولا امتياز لكم علينا وهذه الحقيقة هي توحيد العبادة في الله ،ما يرسم معنى الوحدة للإنسان عن طريق الإيمان الواحد والاتجاه الواحد والقبلة الواحدة والمثال الواحد[٤٣] وجرى في الخطاب محاولة تقريبهم من خلال امتداح صفة معرفتهم بالله وأنبيائه وكتبه وما هم عليه من نعمة الله، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤٤]، وبنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٥]، وهم أتباع السيد المسيح عليه السلام .

وجرى الخطاب في بُعْدِهِ الإنساني مع الكتابين عندما ساوى بينهم وبين المؤمنين في قاعدة العمل

والجزاء. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٤٦] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤٨].

ولعلّ مقاربات الكتابي في الخطاب القرآني أملت تشديداً وحصراً في حوارهم ومجادلتهم في أسلوب لا تقتصر على الحسنى كما في قوله تعالى وقولوا للناس حسناً[٤٩]، ولا على الموعظة الحسنة عند الدعوة إلى الله، قال تعالى أدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة[٥٠]، بل إنّ الخطاب القرآني حثَّ المسلمين على أكثر من ذلك مع أهل الكتاب لخصوصيتهم الدينية من خلال قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب ألا بالتي هي أحسن[٥١]، فالخطاب هنا يحث على (أحسن) الموعظة والإرشاد. وهذا فوق (الحسن) منها .

ويَرِدُ الحديثُ عن اليهود بعد نقضهم عهدهم مع الله في بيان حقيقة إنسانية الخطاب عندما يأمر الله نبيه بالعفو عن سلوكياتهم وتحريفاتهم وخيانتهم والصفح عنهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥٢]، فجاء الخطاب الإنساني ليؤكد الروح الإنسانية من خلال العفو والصفح وتركيزاً لقاعدة الإحسان الإنساني كأسلوب من أساليب احتواء الآخر بالمحبة والتسامح والرحمة.

بل مضى الخطاب بعيداً مع المتلقي من أهل الكتاب عندما تحدث عن أحكام أسلامية كان أهل الكتاب أقرب من غيرهم للمسلمين، فمع أن الإسلام يشدد في مسألة أحراز التذكية في ما يتم تناوله أباح للمسلمين مؤاكلة أهل الكتاب قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٥٣]، ولعمري كيف يمكن تصور مبادلتهم تناول الطعام دون أن تُشفع بمشاعر العلاقة الإنسانية والحركة الاجتماعية التي تنهض في ظل أجواء الثقة والحب والاحترام المتبادل.

ومن أحكام الإسلام ذات الأبعاد العلائقية مع أهل الكتاب رسمها الخطاب القرآني بحسب اجتماعي إنساني هو إباحة التزويج من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[٥٤].

وفي جواز الزواج من نسائهم وقرنهن بالمؤمنات المحصنات ما يؤكد حقيقة قربهم من المسلمين من سائر الطوائف لإيمانهم بالتوحيد ورسالات الأنبياء بخلاف المشركين المنكرين للنبوة[٥٥] .

ومن إنسانية أحكام هذا الزواج قول الفقهاء أنّه لا يجوز للزوج أنْ يمنع زوجته الكتابية من أداء عباداتها وشعائرها، بل ينبغي أن يصحبها إلى حيث تؤدي هذه العبادات في كنيستها وبيعتها[٥٦]، وذهب الأمر إلى رقة وحساسية بعض آراء الفقهاء

إلى القول أنّه لا يحق للزوج أن يَعرض الإسلام على زوجته أو يفاتحها في هذا الأمر. وذلك درءاً لشُبْهَةِ الإكراه في الدين[٥٧].

بقي أنْ نقول إنّ أهل الكتاب في منطق الخطاب القرآني هم أقرب للمسلمين من الكفار، فلقد بشر القرآن بنصر الروم على الفرس، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾[٥٨].

ولقد وصف القرآن قساوة المسيحية ورهبانهم بأنهم لا يستكبرون، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[٥٩]، والذي لا يستكبرُ يَكْرَهُ الاستكبارَ، والقرآنُ كُلُّهُ رفضٌ للظلم والعداوةِ والاستكبارِ ونصرٌ للمظلومين في الأرضِ، هكذا كان جميع أنبياء الله، وكذا كان خاتمهم محمدﷺ، ففي سيرته العطرة مع أهل الكتاب ما يرسم منهجاً إنسانياً، هو ترجمان دقيق وفهم معصوم لإنسانية الخطاب القرآني مع أتباع الديانات الأُخرى .

فلقد عامل أهل الكتاب (اليهود والمسيح) أحسن المعاملة، فقد كان يحضر ولائمهم ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات، التي تتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد فكان يقترض منهم ويرهنهم متاعاً ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن أقراضه وقد كان البعض منهم ثرياً وأنما فعل ذلك تعليماً للأمّة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام[٦٠].

ومن إنسانية رسول اللهﷺ أنّهُ زار غلاماً يهودياً مريضاً[٦١]، وكان يستغل أيّة مناسبة لإبراز كرامةَ الكتابي وكرامةَ أيّ إنسان، فقد روي «أنّه مُرَّ على رسول اللهﷺ بجنازة فقام فقيل له إنّه يهوديٌ، فقال أو ليس نفساً»[٦٢]، أي يكفي أنْ يكون المتوفى إنساناً لإظهار الاهتمام والاحترام لجنازته دون اشتراط أية صفة أُخرى فيه.

وبحدود قناعاتهم وتأخرهم عن التصديق بما جاء به رسول اللهﷺ لم تكن تلك المسألة لتخلق للنبيﷺ عقدة إقصاء أو إلغاء أو حذف أو اضطهاد فبعد الهجرة عامل اليهود أحسن المعاملة وعاهدهم في وثيقة المدينة المعروفة، ومما جاء فيها «إنّ يهود بني عوف أُمةٌ مع المؤمنين لليهود دينهم وأموالهم وأنفسهم إلا مَنْ ظلم نفسه»[٦٣] .

ولم يفرض عليم اعتناق الإسلام، بل ظلوا على عقيدتهم. وكان لهم من رسول اللهﷺ منهج العدل والإحسان في كل ممارساته معهم. ويروى في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ

بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٦٤].

أنّ أحد الأنصار سرق درعاً من جار له وخبأهُ عند رجلٍ من اليهود فلما أفتقد صاحب الدرع درعهُ عند الأنصاري حلف هذا كذباً، ولمّا عثر على الدرع عند اليهودي أخبر أنّ الأنصاري أودعه عنده فأنكر الأنصاري واحتكموا عند رسول الله ﷺ فحاولت بنو ظفر (أهل الأنصاري) أن يستغلوا حقيقة كون صاحبهم من المسلمين وأنّ اليهودي هو السارق، فما قنع رسول الله وهداه الله للحق وتبرئة اليهودي[٦٥]، بل أنّه ﷺ قبل يمين اليهود بعدم قتله أحد الصحابة في حي من أحياء اليهود ودفع ديته من أبل الصدقة[٦٦].

بقي أن نقول إنّ من إنسانية الإسلام والخطاب القرآني ما فهمه النبي ﷺ والمسلمون في تجربة الإسلام الأولى من ضمان لحرية العبادة وعدم الإكراه على اعتناق، فقد استقبل النبي ﷺ وفد نصارى نجران في مسجده وسمح لهم بإقامة صلاواتهم وطقوسهم داخل المسجد وإلى قبلتهم، ثم حاورهم بعد ذلك. وقد جرى ذلك في ما تلا ذلك في زمن لأنّ «الإسلام كفل الحرية الدينية لأهل الكتاب فهُم أحرارٌ في عقيدتهم وإقامة شعائرهم في كنائسهم ولهم أن يحددوا ما تهدم منها وأن يبنوا جديداً ولهم دقّ نواقيسهم إيذاناً بصلاتهم ولهم إخراج صلبانهم في يوم عيدهم»[٦٧].

بقي أن نقول :

إنّ ما ورد في الخطاب القرآني الحديث فيه ذم أهل الكتاب ووصفهم بالكفر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[٦٨]، إنّما هو موقف عقائدي منهم وصف القرآن، ذلك الموقف الذي يقفهُ الخطاب عندما يتحدث عن أية جماعة مسلمة أو أي فردٍ ينكر فريضة من فرائض الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.[٦٩]

فالكفر هنا من الكفر بالفروع نظير الكفر بترك الصلاة أو الزكاة، فالكفر هنا الترك ، فمن ترك الحج فقد كفر به، وهو كفر بالفروع نظير الكفر بترك الصلاة والزكاة[٧٠].

يؤيد ذلك ما ورد عن النبي ﷺ : «يا علي إنّ تارك الحج وهو مستطيع كافر»[٧١]، وتلا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، فالكفر تعني كل جحود وعصيان في الأصول والاعتقاد أو أحد الفروع والعمل ولا تدل كثرة استعمالها على الجحود الاعتقادي من انحصار معناها في ذلك .

ومن هنا نفهم أن وصف الكفر يرد في المسلمين وأهل الكتاب وغيرهم. فالآية تتحدث عن إنكار الحج، فكيف وهم ينكرون نبوة الرسول الخاتم ﷺ، وهكذا مع باقي أوصافهم في الخطاب القرآني من مثل (لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق، والغلو في الدين) فإنها نعوت لسلوكيات رفضها الخطاب القرآني منهم أو من غيرهم، وأهل الكتاب والمسلمون في ذلك سواء. وكذلك الأمر مع توعدهم بالعذاب فهو إنما بلحاظ الجزاء على العمل السيئ، الأمر الذي يشمل كل المخاطبين بالقرآن بما فيهم المسلمون والمؤمنون الذين تورطوا بأعمال رفضها القرآن من مثل مسألة الربا كما تقدم.

٣ - المشرك:

يرد معنى الشرك عندما يُعْدَلُ بالله شيءٌ من

مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[٧٢] .لأنّ معنى تشركوا : أي تعدلوا به شيئاً من خلقه[٧٣].

ويرد في معنى التوسل بالأصنام تقربهم لله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٧٤]. والمهم أنْ نلحظ أنّ المشرك في منظور القرآن هو من يعبد الوثن.

والمشرك الذي يرد ذكره في هذا المبحث يراد به المتلقي للخطاب القرآني بصفة الشرك بمعنى أثبات شريك لله تعالى ،بذلك جاء الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[٧٥]، إخراجاً للمتلقي من الشرك الصغير وهو ثابت للكثير حتى المسلمين منهم كالرياء والنفاق أو الحلف بغير الله تعالى، ومن ذلك قول الرجل: لا وحياتك أو قوله: لولا فلان لهلكت نصّ على ذلك السيد الطباطبائي[٧٦]، في الميزان عند تفسيره لقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون[٧٧].

والمتلقي (المشرك) بصفة الشرك العظيم، مخاطبٌ بمعاني الإنسانية في القرآن الكريم، فهو صنيعةُ الله في أرضه ومخاطب بالتكريم الإلهي ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[٧٧]، مقصودٌ بمعنى التكليف العقائدي دونما إكراه، وتَحمّلَ الأمانةَ لصفةِ العقلِ فيه، وبيان سبيل الهدى والضلال له، وهو في ذلك محترمُ الإرادة فلا إكراه ولمصادرة لحريته في الاختيار، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾.[٧٨]

والخطاب القرآني ينظر لاعتقاده على نحو المرض الذي يصيب الإنسان والذي يرجى شفاؤه، ولذا ندبت الآيات في المشرك عقله، ورفضت له أن يتخذ سبيلاً في العبادة دون حجة تقوم على أساس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٧٩]، فنلحظ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي على عنادٍ وتكبرٍ فإنْ كان اعتقادهم عن جهلٍ، قال تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[٨٠] ودعاهم الخطاب إلى اعتماد الحقيقة التي تقوم على البرهان والدليل، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾[٨١] وقوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٨٢] ونهاهُم الخطاب مِنْ اعتماد الظّنِّ مقاربةً وطريقةً للإيمان والاعتقاد، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٨٣] ومع عنادهم وإصرارهم على موقف الإعراض عن لغة التأمل في آيات الخلق، حافظَ الخطابُ القرآني بلغة واضحة في الإنسانية والإجلال لعقل ذلك المتلقي ودَعَتْهُ بأيسر القول، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.[٨٤]

وحَثَّتْ آياتُ الخطاب الكريم رسول اللهﷺ على الصفح والتجاوز عنهم، قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٨٥]، والحقُّ أنّ رسول اللهﷺ وبما هو رحمةٌ مهداةٌ كانت مشاعرهُ

وخوفُهُ على قومه المشركين تطبعُ دوره الرسالي بطابع الإنسانية الذي يُمَثِّلُ الفهم المعصوم لإنسانية الخطاب القرآني حتى أنَّ القرآن تحدث عن مبالغةٍ إنسانيةٍ قلّ صدورها من إنسان جابَهَهُ قومهُ المشركون بشتى الأساليب العدائية، وهو في المقابل تكاد روحه تخرجُ خوفاً وقلقاً على مصيرهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٨٦]، والحسراتُ هنا لعدم تَقَبُّلِهم الحقَّ وتسليمهم للباطل إلى حدٍ كأن روح النبي تكاد تخرج بسبب خوفه من نتيجة عملهم هذا.[٨٧]

وفي حدود العلاقة بين المشركين بوصفهم جماعة مُعرِضة عن الدين الله لها أهدافها ومخططاتها العدائية ضد الإسلام والمؤمنين. ظلَّتْ آياتُ القرآن تُبرزُ خطاباً إنسانياً عندما تحدثت عن معاني العدل والحق قيمة عليا أهابت بالمسلمين بعدم تجاوزها حتى مع المشركين.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٨٨]، والقسط : العدل.

ويلحظ أنّ الخطاب عَمِدَ إلى لفظ(البر) مع المشركين وهي ذاتها التي أستعملها في الخطاب من حَثِّ الإنسان في التعامل مع الوالدين في قوله تعالى ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[٨٩]، وقوله تعالى ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾[٩٠].

فمَنْ لم يقاتل المسلمين ولم يظلمهم أو يُعنْ على ظلمهم أو إلحاق الأذى بهم فَمِنَ الخير برُّهُ وصِلَتُهُ، ومعاملتُهُ بالقسط والعدل ولا يجوز للمسلمين أبداً وبأيّ حالٍ من الأحوال تجاوزُ العدل بالآخرين والجور عليهم في حكم أو قول أو فعل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٩١]، فالقرآن الكريم يجعل المعاشرة بالبر والقسط مع هؤلاء الذين نختلف معهم في أساس العقيدة أمراً مشروعاً إذا لم يكن بيننا وبينهم قتال، ودعا الخطاب القرآني إلى اعتماد منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأحسن القول في كثير من النصوص. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٩٢].

ونهى عن اعتماد لغة السب والشتم واللعن للمتلقي (المشرك) فإنها ليست من أساليب التقريب والرفق في مقاربة الآخر، بل ربما قطعت أملاً في الهداية وأثارت حقداً وجلبتْ على الله شتماً ،قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٩٣].

وبلغ من إنسانية الخطاب القرآني أنْ تحدثَ عن أحكام مع تلك الطائفة المشركة المسالمة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[٩٤].

فهؤلاء، أولاً: يجب إجارتهم، وثانياً: يجب عرض مفاهيم وقيم الإسلام عليهم، وثالثاً : توفير الحماية اللازمة حتى إيصالهم إلى مأمنهم.

ومن الأحكام، قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٩٥] والأسير هنا من المشركين، وهو من حثت الآيات الخطاب على العناية به (وإطعامه) إذ جعلته الآية من المستحقين للبر ومساويةً له بأيتام المسلمين وفقرائهم، ومن أحكام الأسير في هذا المجال المعاملة الطيبة فلا يُفَرّقُ في الأسر بين والدٍ وولده ولا بين أخ وأخيه[٩٦].

أما معاملة رسول الله ﷺ مع قومه المشركين فالشواهد في ذلك كثيرة بما يعكس حسن المعاملة والرفق وعدم الضيق بهم وتحمل أقسى الحالات منهم. فحسنُ تعامله مع المشركين جعلت منه موضع أماناتهم وبعد هجرته ترك الإمام علي عليه السلام لردها لأصحابها، ويروى أنّ دليله في هجرته للمدينة كان كافراً، ولعلّ ما تعرض له في معركة أُحد من شق جبهته وكسر رباعيته من أقسى ما تعرض له حتى طلب منه بعض الصحابة الدعاء على المشركين، فقال لا : ما بعث شتاماً ولا لعاناً ولكن أقول «اللهم أغفر لقومي إنهم لا يعلمون»[٩٧].

أما الاعتراض على ما تقدم من منهج في حسن التعامل والبر والصلة مع المشركين الكافرين بما نزل على رسول الله ﷺ من خلال اعتماد ظاهر الآيات من قبل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٩٨]، والتي يلحظ فيها أن مشاعر المحبة والتعاطف والمودّة المرفوضة هي التي تتجاوز العقيدة إلى غيرها من العلاقات الإنسانية كالدم واللسان والبلد واللون ما يعني أن العقيدة لا تمثل في حياتك المعنى الأكبر في حراكك التكون تلك العلاقات هي مما يضيق الصلة الإنسانية التي تريدها العقيدة، أما الشعور بالمحبة في إطار الدعوة إلى الله من خلال الإنسانية تجاه الآخرين المخالفين لنا في العقيدة تركز في الإنسان

الخوف والقلق في البحث عن كل الوسائل من أجل التأثير في الآخر لإخراج من ظلمات الباطل إلى نور الحق والهداية في هذا لا يتناقض مع خط الإيمان.[٩٩]

ويلتقي مع إنسانية الدين والخطاب الإنساني الذي يرأب في الإنسان أن يعيش العقدة تجاه الآخر المخالف في العقيدة .

بقي أنْ نذكُرَ أنّ الآيات التي اشتملت على خطاب القتال ضد المشركين ناظرةٌ لموقفهم العملي ومؤامراتِهم ضد الإسلام، فكان من الطبيعي أنْ يكون للخطاب حثٌّ على دفعِ أذاهم كأسلوبٍ وقائيٍّ دفاعي، مع التأكيد على احترام مبادئ الحق والعدل والوفاء بالعهد وكفِّ القتال إنْ جنحوا للسلم. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٠٠].

والآياتُ التي توعدهم بالعذاب والنار، فإنّما هي في مقام الجزاء المشفوع بالبلاغ الكامل، وسقوط أعذارهم بتمام الحجج عليهم شأنُهُم في ذلك شأنُ كُلّ أصنافِ المتلقين الذين يحيدون عَنْ خطِّ العبوديةِ للهِ ويتنكبون طريق الخير والحق ليوغلوا إفساداً وعدواناً على الإنسانية .

٤ – الكافر:

هو المتلقي الذي يقف في أقصى المسافة عن التصديق بما جاء به الخطاب القرآني، فهو متلقٍ يختلف عن المشرك في أنّ المشرك وإنْ جاء في بعض الآيات كافراً بما جاء به الرسول ﷺ فإنَّهُ يعتقدُ وجوداً لله، لكنّهُ يشرك به غيره ويعدل به شيئاً من مخلوقاته. والكافر يكفر بفكرة وجود الله من الأصل. وهو المقصود من مفردة البحث هنا.

ولعلّ من كثير مما تقدم ذكره في إنسانية الخطاب القرآني مع الأنماط المتقدمة يتقرر إثباته للمتلقي (الكافر) من قبيل :

١- الكرامة الإنسانية له : والتي لا يُستثنى إنسان منها في قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[١٠١].

٢- احترام العقل والإرادة فيه : من خلال عدم الإكراه على العقيدة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[١٠٢]، وقوله تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[١٠٣]، ومهمة الأنبياء عليهم السلام والجماعة المؤمنة تتحدد بالإيمان والدعوة والبلاغ، لأن المقام في الدنيا مقام تبليغ وإلقاء الحجة، وأما الحساب والجزاء فأمره موكول لله ــ تعالى ــ في الآخرة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾[١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[١٠٥].

«فليس المسلم مكلفاً أنْ يُحاسبَ الكافرين على كفرهم، أو يُعاقبَ الضالين على ضلالتهم، فهذا ليس إليه وليس موعدُهُ هذه الدنيا وإنّما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم القيامة»[١٠٦]

٣ - الإطلاق في العمل معهم بأحكام العدلِ والحقِّ والعهدِ وأداءِ الأمانة : فأمّا العدل فلا يجوز تجاوزه مع الكافرين - أو مع غيرهم - أبداً قال

تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١٠٧].

فلا يجوزُ الظلمُ مع أشد الناس كفراً وظلماً واعتداءً، فقد دلت الآية على أنّ كفر الكفار لا يمنعُ من العدل إليهم، فمثلاً الاعتداء عليهم بالتنكيل (المثلة) غير جائز وإنْ قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك فليس لنا أن تقتلهم بمثلةٍ قصداً لإدخالِ الغم والحزن عليهم[١٠٨].

والتزام الحقِّ مع الآخر (الكافر) من المعاني الإنسانية التي لا يمكن تجزئتها بأيِّ حالٍ من الأحوال «لأنّ الحقَّ حقٌّ أين ما كان وكيفما أصيبَ، وعن أيِّ محلٍ أُخِذَ، ولا يؤثرُ فيه إيمانُ حامله وكفرُهُ وتقواهُ وفسقُهُ»[١٠٩].

ويجري التأكيد ذاته في التزام العهد والوفاء به مع الكافرين، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[١١٠]، فالآية تُمثِّل العهد الفردي والاجتماعي بين قوم وقوم وأُمةٍ وأُمةٍ لا يستثنى منهم كافرٌ أو مشركٌ أو منافقٌ. إذْ يجبُ الوفاءُ به على الإطلاق سواء جلب نفعاً أو استلزم ضرراً.[١١١]

وهنا يرد معنى المعاهد: وهو الذي دخل في معاهدة مع المسلمين يعبر عنه بـــ(الذمي) أو أهل الذمة، وفي أحاديث النبيﷺ ما يُنبئُ بخطورة الاعتداء أو الظلم لهؤلاء في قولهﷺ «مَنْ آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقدْ آذى اللّه»[١١٢].

ومثل قولهﷺ: «مَنْ آذى ذمياً فأنا خصمهُ، ومنْ كنتُ خصمهُ خصمتُه يوم القيامة».[١١٣]

ومن إنسانية الخطاب هنا أنّ النبيﷺ يتحدث عن أذى الذمي باللفظ نفسه الذي يتحدث به عن الأذى الذي يستشعره بأذى السيدة فاطمةعليها السلام وهي ابنته، وبضعته، وسيدةُ نساء العالمين، في قوله «إنّما فاطمةُ بِضعةٌ مني يؤذيني ما آذاها»[١١٤]، من هذا فهم المسلمون خطورة التهاون مع الآخر الذي له عقد الذمة «لأنّ عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا وذمة اللّه تعالى، وذمة رسول اللّهﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيّع ذمة اللّه، وذمة رسولﷺ وذمة دين الإسلام»[١١٥] ومثله أمر الأمانة وأدائها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[١١٦] بلغ من التشديد في احترامها أن وَرَدَ في كلام الإمام عليعليه السلام «أدُّوا الأمانةَ ولو إلى قتلةِ الأنبياءِ»[١١٧].

٤ - احترامُ كيان الكافرين المعنوي وكرامتهم الإنسانية، بعدِّهم أخوةً في الإنسانية، فهم في تعبير القرآن أخوةُ الأنبياء، ما يُشْعِرُ بكرامة الإنسان مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[١١٨]، وقال تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.[١٢٠]

وفي مقام دعوة الأنبياءعليهم السلام للكافرين، برزت الإنسانية في الخطاب القرآني من خلال مقاربتهم بلغةٍ كريمةٍ ميزتها مشاعر الحب والحرص على مصير الإنسان ولو كان بصفة أعتى الكافرين من مثل قوله تعالى ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[١٢١].

ومن إنسانية الخطاب القرآني مع الكافر، ما رسمتهُ آياتُ الذكر عندما نقلتْ لنا حرصَ نبي اللّه إبراهيمعليه السلام على قوم لوط، ومجادلته للملائكة الذين وكّلوا بإنزال العذاب عليهم في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[١٢٢] .

وفي التعبير بخوف الأنبياء على الكافرين في الخطاب القرآني، والذي هو خوفٌ على نحو الحقيقة لا المجاز على الإنسان، قال تعالى ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾[١٢٣]، وتمني الهداية لهم ما يعكس بعداً إنسانياً في الخطاب معهم.

- المساواة في مقام العمل: فمع إصرار الكافرين يحدد الخطاب القرآني منهجاً إنسانياً يقوم على التسوية في مضمار العمل أو الاعتقاد في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[١٢٤] .

وبلغَ من إنسانية الخطاب القرآني في مقام العمل مع الكافرين أنْ جاء التعبير عن عمل النبيﷺ والمؤمنين بصفة الجرم دون عمل الكافرين، في قوله تعالى ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٢٥] .

وخلاصة ما تقدم أنّ الإنسان بصفة (النفاق، أو الدين الآخر، أو الشرك، أو الكفر) إنّما هو موضع تكريم الخطاب القرآني، تمثل ذلك بالمعاني التي حافظ عليها الخطاب بجملة من المقاربات التي قامت عليها مبادئ وحقوق لتلك الأنماط كانوا فيها موضع اهتمام القرآن ومشاعر الأنبياء وحرصهم على هدايتهم بأساليب اشتملت على أسمى معاني التكريم الإنساني.

مع ملاحظة أنّ كلّ ما وردَ في الخطاب القرآني من عذابٍ لنمط المخاطب المختلف (المنافق، الكتابي، المشرك، الكافر) فإنّما هو بلحاظ الجزاء الأخروي الذي لا يكون إلا نتيجة حتمية لأعمالٍ اقترفوها في الدنيا فلا يَصِحُّ اعتماده خطاباً لمهاجمة هذا النمط، فالتوعد بالنار جاء بحق كل الأنماط حتى المؤتلف (المؤمن) في مسألة الربا وقتل المؤمن عمداً .

والأمر نفسه في ما جاء وعداً من القرآن بتردي حال الكافرين أو المشركين وغيرهم في الحياة الدنيا فإنّه من سنن الله تعالى فيمن اعرض عن الهدى تجري عليهم وعلى غيرهم، فلا يصح كلا الأمرين شاهداً أو سبباً بالقدح بإنسانية الخطاب القرآني أو دافعاً لمقاربتهم من دون التي هي أحسن قولاً أو فعلاً .

الهوامش

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي : ١٩ / ٢٩١.

(٢) الإسلام دين البشرية، مؤسسة البلاغ : ١٥٣.

(٣) التوبة / الآية ١٠١ .

(٤) المنافقون / الآية ١.

(٥) الأحزاب / الآية ١٢

(٦) المنافقون / الآية ٥.

(٧) التوبة / الآية ٦٤ .

(٨) التوبة / الآية ٦٧ .

(٩) المنافقون / الآية ٤ .

(١٠) النساء / الآية ١٤٥ .

(١١) الحديد / الآية ١٣، ١٤ .

(١١) الحجرات / الآية ١٤.

(١٢) النساء / الآية ٦١ – ٦٢ – ٦٣.

(١٣) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم شيرازي : ٣ / ٢٠٥ .

(١٤) تاج العروس وجواهر القاموس، الزبيدي : ٢٨ / ٤٥.

(١٥) المائدة / الآية ٦٨ .

(١٦) المائدة / الآية ٦٩ .

(١٧) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣٥٩ .

(١٨) المفردات، الراغب الأصفهاني : مادة (صبا)

(١٩) ينظر : الأمثل : ١ / ١٨٦ وما بعدها .

(٢٠) الحج / الآية ١٧ .

(٢١) الحج / ١٧ .

(٢٢) ينظر : الميزان : ١٤ / ٣٥٩، و الأمثل : ١٠ / ٢١٠ .

(٢٣) آل عمران / الآية ١١٣ .

(٢٤) آل عمران / الآية ٦٤ .

(٢٥) ينظر : الرؤية الكونية التوحيدية، مرتضى المطهري : ٥٥ – ٦٥ .

(٢٦) البقرة / الآية ٤٧.

(٢٧) المائدة / الآية ٨٠٢.

(٢٨) النساء / الآية ١٢٣ .

(٢٩) المائدة / الآية ٧٠ .

(٣٠) البقرة / الآية ٦٢ .

(٣١) البقرة / الآية ٨٣ .

(٣٢) النحل / الآية ١٢٥ .

(٣٣) العنكبوت / الآية ٤٦ .

(٣٤) المائدة / الآية ١٣.

(٣٥) المائدة / الآية ٥ .

(٣٦) المائدة / الآية ٥ .

(٣٧) المائدة / الآية ١٣.

(٣٨) المائدة / الآية ٥ .

(٣٩) المائدة / الآية ٥ .

(٤٠) المائدة / الآية ١٣.

(٤١) المائدة / الآية ٥ .

(٤٢) المائدة / الآية ٥ .

(٤٣) ينظر : الميزان : ٥ / ٢٠٩.

(٤٤) ينظر : الحرية والإسلام، د. علي عبد الوافي : ٦ .

(٤٥) التدين المنقوص، فهمي هويدي: ٢٤٤ .

(٤٦) الروم / الآية ١ .

(٤٧) المائدة / الآية٨٢ .

(٤٨) ينظر : سماحة الإسلام ، أحمد محمد الحوفي : ٨٧ – ٨٨.

(٤٩) ينظر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني : ٣ / ٥١٣ حديث رقم (٣٤٧٥).

(٥٠) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة : ٦٤ .

(٥١) السيرة النبوية، لأبن هشام : ١ / ٥٠٣، و مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي : ١٨٢ .

(٥٢) النساء / الآية ١٠٥.

(٥٣) ينظر : الميزان : ٥ / ٩٤.

(٥٤) ينظر : صحيح البخاري، باب الديات الحديث (٦٥٠٢).

(٥٥) سماحة الإسلام، محمد أحمد الحوفي: ١٠٠.

(٥٦) آل عمران / الآية ٧٠.

(٥٧) آل عمران /الآية ٩٧ .

(٥٨) ينظر : الميزان ٣ / ٤٠٧.

(٥٩) بحار الأنوار : ٧٤ / ٥٨.

(٦٠) الأعراف / الآية ٣٢.

(٦١) ينظر : لسان العرب، ابن منظور : (الشرك).

(٦٢) الزمر / الآية ٣.

(٦٣) النساء / الآية ٤٨ .

(٦٤) ينظر : الميزان : ١١ / ٢٨٣.

(٦٥) يوسف / الآية ١٠٦ .

(٦٦) الإسراء / الآية ٧٠ .

(٦٧) الأعراف / الآية ٣٢.

(٦٨) ينظر : لسان العرب، ابن منظور : (الشرك).

(٦٩) الزمر / الآية ٣.

(٧٠) النساء / الآية ٤٨ .

(٧١) ينظر : الميزان : ١١ / ٢٨٣.

(٧٢) يوسف / الآية ١٠٦ .

(٧٣) الإسراء / الآية ٧٠ .

(٧٤) البقرة / الآية ٢٠٦ .

(٧٥) البقرة / الآية ٢١ – ٢٢ .

(٧٦) الكهف / الآية ١٥.

(٧٧) الأنبياء / الآية ٢٤.

(٧٨) النحل / الآية ٦٤ .

(٧٩) يونس / الآية ٦٦

(٨٠) سبأ / الآية ٤٦ .

(٨١) الزخرف / الآية ٨٩ .

(٨٢) فاطر / الآية ٨ .

(٨٣) ينظر : الأمثل : ١٤ / ٢٤ .

(٨٤) الممتحنة / الآية ٨ .

(٨٥) مريم / الآية ١٤.

(٨٦) مريم / الآية ٣٢ .

(٨٧) المائدة / الآية ٨.

(٨٨) فصلت / الآية ٣٣ .

(٨٩) الأنعام / الآية ١٠٨ .

(٩٠) التوبة / الآية ٥ .

(٩١) الإنسان / الآية ٨.

(٩٢) معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. أدوارد غالي : ٥٨

(٩٣) صحيح مسلم / باب من لعنه النبي، رقم الحديث (٢٤٣٢): ١٨٩.

(٩٤) الممتحنة / الآية ١ .

(٩٥) ينظر : خطوات على الطريق الإسلام، محمد حسين فضل الله :١٠١.

(٩٦) البقرة / الآيات (١٩٠ – ١٩٣).

(٩٧) الإسراء / الآية ٧١ .

(٩٨) يونس / الآية ٩٩ .

(٩٩) الكهف الآية ٢٩ .

(١٠٠) الرعد / الآية ٤٠ .

(١٠١) الغاشية / ٢١ – ٢٢.

(١٠٢) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي: ٥٢.

(١٠٣) المائدة / الآية ٨.

(١٠٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٢٢٠٨.

(١٠٥) الميزان : ٥ / ٤٦٤.

(١٠٦) الإسراء / الآية ٣٤.

(١٠٧) ينظر : الميزان : ٥ / ١٦٣.

(١٠٨) الجامع الصغير من حديث البشير النذير، السيوطي: ٢ / ١٥٨.

(١٠٩) المصدر نفسه : ٢ / ٥٤٧ .

(١١٠) صحيح مسلم، باب فضائل الصحابة : ٧ / ١٤١.

(١١١) الفروق، شهاب الدين القرافي : ٣ / ١٤.

(١١٢) المؤمنون / الآية ٨.

(١١٣) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني:٦٧.

(١١٤) هود / الآية ٥٠.

(١١٥) الأعراف / الآية ٧٣.

(١١٦) الأعراف / الآية ٨٥ .

(١١٧) طه / الآية ٤٣ – ٤٤ .

(١١٨) هود / الآية ٧٤ – ٧٥ .

(١١٩) الأعراف / الآية ٥٩، الأحقاف / الآية ٢١، هود / الآية ٨٤ .

(١٢٠) الشورى / الآية ١٥.

(١٢١) سبأ / الآية ٢٥

مصادر البحث

- القرآن الكريم
- الإسلام دين البشرية، مؤسسة البلاغ، طـــ ١، ١٩٩٩م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،الشيخ ناصر مكارم شيرازي، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، طـــ ٢، ١٤٢٦ هـــ – ٢٠٠٥ م .
- بحار الأنوار والجامع لدرر أخبار الائمة الأطهار، محمد باقر الأصفهاني المجلسي، طبع مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣ هـــ – ١٩٨٣ م .
- تاج العروس الزبيدي، تحقيق د. محمود محمد الظامي، مراجعة عبد السلام هارون، ١٤١٣ هـــ – ١٩٩٣ م
- تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي الحسين بن شعبة الحراني، دار ومكتبة الرضا، قم ١٤٣٠هـــ.
- التدين المنقوص، فهمي هويدي، دار الشروق، ط١ ، بيروت ، ط ١ ،١٤١٤ هـــ – ١٩٩٤ م .
- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـــ)، تحقيق : سالم مصطفى البدري، ط ١، دار الكتب بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـــ – ٢٠٠٠ م .
- جامع الأحاديث: الجامع الصغير من حديث البشير النذير، تأليف جلال الدين بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١ هـــ)، دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت – لبنان، ١٣٧٣ هـــ.
- الحرية والإسلام، الدكتور علي عبد الوافي ،(سلسلة اقرأ)، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- خطوات على الطريق الإسلام، محمد حسين فضل الله ،دار التعارف، ط٥، بيروت – لبنان، ١٩٨٦ م .
- الرؤية الكونية التوحيدية، مرتضى المطهري رابطة أهل البيت الإسلامية – لندن (د. ت).
- سماحة الإسلام، أحمد محمد الحوفي، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- سنن أبي داود، الحافظ سليمان الأشعث السجستاني، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، مصر، ١٣٧١ ه – ١٩٥٢ م.
- السيرة النبوية لأبن هشام لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام (٢١٨ ه) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، مكتبة الباب الحلبي، ط٢، مصر، ١٣٧٥ه – ١٩٥٥م .
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، اعتنى به محمود الجميل (موافقة لترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي)، مكتبة الصفا – القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـــ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـــ – ٢٠٠٠ م .
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٨٤ م.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (٨٥٢ هـــ)، أعداد عبد الفتاح حسن عبدالله، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٧٧ م
- الفروق، شهاب الدين القرافي، دار احياء التراث العربي، بيروت ،ط٣، ١٩٩٣م.
- لسان العرب ، محمد مكرم الأنصاري الأفريقي، دار أحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي ،طـــ ٣، بيروت – لبنان (د. ت).
- معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. أدوارد غالي ،مكتبة غريب، طـــ ١، مصر ـــ ١٩٩٣ ،
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم ،ط١، دمشق، ١٤٣٠ هـــ – ٢٠٠٩م.
- مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، دار الاهرام القاهرة، ط ١، ١٩٨٩م .
- الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، طـــ١، ١٤٣٠ ه – ٢٠٠٩ م إيران – قم ..

المدخل اللغوي للتشريع في القرآن الكريم

(آية الولاية)

أ.د. محمد كاظم البكاء

قال تعالى في مفتتح صورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1] وقد عبر عن الكتاب والكتابة بالتوثيق، قال تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[2] وعبر عنه في موضع آخر بالفرض والوجوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2] وقد عبر الله تعالى عن رسالاته السماوية بالكتب لتأكيد معنى التوثيق والإلزام قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[3] وهذا يسمح لنا ان نقول :ان الله تعالى اراد بـــ (الكتاب) الوثيقة المفروضة التي يلزم الرجوع اليها، وقد آثر ههنا تسميته بالكتاب من بين اسمائه الاخرى.

وفي نوع من المقاربة كان امام ما يعرف في العصر الحديث بـــ(الدستور) وهو الوثيقة الملزمة للمجتمعات التي تصدر منها القوانين والتعليمات.

فإذا تم هذا المعنى في أن (الكتاب) الذي افتتح به القرآن الكريم هو دستور الشريعة الاسلامية، نرى سورة الفاتحة هي مقدمة هذا الدستور الاسلامي وديباجته، وقد تضمنت النص على كون الله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، وان الصراط المستقيم هو الاسلام ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[5]، وذهب اللغويون الى صحة الاشارة بـــ (ذلك) الذي يدل على البعد للدلالة على علو منزلة الكتاب وسموه، وكان في تقديري ان العربي لا يستسيغ قول (هذا) في ما كان ذا شأن عظيم، فأحترز القرآن الكريم من لفظ(هذا) وابدلها

بلفظ (ذلك) للدلالة على علو شأنه ومكانته، وقد قال الفرزدق في مدح الامام علي بن الحسين عليه السلام مخاطباً الخليفة الاموي «وليس قولك من هذا بضائره» ولكني فوجئت من مبادئ الدستور لدى اهل القانون ما يعرف بـــ (علو الدستور) وقد نصب عليه بعض الدساتير، وربما اراد الله تعالى هذا المعنى للدستور العظيم، ولا مانع من ايراد هذه المعاني جميعاً . وهكذا يتضح لك منذ البدء انك امام دولة محكومة بالدستور وهو (الكتاب) وديباجة الدستور نص يتحدث عن مبادئ هذه الدولة ومقاصدها الكبرى، فمبدؤها الايمان بالله تعالى وهو ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ووجوب عبادته والاستعانة به وحده، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٦]، وهي عبادة يطالب بها الناس كافة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٧]، ومقاصدها الكبرى تتلخص بالهداية للصراط المستقيم، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٨]، يؤكد ما ورد في هذا الدستور من نصوص واضحة منها، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[١٠] وحكومة هذه الدولة عليها ان تكون امينة على المجتمع ومصالحه وأن تحكم بين الناس بالعدل والحق، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[١٠].

والذي ينبغي أن يلاحظ في نص الآية الكريمة أن وجوب تأدية الأمانات قد اقترن بوجوب الحكم بالعدل فهما من المبادئ الرئيسة للحكم، وبعبارة أو على وَهُم ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾، أو النصب على المدح، ثم قال مما يدل على بيان قصده تعالى من بيان التخصيص والتحديد والتمييز وفيه تمييز للخُلَّص من الذين آمنوا نفاقاً أو وطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل ومنذهب الى كونها نعتاً، أو صفة، فقد توهّم، وليس من المقبول عقلاً أن جميع المؤمنين سيتولون الولاية والحكم. و لذلك جعلها الله في جماعة معينة وحزب غالب ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[١٩]؛ والحزب فئة خاصة تدل على تحديد القيادة للمسلمين من الله تعالى ورسوله الأمين وبمن هو مؤهل بالأمان والركوع و دفع الزكاة في حالة الركوع نصاً، ومن سار على منهاجه وسيرته وسنته وهذه المفردة سلوك الأمام علي عليه السلام تختزل كل صفات القيادة التي أشرنا إليها من العدل، والعقل، و العلم، و القدرة، ولاأريد أن أسهب في بيان صفات الإمام علي عليه السلام التي اذا استقريناها في نهج البلاغة لما تجاوزنا القول في أنه القرآن الناطق وفي امتداد الخلافة الراشدية لم يتخلَ الأمام عن وظيفته (ولاية الأمة والقضاء فيها فيما يستفتى). حتى شاع في شواهدنا اللغوية قولهم (قضية ولا أبا حسن لها).

ودليل لغوي آخر يدل على تحديد ولاية المسلمين بقيادة و حزب معين هو دليل المخالفة الذي يفهم من وصف امة الكفر بعدم القيادة في النص السابق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢٠] وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾[٢١] وولاية المسلمين بعضهم لبعض

أخرى هو من واجبات الحكومة في دولة القرآن وعليه ينبغي أن نفهم أن مفهوم تأدية الأمانات يتسع لكل الواجبات التي تتكفل بها الحكومة من الأمانة على ثروات الأمة وكيفية التصرف بها لمصالحها، ويتسع لرعاية المجتمع بها، يأمن له سبل العيش الكريم وليس ثمة واجب للدولة لا يقع ضمن تأدية لأمانات والحكم بمبادئ العدل وتثبيته بالحق.

والذي يلفت النظر أن القرآن الكريم تحدث عن الأمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[11] وأراد لهذه الأمة أن تكون نموذجا للأمم الداعية إلى الخير، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[12] وهي أمة لها برنامجها العلمي وتخطيطها الإصلاحي، فنحن أمام أمة مؤمنة داعية إلى الخير لها دستور، ﴿الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[13] ولها حكومة عليها واجبات ومن الضروري بحكم الملازمة ان تكون لهذه الامة بدستورها وحكومتها قيادة عليا لها هيكل تنظيمي.

وقد صرَّح القرآن الكريم بمواصفات القيادة وخصائصها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[14] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[15] فثمة شروط لقيادة الامة، أهمها هي العدل والعلم والقدرة وثمة ما يقتضيه السلوك من نهي النفس عن الهوى قال الله تعالى مخاطباً النبي داود عليه السلام ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[16] وعندما نتحدث عن نظام الحكم بدولة القرآن وهيكلها التنظيمي ينبغي، أن نتصور نُظُم الحكومات التي لابدَّ من توفر القيادة العُليا فيها، وكيفية تنظيم هيكلها، وفي ضوء ذلك يتضح لنا أن قيادة حكومة دولة القرآن هي حكم الله تعالى، وأنَّ ظلها في الارض رسولها الامين والذين آمنوا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقد أختار من الذين آمنوا مَن يصدُق عليه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[17] وليس لدينا مصداق مؤهل لهذه القيادة من المؤمنين إلاّ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ولا نعهد مصداقاً لها غيره، لكونه هو مَن تصدُق عليه صفة الايمان ودفع الزكاة في حالة الركوع مع اعتقادنا وكثير من الجمهور أنّ سبب نزول الآية المباركة كان بحقه تحديداً، ولم أقف فيما أطلعت عليه على احد غير الامام علي عليه السلام ودليلنا اللغوي انَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قد قيد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ببدل خاص؛ والبدل الخاص هو ذات معينة كقولك منحتك الدراهم نصفها واكلت الرغيف ثلثه،وقد وهمَ مَن اعربها نعتاً أو صفة قال الزمخشري[18] فأن قلت ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ ما محله؟ قلت الرفع على البدل من ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

في القرآن الكريم لا تعني إلاّ التكافل والتكامل والتناصح في العبادة وليس ولاية بمعنى الحكم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[٢٢] وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.[٢٣]

وقد اردنا ان نستنبط هذه الحقائق التي توضح معالم حكومة دولة القرآن من نصوص القرآن الكريم نفسه استنباطاً لغوياً ولكن لا يمنع ذلك ان نرجع الى مصادر اخرى منها اسباب النزول وما ورد من روايات تكشف عن صحة ما ذهبنا اليه وقد ذكر اصحابنا بطرائق مختلفة منها نزول هذه الآية في الامام علي عليه السلام ونضيف الى مصادرهم ما جاء في تفسير (عبد الله الحسكاني) ثم أن النبي صلى الله عليه وآله خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال له : هل اعطاك احد شيئاً قال نعم خاتم من ذهب فقال النبي صلى الله عليه وآله على ايّ حال اعطاك؟ قال اعطاني وهو راكع فكبَّرَ النبي صلى الله عليه وآله ثم قرأ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، فأنشأ (حسان بن ثابت) في ذلك قائلاً:

ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي
وكل بطيء في الهدى ومسارع
ايذهب مدحي والمحبر ضائع
وما المدح في جنب الاله بضائع
وانت الذي اعطيت اذ كنت راكعاً
زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية
فبينها في نيّرات الشرائع

وهذا الذي نقلناه من (الحسكاني) ورد مثله في (تفسير الكشاف) قال: وانها نزلت في علي (كرَّم الله وجهه) حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرخىً في خنصره فلم يتكلَّف في خلعه كثيراً، وعقّب عليها قائلاً فأن قلت كيف صح ان يكون لعلي (رضي الله عنه) واللفظ لفظ الجماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب في رجل واحد يرغب الناس في نفس فعله، فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجيتهم ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والاحسان، وتفقّد الفقراء حتى أن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في صلاة لمؤخروه الى الفراغ منها[٢٥]، بقي ان نعلل لغوياً استمرار الولاية لحكومة القرآن في آل البيت عليهم السلام بعد الامام علي عليه السلام قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[٢٦] وجاء في تفسيره وقوله (﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يهدون الى آبائهم يوم القيامة) حدثنا ابو العباس قال حدثنا يحيى بن زكريا عن علي بن حسان عن عبد الرحمن عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ قال الذين آمنوا بالنبي وامير المؤمنين والذرية الائمة والاوصياء عليهم السلام الحقنا بهم ذريتهم ولم ننقص ذريتهم من الحجة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وحجتهم واحدة.[٢٧]

وطاعتهم واحدة بهذا ننتهي بتسليم كامل بإقرار دولة القرآن وتحديد قيادتها العليا والله تعالى ورسوله الامين صلى الله عليه وآله ابتداء بالإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ومستمرة في آل البيت عليهم السلام في ضوء شروط القيادة وهي العمل والعلم والقدرة والعقل او نهي النفس عن الهوى.

الهوامش

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٣) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٤) سورة الفاتحة: الآية ١ – ٤.
(٥) سورة الفاتحة: الآية ٧.
(٦) سورة الفاتحة: الآية ٥.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢١.
(٨) سورة الفاتحة: الآية ٦.
(٩) سورة الإسراء: الآية ٩.
(١٠) سورة النساء: الآية ٥٨.
(١١) سورة البقرة: الآية ١٢٨.
(١٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
(١٣) سورة البقرة: الآية ٢.
(١٤) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(١٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.
(١٦) سورة ص: الآية ٢٦.
(١٧) سورة المائدة: الآية ٥٥.
(١٨) الكشاف: ص٢٩٧.
(١٩) سورة المائدة: الآية ٥٦.
(٢٠) سورة المائدة: الآية ٥١.
(٢١) سورة الأنفال: الآية ٧٣.
(٢٢) سورة الأنفال: الآية ٧٢.
(٢٣) سورة التوبة: الآية ٧١.
(٢٤) شواهد التنزيل لقواعد التفصيل: ج١، ص٢٣٥-٢٣٧.
(٢٥) تفسير الكشاف، الزمخشري: ص٢٩٧.
(٢٦) سورة الطور: الآية ٢١.
(٢٧) تفسير القمي: ج٢، ص٤٠-٤١.

الأرض في القرآن الكريم كرة فلكية

عبد الأمير المؤمن

عاش الانسان على الارض زمناً طويلاً لم يعرف انه يجري على كرة كبيرة معلقة في الهواء تجري في السماء الواسعة وكان يعتقد جازماً من خلال نظرته الفطرية العادية انه على امتداد طويل عريض، فالأرض بسيطة مسطحة كما تراها العيون.

وهكذا ظل يجري فوق سطحها ملايين السنين من دون ان يعرف شيئاً مهماً عن حقيقتها العلمية، ومن دون ان يعرف انها كروية وانها ذات مواصفات فلكية محددة كثيرة.

وحتى الحضارات القديمة الكبرى كالبابلية، والمصرية القديمة، والحضارة الفارسية، والصينية، والهندية، وحضارة امريكا اللاتينية، لم يعرفوا غير تسطح الارض وامتدادها ومعلومات قليلة

اخرى املتها تطورات تلك المجتمعات والشعوب.

فتصورها ابناء حضارة وادي الرافدين وغيرهم قرصاً مفلطحاً طافياً فوق سطح الماء، البحار من حولها كالسياج، والسماء فوقها قائمة على الجبال.

وتصور المصريون القدماء الارض على شكل علبة مستطيلة، يذكر (ولديورانت)، ويلوح ان

راصدي النجوم في الهياكل كانوا يظنون الارض صندوقاً مستطيلاً تقوم في اركانه الجبال لتمسك السماء.

وتصورها مصريون اخرون قرصاً بيضوياً مبسوطاً تحوطه قبة في سقفها الشمس والقمر والنجوم.

وتصورتها الحضارات القديمة الاخرى بتصورات خرافية مشابهة لما ذكرناه.

وفي عصر الفيلسوف والعالم (طاليس المالطي) في القرن السادس قبل الميلاد كان الاعتقاد السائد أن الارض قرص مسطح استقر فوق مياه المحيط.

ولم تتغير صورة الارض حتى عهد (فيثاغورس) في القرن السادس قبل الميلاد ايضاً، اي بعد (طاليس) بقليل، ويرجح ان فكرة كروية الأرض ظهرت على يد العالم الرياضي (فيثاغورس)، والظاهر انها استجابة لنظرية الجمال الكروي الذي آمن به الاغريق اكثر من كونها تفكيراً علمياً رصدياً.

وانتهت فكرة كروية الارض الى العالم الاسكندري – اليوناني بطليموس القلوذي في القرن الثاني الميلادي ليحلها في وسط الكون هادئة ساكنة، وكل الاجرام تدور حولها.

الارض عند المسلمين:

وفي الحضارة الاسلامية تحدث الفلكيون والعلماء والحكماء المسلمون عن الارض حديثاً علمياً فيه الكثير من الحقائق والافكار الغنية، فاقتنعوا بكرويتها بشكل كامل ووقوفها في الفضاء على احسن ما يكون الوقوف واقاموا البراهين والادلة على ذلك، مضيفين أدلة اخرى الى أدلة الفلكيين السابقين.

ففي رسائله ذكر (ابو الريحان البيروني) تفصيلاً عن كروية الارض واستدل عليها من خلال الظل الجزئي او الكلي الذي تلقيه الارض على القمر في اثناء الخسوف.

والارض عند المسلمين كرة كبيرة كاملة الاستدارة واقفة في الفضاء، وان ظهرت للعين مسطحة، وقد اشترك بالأيمان في هذه الكروية، الفلاسفة والفقهاء والجغرافيون والمؤرخون، فضلاً عن الفلكين وكثير من ابناء المجتمع في ذلك الزمان.

اما ما ورد في نصوص يبدو من ظاهرها تسطح الارض فقد اولوها تأويلاً رائعاً، فكلمة الفراش الواردة في الآية الشريفة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ اولوها على وفق كروية الارض كما سيأتي ذلك لاحقاً.

ومن تطبيقاتهم لفكرة كروية الارض، قياس محيطها الدائري، وقد كان قياساً علمياً رائعاً لا مجال لذكره هنا.

كان علمياً باعتراف الباحثين، ففي عصر المأمون العباسي قاس الفلكيون المسلمون محيط الارض وكان نحو: ١٢٤٨ كيلو متراً. ويصف المستشرق الايطالي (كارلو نالينو) المتخصص في تاريخ الفلك هذا القياس بقوله: «اما قياس العرب المسلمين فهو اول قياس حقيقي اجري كله مباشرة مع كل ما تفتضيه تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين في العمل».

ولم يقتنع الفلكيون المسلمون بسكون الارض في وسط الكون (العالم) (الفكرة التي سادت في طول تاريخ الفلك) بل تحدث بعضهم عن امكان الحركة الموضعية (كأبي سعيد السجزي) و(ابي الريحان البيروني)، وقالا ان حركة الاجرام السماوية يمكن ارجاعها الى حركة الارض حول نفسها لا حركة القبة السماوية، اما حركة الارض حول الشمس فلا يبدو ان احداً من الفلكيين المسلمين تحدث فيها لصعوبة ادراكها وعدم توفر الامكانات العلمية الكافية لأثباتها، وهناك معلومات اخرى علمية قدمها المسلمون عن الارض منها مثلاً: قوة الجاذبية الكامنة في الارض وقد تحدث عنها اكثر من عالم وحكيم مسلم لا مجال لذكرها الان.

في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث تغيرت النظرة الى الارض تماماً، فجاء العالم الفلكي البولندي كوبر نيكوس في القرن السادس عشر الميلادي ووضع الشمس بدلاً من الارض في مركز الكون وانتهى امر مركزية الارض التي سادت مئات السنين او آلافها إلى زمان هذا العالم.

وجاء العالم غاليليو ليرفض اي تمييز بين الارض الترابية، والكواكب السيارة والقمر المعروفة قديماً بالأجسام الاثيرية، مؤكداً من خلال تلسكوبه الصغير وحدة التضاريس والطبيعة الارضية والقمرية والكوكبية.

واليوم تطورت دراسة الارض تطوراً كبيراً فاستقر علماء الفلك والجغرافية والجيولوجيون على سطحها نقطة نقطة في حدود ما توافر لديهم من امكانات واجهزة علمية، ودخلوا الى اعماقها ووصلوا الى عمق ١٢ كيلو متراً، وعرفوا الكثير عن طبقتها الداخلية، وخرجوا من سطحها الى غلافها الجوي الغازي ودرسوه ودرسوا مكوناته واحزمته

الاشعاعية ودرسوا مجالها المغناطيسي، وحلقوا بعيداً فوق سطحها وصوروها بالآلات التصويرية العلمية المتطورة، وهي اليوم كرة سماوية جميلة علمية مفهومة بشكل كبير.

إنما قدمه المسلمون والفلكيون المعاصرون لم يأت من فراغ ابدا، وانما هناك عوامل واسباب أثرت في هذا التطور والتقدم، (التطور في مجال قراءة الارض والكون كله) فلولا الدين الاسلامي الحنيف، وقرآنه الكريم المليء بالعلم والاخلاق، والرجال الذين قاموا بأمره كالرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وال بيتهم الكرام عليهم السلام والعلماء المخلصين من ابناء هذا الدين لا يمكن ان تصل حضارتنا العلمية الى ما وصلت اليه، ويكفي ان نقارن بين ما كان قبل عهد الاسلام و القرآن وابناء القرآن والعهد الذي ظهر فيه الاسلام والقرآن الكريم وما تلا ذلك.

يذكر احد الباحثين في علم الفلك والتاريخ العلمي: (ان القرآن الكريم والدين الجديد اللذين غيّرا المجتمع وحولاه من مجتمع بدوي الى مجتمع حضاري، اتخذ العلم طريقا لنموه وتطوره، فمن خلال هذا الدين نشأ مجتمع جديد له خصائص وحاجات جديدة، وامال واهداف جديدة. وانتشرت قيم ومثل لم تكن معروفة من قبل، فأصبح ابناء هذا المجتمع يتطلعون الى افاق اوسع وارحب).

القرآن يتناول الارض علمياً :

لعل من اكثر الكلمات العلمية التي تتعلق بالعلوم الفلكية (بوصفها جرماً فلكياً كونياً ضمن مكونات الكون) وردت في القرآن الكريم هي كلمة (الارض) فقد وردت هذه الكلمة ٤٦١ مرة، واذا ما قسناها بالمواد الكونية الاخرى فستفوقها جميعاً، فمثلا وردت كلمة السماء والسماوات ٣١٠ مرة، وكلمة الشمس ٣٣ مرة، وكلمة القمر ٢٧ مرة، ووردت بقية الاجرام والظواهر اقل من ذلك.

وبالطبع لم ترد الارض في القرآن الكريم بهذا العدد الكبير كمادة فكلية وحسب، وانما وردت في حالات كثيرة ضمن علوم الجغرافية والاجتماع والجيولوجيا والاقتصاد وضمن علوم اخرى لا مجال للحديث عنها في هذا الموضوع الفلكي المحدد.

ويبدو أن هذا الورود الكثير والتأكيد الكبير جاء لكونها مركز الانسان الخليفة في الارض وموطنه الاصلي في هذا الكون الكبير الشاسع.

وفي الجانب الفلكي- الذي هو موضوع بحثنا هنا – وردت الكرة الارضية مادة علمية دقيقة موصوفة بأدق الاوصاف، حاملة جبالها رواسي عليها لتثبتها، مدورة مكورة على احسن ما يكون التدوير والتدوير العلمي، وممتدة في النظرة الفطرية البسيطة، التي اعتقد العامة بها خطأ انها مسطحة (كما سنوضح ذلك لاحقاً).

ووردت هذه الكرة متحركة اكثر من حركة كونيه، حركة موضعية حول نفسها، حركة انتقالية حول الشمس، وان كان ما جاء من طرف علمي خفي يدركه العالم الباحث والراسخ في العلم، جاء بألفاظ وكلمات وقرائن دقيقة وسياقات دالة ومتنوعة، لا كما في تفسير الكتب العلمية المتخصصة المملوءة بالأرقام والمصطلحات العلمية، فخلود القرآن وكونيته والآهيته تنأى عن الجزئيات الموجودة بالكتب الارضية المتبدلة عاماً بعد عام.

الارض تقترن بالسماء:

وردت كلمة الارض مقترنة بالسماء او السماوات

في عدد كبير من المواضع في القرآن الكريم، فهي الجرم الاهم من اجرام السماء احتضنت الانسان خليفة الله على الارض، وهي (الارض) والسماوات وما بينها هي كل الكون الذي يعرفه الانسان ويعيش فيه.

ومما ورد من كلمات الارض مقترنة بالسماء والسماوات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾.

وقوله ايضاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾.

وقوله تعالى ايضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

وقوله تعالى ايضاً: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

وآيات اخرى كثيرة تقترن فيها السماء بالأرض يطول ذكرها.

والارض حادثة لم تكن ثم كانت، خلقها الله تعالى من العدم وابدعها بقدرته العظيمة.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقال تعالى ايضاً: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

كروية الارض في القرآن:

والارض من خلال التعابير القرآنية المختلفة والسياقات المتنوعة، يخرج الباحث المدقق انها ذات شكل كروي او شبيه بالكروي.

فهنالك آيات عديدة تتحدث عن هذه الكروية وان لم تكن صريحة بالنص.

ولعل ذكر كروية الارض بشكل صريح لا يناسب المرحلة التي نزل فيها القرآن فقالها من طرف خفي لا يمكن ان تخفى على الباحث والمتأمل في الآيات التي ذكرتها.

فكلمة دحاها الواصفة للأرض في الآية الشريفة التالية: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾.

يمكن ان تشير الى كروية الارض او بيضويتها ولو من طرف خفي يقول (د. شوقي ابو خليل) والدحية: بيضة النعام.

ومازال الشمال الافريقي يستعمل كلمة (دحية) كاسم للبيضة، فالآية الكريمة اذن لم تحدد كروية الارض، بل بيضويتها.. وهذا ما ثبت يقيناً في الاقمار الصناعية التي صورت الارض عن بعد آلاف الكيلومترات.. وهذا في القرآن كان وما زال يتلى منذ قرون طويلة، انها حقيقة علمية رائعة سبق القرآن الكريم اليها، انه اعجاز يشهد من دون شك.

وفي الآية الاخرى في قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾. في هذه الآية ما يشير الى هذه الكروية للأرض. فالتكوير معناه لف الشيء على اخر في اتجاه مستدير.

وانتشار ضوء النهار على مكان الليل انتشارا بشكل مستدير وكذلك انتشار الظلام على النهار. وهنا لا يمكن ان يحدث التكوير المذكور في الآية الشريفة الا اذا كانت الارض مدورة، وعلى هذ فالآية صريحة في كروية الارض. ومن الآيات الاخرى التي تدل على كروية الارض من طرف خفي بشكل غير مباشر قوله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾.

ان كروية الارض تستلزم ان تكون كل نقطة فرضت عليها مشرقاً لجماعة ومغرباً لجماعة اخرى، فتكون كثرة المشارق والمغارب دليلاً على كروية الارض والارض المسطحة ليس فيها مشارق ومغارب وانما تطلع الشمس عليها مرة واحدة وورد في بعض الآيات ما يشير الى امتداد الارض وكونها فراشاً للأنام كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾. فذلك لا يعارض كرويتها (استدارتها) فالأرض بالنظرة العادية ونحن على سطحها لا نحس بكروتيها والجسم الكروي كالأرض وغيرها عندما يكبر لا يمكن ملاحظة الاستدارة والانحناء على الجزء الواقفين عليه.

قد أوّل الفيلسوف (صدر الدين الشيرازي) وغيره من الحكماء والمفسرين لفظة الفراش الواردة في الآية المذكورة انفاً على وفق كروية الارض لا سطحيها.

يقول: «وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحاً مستوياً بل يسهل الافتراش على سطح الكرة اذا عظم جرمه وتباعدت اطرافه».

الارض تتحرك في الفضاء:

والارض في القرآن كرة سماوية قائمة في الفضاء تتحرك في فلك خاص بها كسائر الكرات السماوية. فمن خلال بعض الآيات الشريفة نجد اشارات الى تعلقها في الفضاء او السماء يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾. وقال تعالى ايضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾.

واذا اكتشف الفلك الحديث حركة الارض المحورية حول نفسها، وحركتها حول الشمس حديثاً اي بعد النهضة العلمية التي بدأ بها الفلكي كوبر نيكوس في القرن السادس عشر الميلادي.

واكتشف الفلكيون المسلمون حركتها حول محورها كما اشار الى ذلك (ابو سعيد السجزي وابو الريحان البيروني) كما ذكرناه، ولم يهتدوا الى حركتها حول الشمس بنص صريح، فأن القرآن الكريم اشار، او لمح، او أكّد الحركتين معاً في اكثر من اية شريفة. فقد اكد القرآن ان كل جرم في السماء له فلك خاص به لا ينازعه احد فيه، يقول الله تعالى في محكم كتابه الحكيم: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ وفي هذه الآية الشريفة لا نستطيع اخراج الارض من هذا الكل، فهي كبقية الاجرام السماوية تدور في فلك خاص بها ولا حق لنا استثنائها.

وحين يتعرض (الفخر الرازي) الى لفظة

(الكل) الواردة في الآية يقول (فأن قيل فهل بين قولنا كل منهم، وبين قولنا كلهم، وبين كل، فرق؟ نقول: نعم، عند قولك (كلهم) تثبت الامر للاقتصار عليهم، وعند قولك (كل منهم) تثبت الامر اولاً للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم، وعند قولك (كلٌ)تثبت الامر على العموم وتتركه عليه).

وعلى هذا الاساس نمد الكلمة الى ابعد من الشمس والقمر والنجوم الى الارض وغيرها من الاجرام. ووردت الارض موصوفة بالكفات يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾.

ومن معاني الكفات العدو والطيران السريع، يقول الفيروزابادي «وكفت الطائر وغيره كفاتاً وكفاتاً وكفيتاً وكفتاناً اسرع في الطيران والعدو...».

تلك هي الآيات التي تشير او تلمح الى الحركة الارضية الانتقالية على ما يظهر، اما الحركة الوضعية اي الدوران حول نفسها فيبدو أن الآية التالية واضحة فيها يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾. ومن دقة ونعومة هذا الدوران حول المحور تحسب الجبار ومعالم الارض الاخرى جامدة. وفضلاًعن ذلك ان الارض وهي تتحرك حول محورها لا تترك السحب والغيوم ثابتة من حيث هي، وانما هي وكل ما في الجو الارضي يلحق الجبال في اثناء مسيرها. هذا وان تعبير (تمر مر السحاب) يشعر القارئ بحركة انسيابية ناعمة سهلة، وهي حركة الارض الهادئة التي نقع ضمنها من دون ان نشعر بها.

وهناك آيات اخرى تدل على الكروية والحركة الارضية، كالآيات التي تشير الى المشرقين والمغربين، والمشارق والمغارب كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾. ففي هذه الآية الاخيرة يقسم فيها الله تعالى بوقت معين في النهار عند شروق الشمس، ويقسم بوقت معين من الليل عند الظلمة في الغروب الشمسي وفي الآية دلالة على كروية الارض (وقد ذكرنا ذلك اعلاه) ودلالة على دوران الارض حول محورها وحول الشمس، فعلىامتداد اربع وعشرين ساعة وفي كل لحظه يوجد شروق على نقطة محددة من الارض يقابله غروب في الوقت نفسه، وعلى امتداد ايام السنة تشرق الشمس من مكان مختلف وتغرب في مكان مختلف عند يوم اخر، وهكذا دواليك. وهذا يدل على كروية الارض وحركتها في الوقت نفسه.

الارض ستفنى وتنتهي:

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن نهاية الارض وهي ضمن سنة الله تعالى في خلقه وهي ككُلّ مخلوق له نهاية، وهي نهاية على مستوى الكون وما فيه، لا يبقى سوى الله الواحد الاحد.

ومن الآيات الكثيرة الدالة على نهاية الارض ونهاية الكون قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ وقوله تعالى ايضاً: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾. وقوله ايضاً: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾. وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

انها نهاية الحقيقة للأرض معها اهلها حكاها القرآن صراحة قبل ١٤ قرناً من الزمان، والعلم اليوم، وبعد دراسات طويلة يؤكد هذا المعنى، هذه النهاية الارضية المقاربة لنهاية الشمس، اذ ستحتويها بحرارتها وإشعاعاتها.

وحينها لم يبق انسان لا حيوان ولا أرض ولا حياة ولا جماد.

مراجع البحث

- القرآن الكريم
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الطبرسي،تحقيق هاشم المحلاتي وآخر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م.
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٩٨ طبعة سادسة.
- المصباح المنير في غريب الشريح الكبير للرافعي، أحمد المقري الفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران، قم سنة ١٤٠٥ هجرية.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة ١٩٧١م.
- الإنسان بين العلم والدين، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت ١٩٩٩م، (طبعة رابعة).
- تفسير الفخر الرازي، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٩٨٢م.
- قصة الحضارة: ترجمة جماعة، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ (تاريخ الجزء الأول).
- مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي، عبد الأمير المؤمنين، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ودار القلم، دبي سنة ١٩٩٧م.
- التراث الفلكي عند العرب والمسلمين وأثره في علم الفلك الحديث، عبد الأمير المؤمن، مراجعة سامي شلهوب، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، سنة ١٩٩٢م.
- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١.
- إفراد المقال في أمر الظلال، ضمن رسائل البيروني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، سنة ١٩٤٨م.
- القانون المسعودي في الهيئة والنجوم، أبو الريحان البيروني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، سنة ١٩٥٤ (طبعة أولى).

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله

التنمية في القرآن الكريم

(عرض وتحليل)

أ.د. رياض محمد علي عودة المسعودي

أولاً: المقدمة:

مما لاشكَّ فيه تلك الرؤية الثاقبة للقرآن الكريم لمفاهيم التنمية وأهميتها لبني البشر على إختلاف انتماءاتهم ومستوياتهم وتوجهاتهم. فقد راعى القرآن الكريم في العديد من آياته الحكيمة ضرورات عدة، منها:

- إنَّ الموارد الطبيعية التي خلقها الله عز وجل، هي ملك له وللأجيال اللاحقة.
- على البشر الإستخدام الرشيد لتلك الموارد، وعدم إستخدامها بصورة جائرة.
- ضرورة عدم إحتكار الموارد الطبيعية، ومنها المياه والتربة والنبات والنفط والغاز والفحم وغيرها. وعدها موارد يتطلب التعاون في إستثمارها.
- التأكيد على أهمية الحفاظ على تلك الموارد من التلوث خصوصاً مصادر المياه والتربة والبحار والمحيطات.
- إنَّ الإنسان هو محور العملية التنموية، فبتدبيره وتخطيطه وإكتشافاته، يُوظف تلك الموارد الطبيعية، ويحولها على متطلبات أخرى مُصنعةً، وعليه يتطلب أنْ يُحسن ذلك.

ثانياً: مفهوم التنمية:

عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغييرات الوظيفية والهيكلية في المجتمع، تحدث نتيجة التدخل الإرادي المقصود لإحداث وتوجيه التفاعل البناء بين الطاقات البشرية وعوامل البيئة بهدف زيادة قدرة المجتمع على البقاء والنمو. ويتسع المفهوم ويضاف إليه الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة وغير المتاحة وزيادة الناتج القومي والتوزيع العادل للثروة .

ثالثاً: مرتكزات التنمية في القرآن الكريم:

الموارد (الأرض والسكان وغيرها):

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ (الرحمن/١٠-١٣) .

تسخير الموارد:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل/٥-٦). ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ (النحل/١٥) .

الأمن:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام/٨٢)

الإستدامة :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام/١٤٢). ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف/٣١) .

الإتاحة:

أي إتاحة الموارد على إختلاف أصنافها

وأنواعها: لقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة/٦٠) .

رابعاً : رؤية القرآن الكريم للتنمية :

يؤكد القرآن الكريم على أسس وقواعد مهمة للغاية، تتمثل بالتالي:

حرية التعبير:

لقوله عز من قائل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف/٢٩).

حرية المشاركة:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران/١٥٩) .

حرية إتخاذ القرار وحرية الاختيار:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان/٣).

الحرية الاقتصادية والاجتماعية.

خامساً : القرآن الكريم وتنمية القدرات:

يؤكد القرآن الكريم في العديد من آياته على ضرورة التأكيد على تنمية القدرات البشرية وما يتعلق بها لغرض إنجاح البرامج التنموية وتحقيق الغاية منها، وفق المعطيات التالية:

العمل:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٠٥) .

الإعداد:

لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال/٦٠)

تنمية الموارد:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة/١٠٣) .

الإيمان:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة/٧٢).

مما تقدم نستنتج أنَّ التنمية في منظور القرآن الكريم تنصب في إتجاه خدمة الإنسان وإستثمار الموارد المُتاحة، وخلق التوازن بين الموارد وحاجة السكان الحقيقية.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- محمد الحسيني الشيرازي(قد) ، فقه العولمة، دراسة إسلامية معاصرة ،ط١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .

٣- أدريانو بينايون، العولمة نقيض التنمية (دور الشركات عبر الوطنية في تهميش البلدان النامية من خلال الإستثمارات الأجنبية المباشرة) ترجمة، جعفر علي حسين السوداني وعماد عبد اللطيف سالم ، بيت الحكمة ، بيت الحكمة ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٢م.

يا أيها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم
واعلموا أن الله يحول بين المرء و
قلبه وأنه إليه تحشرون

الأنبياء في القرآن الكريم

د. أسامة رشيد الصفار

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار..

أمّا بعد؛ فقد وُضِعَ في تعليل ظاهرة الكلام وأحوال نشأتِهِ نظرياتٌ مُختلفة، اعتَوَرَ كُلاًّ مِنها شيءٌ سَدّتْهُ صاحِبتُها، لكنّي وجدتُ في ائتلافها قولاً مُحكَماً، لا تجده في إحداها، فنظريةُ «مكس موللر»، المُسمّاة بـ«دنج دونج» (وخلاصتُها أن الإنسان مزوَّد ابتداءً بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، وأنّه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه)[٢] مُرتبطةٌ بنظرية «التوقيف»؛ لأنّها تُشير إلى معناها، ولِقولي هذا ما يدعمه، إذ إنّ الصورة التشريحيّة لدِماغ الإنسان تشير إلى توافر هذه القدرة في سلالة الإنسان منذ أقدم العصور، فضلاً عن ارتباطها، أي نظرية «التوقيف»، بما نصّت عليه النظرية التي تعزو نشأة الكلام إلى الدوافع الحِسيّة؛ لأنّ الدوافع الحسيّة، تدخل أيضاً في ضمن التشريح الذي نتكلم عليه الآن.!

لذا؛ أقول: إنّ النظريات أجمعَها آخذٌ بعضُها بِحُجَزِ بَعْض، فلا يجوز التسليم بواحدة دون الأخرى؛ لأنّ اللغة، تحت أيسر تعريف، مكوّن اجتماعي ذو عناصر مُتعدِّدة، إن نزعنا منها واحداً وقعنا في براثن الحَيرة التي وقع فيها ابن جني.

ومن المُسمّيات الكثيرة درجت الناس على نطق أسماء الملائكة والأنبياء والصالحين بلفظ واحد، والسبب يعود إلى مجموعة عوامل سيأتي ذكرها في أثناء الكلام، ولكن هذا الأمر لم يستقم على نحو واحد، فـ(إبراهيم)عليه السلام (مثلاً) منطوقٌ بلفظه في كُلّ العالم، وليس مثله لفظ الجلالة..!! والسبب في ذلك ــ فيما يبدو لي ــ يعود إلى أنّ (إبراهيم)عليه السلام لا تتنازعه الناس في النسبة والتقديس والاعتزاز كما تتنازعه في لفظ الجلالة، ألا ترى أنّ ــ سبحانه ــ مُتعدِّد بلفظ (إل)، (إيل)، (إيلياهو) في الساميّة، وبلفظ (God)، (خذ)، (خُدا) في الهندأوربيّة، في حين أنّ (إبراهيم) بقي على حاله في كُلّ اللغات؛ لأنّه مهما علا في القداسة مخلوق، وشتان بين المخلوق والخالق.. وهذا يتضح بيانه في الآتي:

إدريس:

ورد في «درس»، وخبَطَ المُتقدّمون فيه خبط عشواء، فذهب قسمٌ مِنهم إلى أنّه مُشتَقٌّ مِن الدِّراسة، أو أنّه سُمِيَّ بذلك لكَثْرَةِ دَرْسِه ليكونَ عَرَبِيًّا، أو لِدَرْسِه الثَّلاثِينَ صَحِيفَةً التي أُنْزِلَتْ عليه وأنكَرَه آخرون، فقالوا: إدْرِيسُ النّبيُّ ليس مُشْتَقّاً من الدِّرَاسَةِ في كتاب اللّهِ عزَّ وجَلَّ، كما تَوَهَّمَه كَثِيرُونَ ونَقَلُوه؛ لأَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ. وقال أبو زكريّا: هي

عِبْرَانِيَّة، وقال غيرُه: سُرْيانِيّة. وهو الجَدُّ الرابعُ والأَرْبُعُونَ لسيِّدنا رَسُولِ اللّهﷺ ورأى بعضُهُم أنّه اسمٌ أَعْجَمِيٌّ، فلا يَنْصَرِفُ للعَلَمِيَّة والعُجْمَة، وأنّه أَصَحُّ من القول الأول.[٣]

ومِن أقوال المُتقدِّمين الجَديرة بالذِكر عبارة الصاغاني، قال: «(إدريس) لا يُعرَف اشتقاقه، فإنَّ الاشتقاق لِمَا يَكونُ عربيّاً، وإدريس ليس بِعَرَبيّ، ولهذا لا يَنصَرِف وفيه العَجْمَة والتعريف، ويُقال في اسمه (خَنُوْخُ) أيضاً»[٤]

فإن سألَ سائلٌ: أيُشتَقُّ هذا مِن ذاك؟ فجوابُه «المَنْعُ؛ لأنه لا يخلو أن يُشتَقّ من لفظٍ عربيٍّ أو عجميّ مثله، ومُحال أن يُشتَقَّ العجميّ من العربيّ، أو العربيّ منه؛ لأنّ اللغاتُ لا تُشتقّ الواحدة مِنها مِنَ الأُخرى؛ مُواضَعةً كانت في الأصل أو إلهاماً، وإنّما يُشتَقُّ في اللغة الواحدة بعضها من بعض؛ لأنّ الاشتقاق نِتاجٌ وتَوليد، ومُحال أن تَلِد المرأة إلاَّ إنساناً، وقد قال أَبو بكر مُحمَّد بن السريّ في رِسالَتِهِ في الاشتقاق، وهي أهمّ ما وضع في هذا الفنّ من علوم اللسان: ومَنْ اشتَقّ العجميّ المُعرّب مِنَ العَرَبيّ كانَ كَمَن ادّعى أنّ الطيرَ مِنَ الحُوت. وقول السائل: ويشتق منه؟. فقد لَعَمْرِي يُجْرى على هذا الضرب المُجْرى مُجْرى العربي كثيرٌ من الأحكام الجارية على العربيّ، من تصرّف فيه، واشتقاق منه، ثُمَّ أورَدَ أمثلةً، كاللِجام، وأنّه مُعرّب مِن (لغام)، وقد جُمع على لُجُم كَكُتُب وصُغِّر على لُجَيم، وأتى للفعل منه بمصدر، وهو الإلجام، وقد ألجمه فهو مُلْجَم، وغير ذلك، ثمَّ قالَ: وجملةُ الجوابِ أنّ الأعجميّة لا تُشتَق، أي لا يُحكم عليها أنّها مُشتَقَّة، وإن اشتُقَ

مِن لفظِها، فإذا وافق لفظٌ أعجميٌّ لفظاً عربيًّا في حروفه؛ فلا تَرَيَنَّ أحدَها مأخوذاً من الآخر، كإسحاق، ويعقوب، فليسا من لفظ (أسحقه اللّه إسحاقاً، أي أبعَدَه) ولا مِنَ (اليعْقوب؛ اسم الطائر)»[٥]، وكذا سائر ما وقَعَ في الأعجَمِيّ موافقاً لفظَ العربيّ، كـ(إدريس)، الذي يراه أغلب المُحدَثِين أعجمِيّاً، إذ لم يُشتَقّ من الأصل (درس)، وهو في التُراث الإسلاميّ صِدِّيق ونبيّ، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[٦].

إسْرائيل وإسرائين:

وَرَدَ (إسرائيل) في التاج: اسم مَلَكٍ، وزعَمَ بعضُهُم أنَّه بالنُّونِ على البَدل[٧].

وأورَدَ الدكتور خالد إسماعيل أنّه اسمُ لنَبيّ، أو اسم لأتباعه؛ بني إسرائيل، وأنّه مُعرّبٌ كما نقل جيفري عن الجواليقيّ في المُعرّب، والخفاجيّ في شِفاء الغليل، والبيضاويّ في تفسيره.

وأورَدَ أثلَها في السَّبئيّة: ي س ر إ ل؛ وفي العِبرانيّة: أ سَ رْ إ ل، أ سْ رِ ي إ ل، ي س ر ا إ ل. وأنّها في رسم المُصحف: (إسريل)، (إسرايل)، والاسم مُركّب من ي س ر ، أ س ر + إل، وفُسِّرَت الكلمة بمعنى: قوة إل، أي شدّة اللّه وقوته، ومن التفسيرات الأخرى: س ر هـ + إل: اللّه يُقاتل. عِلماً بأنّ أقدم ذِكْر مُؤكّد لاسم إسرائيل هو نقش «مِشَع» (٨٣٠ ق.م)، إذ ورَدَ بصيغة: ي س ر + إ ل، فالسِّين بالعبريّة تقابل الشين بالعربيّة ــ كما هو مُتفَقٌ عليه ــ فيكون معنى (شرى إل): سما، أو علا الإله.[٨] أو أنّ معناه: يُجاهِدُ مع اللّه.[٩]

إسحاق:

أورَدَه الزَبِيْدِيّ في «سحق». عَلَمٌ أَعْجَمِيّ، وهو بالكسر، وإنّما أَطْلَقَه للشُّهْرة، ولِكَوْنِه يُفْهَمُ فيما بعدُ من قولِه إن نُظِرَ إلى أَنَّه مَصْدر في الأَصْل، قالَ سيبَوَيْهِ: أَلْحَقُوه ببِناءَ إِعْصارٍ وإِسْحاق؛ اسمُ رَجُلٍ، فإذا أُريدَ ذلك لم تصرِفْهُ في المَعرِفَةِ؛ لأَنهُ غُيِّرَ عن جِهَتِه، فوقَعَ في كَلام العَرَبِ، غير معروفِ المَذْهَب، ويُصْرَفُ إن نُظِرَ إلى أَنَّه مصدَرٌ في الأَصْلِ؛ من قولِكَ أَسْحَقَه اللّه؛ أي: أبعَدَه، وذلِكَ لأَنَّه لم يُغَيِّر عن جِهَتِه، كذا في الصِّحاح والعُباب.[١٠]

قُلتُ: ذلِك ما أورده الزبيديّ في التاج، وقوله: «غير معروف» غَدَا الآن مَعرُوفاً، فالدرس المُقارن يُفيد اشتراك الساميات في لفظِهِ، فهو في العِبرانيّة من الفعل (سَحَقَ، صَحَقَ)، أي (ضَحكَ)، ولعلّ معناه (الضّاحِك)، أو (الضّحُوك)، ورجَّحَ الدكتور خالد إسماعيل انتقال الاسم إلى العَربيّة مِنَ السُريانيّة الفِلَسطِينِيّة؛ لورُدِهِ بصورة (إيسحق). أمّا رؤوف أبو سعدة؛ فقد رَجَح أن يكون من معنى الفاعِل، لا الفِعل، وقرّبَ له اسماً عربيّاً، هو (الضحّاك)[١١].

إسْمَاعِيلُ:

وَرَدَ ذِكرُه في «سمعل» سُريانِيّاً، وهو ابنُ إبْراهِيمَ الْخَلِيلِ ــ عليْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ وعَلى وَلَدِهِما صلَّى اللّه تَعالى عليْهِ وسلَّم ــ ومَعْنَاهُ بالسُّرْيَانِيَّةِ «مُطِيعُ اللّهِ، ولِذَا يُكْنَى مَنْ كانَ اسْمُهُ إسْماعِيلَ بأَبِي مُطِيع، ورُوِيَ عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ ــ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ــ، قالَ أَبو عَمْرو: وهذِه الرِّوايَةُ أَصَحُّ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ، والخِلافُ في ذلكَ كَثيرٌ، وأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ وتُدْعَى هَاجَرَ، مِنْ قِبْطِ مصْرَ، مِنْ قَرْيَةٍ يُقالُ لَها: أُمُّ العَرَبِ، قُرْبَ الْفَرَما،

وهو الجَدُّ الثَّلاثُونَ لِسَيِّدِنا رَسُولِ اللهﷺ نَبيٌّ مُرْسَلٌ، أَرْسَلَهُ اللهُ تَعالَى إلى أَخْوالِهِ وإلى الْعَمالِيقِ الذينَ كانُوا بأَرْضِ الحِجَازِ، فآمَنَ بَعْضُهم وكَفَرَ بَعْضُهم، وهو أَكْبَرُ أَوْلادِ أَبيهِ، وبَيْنَ وَفَاتِهِ ومَوْلِدِ نَبِيِّنا ﷺ نَحْوٌ مِنْ أَلْفَيْنِ وسِتِّمَائِةِ سَنَةٍ، ويُقالُ فيه: إسْماعِينُ بالنُّونِ، وزَعَمَ ابنُ السِّكِّيتِ: أَنَّ نُونَهُ بَدَلٌ مِنَ اللَّام، وتَقَدَّمَتْ نَظَائِرُهُ، قالَ شَيْخُنا: وذَكَرَ المُصَنِّفُ فِي كِتَابِ لُغَاتِ الْقُرآنِ الذي سَمَّاهُ مَطْلَعُ زَوَاهِرِ النُّجُومِ: إنَّ إسْماعِيلَ عليه السلام أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِهذا الاِسْمِ مِنْ بَنِي آدَمَ...»[١٢] وورد ذكره على البدل بلفظ (إسماعين) في «أسمعل»[١٣].

وفي مصادر التأثيل وَرَدَ ذِكرُهُ في العِبريّة بصيغة: ي ش م ا ع إ ل: عسى أن يستجيب الله، وورد في الخط المِسماريّ: أ ش م ي ــ إل (م)[١٤] وكذلك ي ش م خ ي ــ إل[١٥]. وفي بعض كُتب التعريب أنّه بمعنى: سميع الله.[❖]

أَيوُب:

وَرَد في (أوب) أنّه كان «رُومِيّاً من أولاد عِيص بن إسحاق ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأول من سُميَ بهذا الاسم من العرب جدّ عدي بن زيد بن حمان ابن زيد بن أيوب، من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، قاله أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني... وقال ابن الكلبيّ: لا أعرف في الجاهلية من العرب (أيوب) و(إبراهيم) غير هذين، وإنّما سُميّا بهذين الاسمين للنصرانيّة، كذا قال البلاذِريّ»[١٦].

قُلتُ: وأمّا عدُّهُم (أيُوبُ) رُوميّاً فمَرجُوحٌ؛ لأنّه

بالعِبريّة: هـــي و ب؛ إذ إنّ الهمزة في العبريّة تُقلَبُ هاءً، ومنها همزة الوصل، وبالسُّريانيّة: إ ي و ب، والصيغة السُريانيّة أقرب إلى العربيّة، ولَعَلَّهُ انتقل إلى اليُونانِيّة والرُّومِيّة، إذ أوردَتْه المَصادرُ باللفظ نفسه: (إ ي و ب)، وذهبَ فريقٌ من النحويين إلى كَونِهِ من بناءِ من (فَيعُول) أو (فَعُّول)[١٧].

زَكَرِياء:

وَرَدَ ذِكْرُه في «زكر» أعجميّاً، وذكَرَ الزَبيديُّ فيه أقوالاً[١٨].

ونصّ الجواليقيّ على عُجمَتِهِ[١٩]، وجاء في العهد القديم بصورة: ز ك ر ي ا(هـــ)؛ ز ك ر ي ا هـــ و، ومعناه: ذِكْرُ اللّه ، وجاء في السُريانيّة بصيغة ز ك ر ي ا، وفي المَندائِيّة ز ا ك ر ي ا.[٢٠]

عِيسَى:

وَرَدَ في «عيس» عِبرانِيّاً، أو سُريانيّاً، «وعِيسَى، بالكَسْر: اسْم المَسِيح ــ صَلَوَاتُ اللّه على نَبيِّنا وعليه وسلَّم ــ «قال الجَوْهَرِيُّ: عِبْرَانيّ أَو سُرْيانيّ، وقال اللَّيْثُ: وهو مَعْدُلٌ عن (أَيْشُوعَ)، كذا يَقُولُ أَهْلُ السُّرْيانيَّة. قلْتُ: وهو قولُ الزَّجّاج، وقال سِيبَوَيْه: عِيسَى؛ فِعْلَى، وليسَتْ أَلِفُه لتَّأْنيث. إِنّمَا هو أَعْجَميٌّ. ولو كانَتْ للتَّأْنِيث لم يَنْصَرِفْ في النَّكْرة، وهو يَنْصَرِفُ فيها. قال: أَخْبَرَني بذلك مَن أَثِقُ به؛ يَعني بصَرْفه في النّكرة، ومِثلُه قَولُ الزَّجّاج، فإنَّه قال: عِيسَى اسمٌ أَعْجَميٌّ، عُدِلَ عن لَفْظِ الأَعْجَمِيَّة إلى هذا البِناءِ، وهو غيرُ مَصْروفٍ في المَعْرِفة، لاجْتِمَاع العُجْمَة والتَّعْريف فيه.»[٢١].

وَوَرَدَ في Jeffery,F.V.Q.[٢٢]، أقوالٌ مُتَباينَة؛ فمِنهم من ذهب إلى أنّه عربيّ، ومِنهم من ذَهَبَ إلى أنّه مُعرّب؛ ومِنهم من يرى أنّه سُريانيّ أو عِبرانيّ، ولكن الأدلة ناقصة؛ لاختلاف الصيغ الأعجميّة على الصيغة العربيّة، لِذا؛ يُمكن أن نقول: إنّ العربَ عرفته بالصورة المذكورة في القرآن الكريم، فهو عربيّ بهذا الشكل. أمّا المعنى؛ فما يزال مُشكِلاً، وجاء الاسم في النصوص اليهوديّة القديمة بالصيغ: إ ي ش و ع، ي ش و ع، ي س و ع. وكلها مُخالفة للصيغة العربيّة.

مَتَّى:

وَرَدَ ذِكرُهُ في «متت» سُريانِيّاً، «ومَتَّى كحَتَّى؛ مُشدَّدَة، وهو

المَشْهُور، وبه جَزَم المُحَقِّقون، أو مَتى مَفكُوكَة... وقد أنكره طائِفة... وقيل: إنّما سُميَّ (مَتْتَى)، وهو مذكور في موضِعِه من حرف الثاء المُثلَّثة، وهو أبو يُونُسَ النّبيِّ ــ عليه وعلى نبيّنا أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام ــ لا أُمُّه... وعند الجُمْهُور أن (مَتَّى) أُمّ يُونُسَ عليه السلام قالوا ولم يَشْتَهِر نَبيٌّ بأُمِّه غير عِيسى ويُونُس عليه السلام قاله ابنُ الأثير في جَامِعِه... (وفي رواية أخرى) أنّه كان بعد سُلَيْمانَ، وأنّه من وَلَدِ بِنْيَامِينَ بن يَعْقُوبَ عليه السلام».[٢٣]

وفي لسان العرب: مَتَّى: أَبو يونُس عليه السلام سُرْيَانِيّ.

وأرى أنّه سُريانيّ، والذي في اللِسانِ هو المَشهور، وقد ذَكَرَه الزَبِيدِيّ نَصّاً عن ابن منظور.[٢٤]

مَريمُ (القدِّيسَة):

وَرَدَ ذِكْرُها عليها السلام في أكثر من باب، فقد أوردها الزبيديّ في «ضهأ»[٢٥] اسماً أعجَمِيّاً، وذَكَرَ جيفري[٢٦] أنّ هذا الاسم دخل في العربيّة، في الأغلب، من المصادر المَسيحيّة، أي السُّريانيّة، فإذا لم تكن الميم أصليّة؛ فالاسم مُشتق من (ريم): فضُلَ، زادَ، فإن كان أصلُّ التسمية كذلِك؛ فإنّ المعنى يكون: ذات الفضل، أو مكان الفضل.

وقد تعثّرتُ في قبول هذا الرأي لاحتمال اسمها عليها السلام تفسيرات أخرى؛ إذ قد يكون مُركّباً من المقطعين: (م ا ر) بالأكاديّة القديمة، أو (م ى ر) بالبابليّة الحديثة، بمعنى (المرء)، و(يم) بمعنى البحر في الأكاديّة والأوكاريتيّة والفينيقيّة والعبريّة والمَندائيّة، فهي إذن امرأة الماء أو البحر، كناية عن طُهرها وعَفافِها. أو هو من (م ا ر ي ا) الآراميّة والسُّريانيّة والسَبئيّة، بمعنى السيدة أو المرأة الجَلِيلَة، والمعنى العام يوحي بالفَخَامة كما أشار إلى ذلك د. خالد إسماعيل، وعلى أية حال؛ إنّ الاسم عربيٌ قديم؛ لأنّه مِن المُشترك السّاميّ.

مُوسَى:

أوردَه الزَبِيديُّ في «موس»، قال: «ومُوسَى بنُ عِمْرَانَ بن قاهِث من وَلَدِ لاوِي بن يَعْقُوب؛ كَلِيمُ اللّهِ ورَسُولُه ــ عَلَيْه وعلى نَبِيِّنا مُحَمَّد أَزْكَى الصَّلاة وأَتمُّ السَّلام ــ وُلِدَ بمِصْرَ زَمَنَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ العَمَالِقَةِ، وبينَه وبينَ آدَمَ عليه السلام ثلاثَةُ آلافٍ وسَبْعُمائةٍ وثمَان عَشْرَةَ سنةً، وبينَ وفَاته وبينَ الهِجْرَةِ أَلْفَان وثلاثمائةٍ وسَبْعٌ وأَرْبَعُونَ سنةً، قال ابنُ الجَوَالِيقِيّ: هو أَعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ. قالَ اللَّيْثُ: وإشْتِقاقُ اسمِه مِن الماءِ والشَّجَرِ، ونَصُّ اللَّيْثِ: والسَّاج بدلَ الشَّجَرِ، وهو بالعِبْرَانِيَّة مُوشَا، فَـ (مُو) هو الماءُ، وهو بالفَارِسِيَّة أَيضاً، هكذا؛ فكأَنَّه من تَوافُق اللُّغات، و(سَا) هكذا في سائر النُّسخ، وقال ابنُ الجَوَالِيقِيّ: هو بالشّين المُعْجَمَة؛ هو الشَّجَرُ، سُمِّيَ به لِحَال التّابُوتِ والمَاءِ، ونَصُّ اللَّيْثِ: في الماءِ، أَي لأَنَّ التّابُوتَ الّذي كانَ فيه وُجِدَ في الماءِ والشَّجَرِ، وقيلَ: مَعْنَى مُوسَى: الجَذْبُ، لأَنَّه جُذِبَ من الماءِ، أَو هو في التَّوْرَاة مَشِّيتيهُو، بفتح الميم وكسر الشِّين المُعْجَمة وسكونِ الياءِ التَّحْتِيَّةِ وكسرِ التاءِ الفَوْقِيَّة وسكون تَحْتِيَّةٍ أُخرَى ثم هاءٍ مضمومة وواو ساكنَة، أَي وُجِدَ في المَاءِ، وقال ابنُ الجَوَالِيقِيّ: أَي وُجِدَ عِنْدَ المَاءِ والشَّجَر، قال أَبو العَلاءِ: لم أَعْلَمْ أَنَّ في العَرَبِ مَن سُمِّيَ مُوسَى زَمانَ الجاهِلِيَّة، وإنّمَا حَدَث هذا في الإسْلام لَمَّا نَزَلَ القُرْآنُ، وسَمَّى المُسْلِمُونَ أَبناءَهم بأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام على سَبيل التَّبَرُّكَ، فإذا سَمَّوْا بمُوسَى؛ فإنَّمَا يَعْنُون به الإسْمَ

الأَعْجَمِيَّ، وهو عندَهم كعِيسَى. إنتهى...ومُقْتَضاه (عند بعضِهم) مَنْعُ الصَّرْفِ، كائِناً مَنْ كان مَنْ سُمِّيَ به...»[٢٧].

وأورَدَه ضنّاوي أعجَمِيّاً[٢٨]. وفي العهد القديم وَرَدَ بصورة: م و ش هـــ، وفي السُّريانيّة: م و ش ا، وذَكَرَ جيفري أنّ لفظ (موسى) دخل في العربيّة ترجيحاً بطريق السُّريانيّة، وسَمِعَتْه العَرَبُ من اليَهود فَعَرّبُوه.[٢٩]

أمّا معنى الاسم؛ فلا يزال غامِضاً، لكنَّ بعضَهُم يرى أنّ (م و س) في المِصريّة القديمة تعني (وُلِدَ).[٣٠]

ووَرَدَ لفظُ (موشل) في «مشل» أنّه قد يعني (موسى) بالعَربيَّةِ[٣١]، ويحتمِلُ عندي أنّه كذلِك إذا اشتققناه من الأثل العِبريّ (م ش هـــ)، إذ يُناظِرُه الأثلُ العَربيّ: (م س أ)، بمعنى «أخرج»، فهو (المُنتَشَل) أو (المُخرَج من الماء)، فتأمّل.

اللَّيْسَعُ:

وَرَدَ ذِكره في «لسع»، قال الزبيديّ: «واللَّيْسَعُ؛ كصَيقَل: اسمٌ أعْجَمِيٌّ، وتوَهَّم بعضُهُم أنَّها لُغةٌ في الْيَسَع»[٣٢].

قُلْتُ: هذا لا يثبُت، واحتمال النطق بـــ (ليسع) قائم على ما ورد في (اللَّيْسَعُ) إذ لا ضابط محدد على اللسان العربيّ في اللفظ الأعجميّ، لِذا أوردته المُعجَماتُ في أكثر من مكان[٣٣]. والعلماء العرب مُنقسِمون على قِسمَين؛ فريقٌ ذهَبَ إلى أنّ الاسم مُركّب من (أل التعريف) و(يَسع)، وفريقٌ رَسَمَه (اللَّيْسَعُ)[٣٤]. ونقلَ جيفري عن الجواليقيّ[٣٥] والخفاجيّ[٣٦] أنّ الاسم مُعرّب.[٣٧] ووَرَدَ ذِكْرُ (اليَسَع) أيضاً في «وسع» و«يسع».

وَوَرَدَ ذكر (الْيَسَع) في العهد القديم بصيغة: إ ل ي س ا ع، وتَرْجَمَتُه في السُّريانيّة: أ ل ي ش ع، وفي الحبشيّة: ا ل س ع.

وذهبَ جيفري إلى أنّ الكلمة مُعرّبة على الأرجح من السُريانيّة. والمعنى العام يُفهم مِن تركيب «إل» أي «إله» + «وسِعَ».

قال د. خالد إسماعيل: «والأفضل؛ أنّ العربَ والأحباشَ سمِعُوا الاسم بالسين وشاعَ بهذه الصِّيغة»[٣٨].

نُوح:

وَرَدَ ذِكْرُه في «نوح» أعجميّاً. قال الزبيديّ: «بالضَّم، اسم نبيٍّ. أعجميّ.»[٣٩] وقد وَرَدَ ذِكْرُه في العَهدِ القديم بصيغة: (نُ و ح)، وفي السُريانيَّة (نُ و ح)، وهو مِثل (لُوْط)، يَنصرف مع العُجْمَة والتَّعريف، سمِعَتهُ العَرَبُ مِن أهلِ الكِتاب.[٤٠]

يَهُوذا / الهُودُ / اليَهودُ:

وَرَدَ ذِكرُها في «هود»، قال الزَبيديّ: «الهُودُ، بالضَّمْ: اليَهُودُ؛ اسمُ قَبيلَةٍ، وقِيل: إنّما اسمُ هذه القَبيلةِ يَهُوذ، فعُرِّب بقلب الذال دالاً... ويَهُودَا؛ أخو يُوسُفَ الصِّدِّيقِ من أبيه عليه السلام، قِيل: هو بالذال المُعجَمة، وفي شفاءِ الغَليل: يَهُودَا مُعَرَّب يَهُوذا، بذال معجمةٍ؛ ابنُ يَعقوبَ عليه السلام. قلْتُ: وكذا قالوا في هُودٍ: إن أصلَه بالذال المُعجمة، ثم عُرِّب بالدال المهملة.»[٤١]

وَوَرَدَ (هود) في العَهدِ القديم مُركّباً من نحو: أ ب ي هـُـ و د: (هُود) هوَ أبي، أ ح ي هـُـ و د: (هود) هو أخي، عَ مِّ هـــ و د: (هود) هوَ عمّي.

ومِن هذه الأسماء المُركَّبَة يلوح اسم (هُود)،

فكأنّه اسم إله، له علاقة بالأصل العبريّ (هـــ و د) بمعنى العُلُو والسُمُو، وقد ورد بالصيغة الاسميّة: (هـــ و د) بواو قريبة من ألف التفخيم، يُقابِلها في العَربيّة هادَ أو هَوَدَ.[٤٢]

قافية الدراسة

تتفاوت «العالميّة Universality» بين الألفاظ من حيث الشيوع والقِدَم، فهي في أدنى مستوياتها لا ترقى الإقليميّة إليها، وفي مستوياتها العُليا تبلغ حدّ الإطلاق والشيوع.

ويعتمِد تقويم مستوى العالميّة لكل لفظ على رصيدِه من القرائن وقُوَّتِها، فمن الألفاظ ما هو عالميّ مُطلقاً، أو عالميّ، أو نصف عالميّ، ومِن الألفاظ ما هو مَحَليّ، أو إقليميّ، أو إقليميّ عالميّ، فلفظ الجلالة ـــ مثلاً ـــ معروف في أكثر من أرومة بألفاظ مُتعدِّدَة، فقد جرى في الهندرأوربية بلفظِهِ المشهور في الساميّة (إل، إيل إلياء، اللّه..) جنباً إلى جنب مع (God ـــ خد ـــ خدا ..).

وأمّا القول بوجود المُعرّب من الألفاظ في القرآن؛ فإنهم قد غالوا فيه وأبعطوا، والحقيقة تُفيد معنى واحِداً: العربيُّ عربيٌّ مِن بقائه في الاستعمال العربيّ، والفارسيّ فارسيّ من بقائه في الاستعمال الفارسيّ، ولكنّ كليهما إنسانيّ من حيث الترسيس، فإذا كان (آب) أعجميّاً؛ فإنّه كذلِك إذا نظرنا إلى طول بقائه في الاستعمال الفارسيّ، لكن لا يمنع أن يكون عربيّاً أو إنسانيّاً ترسيساً، إذ إنّ آثاره في العربيّة القديمة باقية أبداً تدلّ على ذلِك، فإنّ (الأبّ) في قولِه تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٤٣] له جذور في العِبرانيّة والآراميّة والسُريانيّة وأنّ دِلالته تتصل بأسباب الحياة المُهمّة كالماء، إذ كان مُطلقاً على الثِمار والحب والسنبل[٤٤]. وإنّما قُلْتُ: (آب) و(ماء) لفظان إنسانيان من حيث الترسيس؛ لِما لهما في التَصوُّر العقليّ من إمكان القبول تعضيداً بالقرينة المكتوبة، فضلاً عن أنّ في القرآن من كلِّ لسان، وهذا حال كلّ اللغات، إذ لم تُكن العربيّة الحديثة كالعربيّة القديمة، ولا الهند أوربيّة الحالية كالهندأوربيّة السابقة، أفلا ترى أنّ (العين) كان على أربعين ألف مادة في القرن الثاني الهجريّ ثم زاد شيئاً فشيئاً ليجاوز حَدّ المئة والعشرين ألفاً بعد عشرة من القرون في (تاج العروس)، فإن دخل لفظ من لغة في أخرى وانماز فيها بِنُبُوِّهِ عن طبيعتها؛ فهو ليس منها، وإن دخل فيها وطاب له المُقام فيها، فهو منها؛ لأنّه لم ينبُ عن طبيعتها، وهذا أمرٌ ينبغي أن يُدرك بالقبول؛ لأنّ رُقي اللغات إنّما يكون بتفاعلها مع غيرها، ولو قُدِرَ لأي لُغةٍ أن تكون بمنأى عن صاحِباتها لتخلّفت واندثرت، فهذه قاعِدة، وهذا ما أفهمه من معنى

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾[٤٥] وذلك قبل أن تفترق اللغة الأم في لغات مُختلفة بتكاثر الناس، وتباعد أصقاعهم، وتشعّب أجناسِهم، وتطوُّرِ لُغاتِهم على مرّ الأزمان بطرق الإنماء اللغوي المعروفة، والله أعلَم..

ثبتٌ بالمصادر العربيّة

- القرآن الكريم.
- تاج العروس من جواهر القاموس للمُرتضى الحُسيني الزَبيديّ، ت: علي شيري، مؤسسة أهل البيت ــ إيران ، ٢٠٠٣ (عشرون مُجلَّداً).
- تاج العروس من جواهر القاموس للمُرتضى الحُسيني الزَبيديّ، وزارة الإعلام الكويتية / مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٣ ــ ٢٠٠١ (أربعون مُجلَّداً).
- تأصيل الجذور السامية، د. حسام قدّوري عبد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.
- تفسير البيضاوي ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد بن عمر البيضاوي (ت٦٩١هـ). http://www.altafsir.com
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري. ١٣٧١هـ، وطبعة السعادة، بتصحيح محمد النعسانيّ، مصر ١٣٢٥ هـ.
- القاموس المُقارن لألفاظ القرآن الكريم، د. خالد إسماعيل علي، مكتب سناريا، بغداد ٢٠٠٤.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، ١٩٩٥ مع مُلحَق بالفهارس.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٧.
- المُعجم المُفصّل في المعرَّب والدَّخيل، د. سعدي ضنّاوي، دار الكتب العلميّة لمحمد علي بيضون، بيروت لبنان. ٢٠٠٤
- المُعرّب من الكلام الأعجميّ، الجّواليقي، (مُرتَّب على حروف المعجم) وضع حواشيه وعلّق عليه خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ١٩٩٨.

Abbreviations

- AHw: Von Soden, Wolfram, Akkadisches HandwÖrterbuch, W - esbaden 1958.
- Blak, ,J,A. concise, Dictionary of Akkadian; wiesaden, 2000,.
- C. Brockelmann,. Lex. Syr. Lexicon Syriacum , Halis Sax. 1928
- FVQ: Jeffery, Arthur , The Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda 1938.
- K. Vollers : Beitrãge zur Kenntness der lebenden arebischen Sprache in Aegypten: 11. Ueber LehnwÖrter. Fremdes und Eigenes. ZDMG, vol. 50 (1896), p607 – 657 ; vol. 51 (1897), p.291-326,343.
- Noeldeke, 1910 : Noldeke, The -

dor , Neue Beitrage zur semitischen Sprachwissenschaft , Strassburg 1910.

الهوامش

١- سورة البقرة، الآية: ٣١.
٢- يُنظر: المدخل إلى علم اللغة، ص١١٦.
٣- يُنظر: ٢٨١/٨ علي شيري، ٦٧/١٦ الكويتية. ومُختَلَف الأقوال في العُباب: (درس) ١٠٤/١.
٤- المصدر نفسه: (درس) ١٠٤/١.
٥- مُقَدِّمة التاج (الكويتيّة)، ص٢٧ - ٢٩.
٦- يُنظَر: القاموس المُقارن، ص٩، والآية الكريمة رقم ٥٦ من سورة مريم.
٧- يُنظر: «سرأل» ٢٧٧/١٨ علي شيري، ١٨١/٣٥ الكويتية.
٨- يُنظَر: القاموس المقارن، ص١٥ و١٦، ولتوثيق ما نقله د. خالد عن المُتقدِّمين يُنظَر: المُعرّب ص١٤، شفاء الغليل ص١١، تفسير البيضاوي ٣٨/٢.
٩- يُنظر: المُعرّب والدخيل في اللغة العربيّة وآدابها. ص٨١.
١٠- ٢٠٨/١٣ علي شيري، ٤٣٧/٢٥ الكويتية.
١١- يُنظر: تأصيل الجذور الساميّة، ص١١٩.
١٢- ٣٦٠/١٤ علي شيري، ٢٢٨/٢٩ الكويتية.
١٣- ١٨/١٤ علي شيري، ٤٤٧/٢٧ الكويتية.
١٤- Akkad.N.72 .
١٥- KB.Lex.411, Ostkan.69.
(❖) يُنظر: المُعَرَّب والدخيل في اللغة العربيّة وآدابها.ص٨١.
١٦- ٣٠٦/١ علي شيري، ٣٩/٢و٤٠ الكويتية.
١٧- يُنظر: ٣٦ KB. Lex: Koehler , L. Baumgartner, W; Lexicon In Veteis Testamenti Libros Leaden ١٩٥٨
١٨- ٤٦٧/٦ علي شيري، ٤٣٧/١١ الكويتية.
١٩- المُعرَّب:٨٧
٢٠- Md. Dict.159
٢١- ٣٨٢/٨ علي شيري، ٢٩٧/١٦ الكويتية. ويُنظَر ما يؤيد هذه الأقوال وزيادة: العباب (عيس)١٥٥/١، اللسان (عيس) ١٥٢/٦.
٢٢- يُنظر في هذا المصدر: ٢١٩ f
٢٣- ١٣١/٣ علي شيري، ٨٩/٥ الكويتية.
٢٤- اللسان، (متت): ٨٨/٢
٢٥- ١٩٨/١ علي شيري، ٣٢١/١ الكويتية.
٢٦- FVQ: 262 Page
٢٧- ٤٨١/٨ علي شيري، ٥٢٤/١٦ الكويتية.
٢٨- المُعجم المُفصّل، ص٤٣١.
٢٩- Jeffery,FVQ274f
٣٠- KB 572
٣١- ٦٩٢/١٥ علي شيري، ٤٠٦/٣٠ الكويتية.
٣٢- ٤٣٢/١١ علي شيري، ١٨٤/٢٢ علي شيري.
٣٣- يُنظر ما ورد في (وسع) ٥١٠/١١ علي شيري، ٣٢٧/٢٢ الكويتية.
٣٤- اللسان ٢٩٩/١٥ و ٤٤٩
٣٥- المُعرّب: ٢٩٩.
٣٦- شفاء الغليل: ٢١٥.
٣٧- FVQ 68f
٣٨- القاموس المقارن، ص٥٩٧.
٣٩- ٢٤١/٤ علي شيري، ١٩٩/٧ الكويتية.
٤٠- يُنظَر: جيفري FVQ : ٢٨٢ والقاموس المقارن (ن و ح) ص٥٤٩.
٤١- ٣٣٩/٥ علي شيري، ٣٥٣/٩ الكويتية.
٤٢- يُنظَر: (ه- و د) في القاموس المُقارن، ص٥٦٤.
٤٣- عبس: الآية: ٣١
٤٤- يُنظر: القاموس المُقارن، ص١
٤٥- سورة الروم، الآية: ٢٢.

البيئة
في المنظور القرآني

العلاقة بين الإنسان والبيئة
في ضوء نظرية الاستخلاف

د. سليم عطيه الجوهر

المقدمة

يعيش الإنسان منذ أن أوجده الله عز وجل فوق هذه البسيطة، وهي بكل ما تحتويه تمثل بيئته التي يعيش فيها وعليها، وقد تطورت علاقة الإنسان مع الطبيعة المحيطة به من كونها هي المتحكمة بالإنسان، تهدده بكوارثها وتقسو عليه بتقلباتها وعدم قدرته على السيطرة على مجرياتها والتنبوء بمستقبل الاحداث الطبيعية فتميل كفة الغلبة إلى صالح الطبيعة، التي وصفها الإنسان بالقاسية. فتحول حلم السيطرة على الطبيعة وتسخيرها بكل تقلباتها وقسوتها لصالح الإنسان فانقلبت المعادلة ان يكون الإنسان هو المتحكم بمجريات الطبيعة وسكونها بفضل التطور العلمي والتكنولوجي.

لكن تبقى البيئة التي تحيط بالإنسان هي مصدر طاقته والإطار الذي يبذل وجوده فيها من جهة، والذي يستنزفها من جهة أخرى فتعالت الصيحات في ضرورة الحفاظ على البيئة وان يقلل الإنسان من الإساءة لهذه البيئة ومن خطر فقدان التوازن البيئي، وما ثقب الأوزون وتلوث المياه بنواتج المعامل وتلوث الهواء بالغازات وخطر الإشعاعات إلا أمثلة على الدمار الذي يلحق بهذه البيئة. فتعددت المشكلات فمن مشكلات التلوث المتعددة إلى مشكلة نقص الغذاء إلى مشكلة المياه، التي يعتقد أنها ستكون من أهم أسباب التوازن والصراع السياسي في العقود المقلبة مع نقص مصادر المياه، ودع عنك مفهوم نقص الموارد الذي يؤكد عليه علم الاقتصاد أو ما يطلق عليه (ندرة الموارد) فالنقص الدائم نتيجة استنزاف الوارد هو نتيجة الاستخدام الجائر لموارد الطبيعة (فقد اختفى حوالي ٤٥ نوع من الطيور خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وحوالي ٤٠ نوع من الثديات[1] وهنا يجدر التذكير بان السيد الصدر لا يوافق على نظرية نقص الموارد ويوافق على الاستخدام الجائر ويقول ان السبب في نقص الموارد هو الظلم اي التوزيع غير العادل لموارد الطبيعة والثروة والسبب الثاني هو

كفران النعمة أي عدم استعمار الأرض بالطريقة الصحيحة والنافعة .

فناقوس الخطر يدق بقوة، هذا الخطر الناتج عن عدم التوازن البيئي، مما دعا الأمم المتحدة إلى إقامة مؤتمر لها يتعلق بالبيئة في أكتوبر سنة ١٩٧٢، نتج عن ذلك التوجه نحو الدراسات التخصصية في كيفية الحفاظ على البيئة والدعوة للتوعية لكي يشارك الإنسان مشاركة فعالة بالحفاظ على البيئة، وأنشئت العديد من الجمعيات والمنظمات مثل السلام الأخضر وغيرها تدعو وتعمل للمحافظة على البيئة .

ما هي البيئة ؟

يختلف مفهوم البيئة حسب نوعية العلاقة التي يقيمها الإنسان أو التي يوجد فيها الإنسان، فرحم الأم هو البيئة الأولى التي يوجد فيها الإنسان قبل الولادة . وفي حياته متعددة الأطوار يتنقل بين مسميات بيئية عدة، البيئة الاجتماعية الأولى (الأسرة) البيت فالمحلة إلى البيئة الزراعية والتعليمية والاقتصادية وغيرها .

تدل كلمة (البيئة) في معاجم اللغة العربية على (النـــزول والحلول في المكان)، ثم أطلقت الكلمة مجازاً على المكان الذي يتخذه الإنسان (مستقراً لنـــزوله وحلوله)، أي على: المنـــزل، والموطن والموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ فيه منـــزله وعيشه .

البيئة لغة :

البيئة في اللغة مشتقة من الفعل (بوأ) و (تبوأ) أي نزل وأقام. والتبوء: التمكن والاستقرار والبيئة: المنزل . والبيئة بمعناها اللغوي الواسع تعني الموضع الذي يرجع إليه الإنسان، فيتخذ فيه منزله ومعيشته وهو المنزل والحال وهي لفظة شائعة الاستخدام يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها فنقول:- البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة الصحية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية، والسياسية.... ويعنى ذلك علاقة النشاطات البشرية المتعلقة بهذه المجالات.[٢]

و(البيئة) في العلم هي مفهومان يكمل بعضهما البعض، أولهما «البيئة الحيوية» وهو كل ما يختص لا بحياة الإنسان نفسه من تكاثر ووراثة فحسب، بل تشمل علاقة الإنسان بالكائنات الحية، الحيوانية والنباتية، التي تعيش في صعيد واحد. أما ثانيهما وهي «البيئة الطبيعية أو الفيزيقية» وهذه تشمل موارد المياه وتربة الأرض والجو ونقاوته أو تلوثه وغير ذلك من الخصائص الطبيعية للوسط.[٣]

فهي «الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها». فهي «مجموعة الظروف والعوامل المادية المحيطة بالكائن الحي ومكوناته».

يقول رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني في كتابهم الموسوم البيئة «أننا عندما نقول بيئة فإننا في الواقع نقصد كل مكونات الوسط الذي يتفاعل معه الإنسان مؤثراً متأثراً بشكل يكون فيه العيش مريحاً فسيولوجياً ونفسياً[٤]» ثم يخلصون إلى تعريف شامل للبيئة فهي «الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وماء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيها علاقاته مع أقرانه من بني البشر[٥]». فالبيئة حددها

مؤتمر ستوكهولم سنة ١٩٧٢ مفهوماً واسعاً بحيث «أصبحت تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعة، ماء وهواء وتربة ومعادن وصادر للطاقة ونبات وحيوان، بل هي رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ومكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته».[٦]

وعلى هذا يمكننا القول بأن البيئة (في إطارها العام) هي «كل ما هو خارج جسم الإنسان» ويؤثر فيه، ويتأثر بالأنشطة التي يمارسها الإنسان نفسه . يمكن تقسيم البيئة، وفق توصيات مؤتمر ستوكهولم، إلى ثلاثة عناصر هي:

البيئة الطبيعية:

وتتكون من أربعة نظم مترابطة هي: الغلاف الجوي، الغلاف المائي، اليابسة، المحيط الجوي، بما تشمله هذه الأنظمة من ماء وهواء وتربة ومعادن، ومصادر للطاقة بالإضافة إلى النباتات والحيوانات، وهذه جميعها تمثل الموارد التي اتاحها الله سبحانه وتعالى للإنسان كي يحصل منها على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى.

البيئة البيولوجية:

وتشمل الإنسان «الفرد» وأسرته ومجتمعه، وكذلك الكائنات الحية في المحيط الحيوي وتعد البيئة البيولوجية جزءاً من البيئة الطبيعية .

البيئة الاجتماعية:

ويقصد بالبيئة الاجتماعية ذلك الإطار من العلاقات الذي يحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره، ذلك الإطار من العلاقات الذي هو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعات سواء بين أفرادها بعضهم ببعض في بيئة ما، أو بين جماعات متباينة أو متشابهة معاً وحضارة في

بيئات متباعدة، وتؤلف أنماط تلك العلاقات ما يعرف بالنظم الاجتماعية، واستحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية لكي

تساعده في حياته فعمّر الأرض واخترق الأجواء لغزو الفضاء.[٧]

البيئة في القرآن الكريم:

لقد تحدث القرآن في مئات الآيات عن البيئة واعمار الأرض والعناصر الأخرى ولعل الآية القرآنية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ التي تتحدث عن أن كل شيء حي جعل من الماء خير دليل على ربط القرآن بين حياة الإنسان بعناصر البيئة (الماء) وهو جعل تكويني .

فالقرآن تكلم عن الأرض وكيف هي فراش للإنسان ومهدا له ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وتحدث القرآن عن تمكين الإنسان في الأرض ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويسير فيها ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وتحدث عن الأكل والشرب وعدم الإفساد ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وذكر القرآن الشجر ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ وذكر القرآن الماء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وذكر القرآن الرياح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وذكر البحر والذي هو من أهم العناصر ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ وذكر الحيوان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾.

تكلم القرآن على الطبيعة بزخمها وصورها المختلفة ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾، إذاً اهتم الإسلام بالبيئة كاهتمامه بالحقول الأخرى .

علاقة الإنسان بالبيئة في المنظور القرآني:

تحدث القرآن الكريم عن الأرض ب (٤٤٤) مرة في (٤٢٥) آية تناول فيها الأرض بمواضع مختلفة، تتناول علاقة الإنسان بالأرض وكيف أن ما ينفع الناس يمكث في هذه الأرض التي سخرها للناس. وهذه العلاقة بين الأرض والإنسان يمكن أجمالها في الآية المباركة / قال تعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

فالآية المباركة تشتمل على عدة مفاهيم:

الأول: علاقة الإنسان بالخالق حددتها الآية بـــ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ وهي علاقة التكريم والاحترام.

الثاني: علاقة الإنسان بالبيئة بكونها موطن الإنسان ومحل نشاطه وانتفاعه والتي حددتها الآية ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

الثالث: هو تفضيل الإنسان على كثير من الخلق وهو تفضيل قد يكون مطلقاً.

ان الناظر الى الآية في الوهلة الأولى يتصور ان العلاقة بين تكريم الانسان والحمل في البر والبحر ثم التفضيل تؤدي الى علاقة لها نوع من الاستعلاء للإنسان على كثير من خلق الله من خلال مفهوم الملكية والتملك وحيث ان الإنسان مسلط على ما يملك لذا قد يعتقد ان القرآن يؤكد على مركزية الانسان في هذه العلاقات ، ولكننا عندما نرجع الى آيات اخرى في القرآن الكريم نرى ان العلاقة لها محددات أخرى منها الآية الكريمة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ تدل هذه الآيات على الخلافة لا الملكية فليس للإنسان حرية التعامل مع البيئة في ضوء مفهوم الملكية بل في ضوء مفهوم الخلافة، لذا فلابد من الرجوع إلى النظام السماوي في التعامل وهذا الذي أكد عليه السيد الصدر في تفسيره للآية الكريمة في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم يستطرد السيد فيحدد من الآية عناصر اولها الانسان وثانيها الأرض او الطبيعة وثالثها العلاقة التي تربط بين الانسان والأرض ثم يبين هذه العلاقة بقوله، وأي علاقة تنشأ بين الانسان والطبيعة فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك وأنما هي علاقة أمين على امانة استؤمن عليها[٨] فعلى هذا تكون علاقة الخلافة قد استوجبت علاقة أخرى هي علاقة الاستئمان لا التملك .

هذه العلاقة علاقة الأمانة توضحها الآية في قوله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ومعنى ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ كما جاء في كتب التفسير أي جعلكم عمارا تعمرونها وتسكنون بها، وهذا لا يتأتى إلا بأمريـــن: أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده، والثاني أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه، وهذا الأمر يؤدي بنا أن ننتقل من علاقة الوجود عليها إلى علاقة الاستئمان عليها إلى بعد أعمق وهو علاقة الاستصلاح من خلال عملية الاستعمار ولا شك أن في الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها، وتحقيق التنمية واستدامتها، ومفاهيم الإصلاح والاستعمار تدخل ضمن مفهوم شكر النعم وهو مفاهيم بالضد من كفران النعمة التي يؤكد الصدر عليها في بحوثه الاقتصادية .

إذاً علاقة المسلم بالبيئة ليست علاقة جافة بل هي علاقة اكتشاف وتدبر وتأمل توصل المسلم إلى معرفته بالله تعالى معرفة كاملة ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

كثيراً ما يظن أن العبادة منحصرة في الصلاة والصوم فقط ولا علاقة لنا بالبيئة وهذا من أسباب ضيق أفقنا وتصوراتنا ومفاهيمنا

لأننا نتصور أن العبادة صلاة وصوم فقط بل هي أشمل لأن الدين المعاملة وهذه تشمل الإنسان والحيوان والطبيعة وكل ما خلق الله .

الإسلام ليس منحصراً في العبادة والتاريخ والعقيدة والأخلاق فقط بل كلنا مسؤول من جهة واجباته الملفاة عليه، أي من جهة المسؤولية التي يتصدى لها الإنسان أو المكلف بها أو الملقاة عليه ففي الحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» فأنا مسؤول عن بيئتي وسلامتها كما أنا مسؤول عن صلاتي وصومي قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي بعد جعلها صالحة لا تلوثها ولا تفسدها وقال تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فكما ينهانا الله تعالى

عن شرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير ينهانا عن العبث في الأرض البيئة فهذه آية واضحة تدعونا لعدم تلويث البيئة لأنه من العبث وقوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ففي تفسير الميزان ج١ في تفسير الاية من سورة البقرة (ولا تعثوا ؛ العيث والعثى أشد الفساد)[٩] وفي تفسير البرهان ج١ لا تسعوا فيها وأنتم مفسدون عاصون[١٠]. فإلقاء القمامة في غير اماكنها وتلويث المياه والبيئة بالأدخنة والأبخرة المضرة ومخلفات التصنيع هو إفساد في الأرض . وكذلك قطع النخل يعدّ للبيئة فهذا النخل الذي يمثل سداً للمنطقة يحمي البيئة من تصحر الأرض وزحف الرمال والغبار على الجزء المسكون مما يؤدي إلى الأمراض. أيضاً النخل يعد عاملاً مهماً في تنقية المناخ فإذا أزيل النخل أصبحنا عرضة للأجواء الملوثة وللرمال الزاحفة ولذلك ورد عن الرسول محمدﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة» وقالﷺ كما ورد عنه: «من قطع سدرة فقد صوب رأسه إلى النار». كذلك أمير المؤمنينعليه السلام الذي يوجهنا الى ان يكون المجتمع حضاري يكتب في عهده إلى مالك الأشتر: «هذا ما عهد به عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى واليه مالك الاشتر النخعي على مصر استصلاح أرضها وجباية أرضها وعمارة بلادها» فهو كما يأمرهم بالصلاة يأمرهم باستصلاح الأرض وبعمارتها.

مركزية الانسان في علاقته بالطبيعة

فقد ذهب لين وايت في مقالته الرائدة في هذا الميدان، الجذور التاريخية للأزمة البيئية[١١]، وقد أقام هذا الربط على اعتبار أن المشكلات البيئية نشأت عن ترابط العلم والتكنولوجيا، أي عن تحول العلم إلى معرفة عملية تطبيقية، وأن هذا الترابط قد اكتسب خصائصه في رحم القرون الوسطى وليس بدءًا من عصر النهضة العلمية. ولذلك فهو يدعو إلى تفحص الافتراضات حول العلاقة بين الإنسان والطبيعة كي نفهم كيف يكون لها تأثير في إحداث الأزمات البيئية. يرى وايت أن هذه الافتراضات كانت مستمدة من فكرة سيادة الإنسان على الطبيعة ومخلوقاتها، أن يستغل الإنسان الطبيعة لمنفعته لأنه مخلوق أسمى من المخلوقات الأخرى. ووفق هذه النظرية أن الإنسان هو المسلط على الطبيعة يفعل بها كيف يشاء انطلاقا من مركزية الإنسان، أي أنه المحور الذي تدور حوله كل المخلوقات لكونه الكائن الأسمى يحق له الاستخدام الجائر للطبيعة لمنفعته الخاصة مما خلف مشاكل بيئية كثيرة .

فمشاكل البيئة يمكن تسطيرها كما يلي :

١- النمو الانفجاري لعدد السكان واستنزاف الموارد .

٢- تلوث المياه .

٣- تلوث التربة .

٤- تلوث الغذاء .

٥- تلوث الهواء .

٦- الإخلال بالتوازن الطبيعي .

٧- لا مركزية الإنسان في علاقته بالطبيعة

عل عكس نظرية مركزية الإنسان يتجه الإسلام إلى لا مركزية للإنسان في تعامله مع الطبيعة فهو ليس بالمسلط بل الخليفة ولذا يحذرنا القرآن من ان تكون علاقتنا بالطبيعة علاقة الإسراف حيث قال تعالى ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

يتبين ان لا مركزية للإنسان في خضم هذه العلاقات الثلاث بين الله الخالق والمستخلف والإنسان المستخلف على الأرض وهي مكان الاستخلاف، بل أكد القرآن على أن الأرض فيها آيات لله على الإنسان أن يتفكر في هذه الآيات قال تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فالأرض آية وما فيها آيات الله وهي محل الحلال الطيب (البقرة ١٦٨) والله عز وجل لا يحب من يتولى في الأرض ليفسد فيها (البقرة الاية ٢٠٥).

ومن هنا تلاحظ الباحثة س. نومانول هاغ في بحثها المعنون الإسلام والإيكولوجيا[١٢]: نحو إحياء وإعادة بناء، أن أثر الإسلام في بناء العالم الحديث كان غير مباشر . وهو بناء على المستوى الأخلاقي فهي تميز بين ثلاثة مستويات متداخلة للخطاب القرآني: ميتافيزيقي وطبيعي وإنساني، تقابل المجالات الثلاثة: المقدس والطبيعة والبشرية. فالطبيعي - التاريخي يرتبط بالمتعالي - الأبدي كما رأينا في الآيات القرآنية السابقة، يعني أن كل ذلك يولّد على المستوى الإنساني موقفًا محددًا تجاه العالم إذ يؤكد القرآن، كما تقول الباحثة، على الدلالة المتعالية للطبيعة بما هي علامة أو آية

تحيل إلى موجود متعالٍ يمنح مبدأ الوجود للعالم وأشيائه، فالأرض والجبال والماء والدواب والشجر وما عليها وما فيها آيات لقوم يعقلون .

وتلاحظ الباحثة على قصة الخلق كما وردت في القرآن، أن اعتبار الإنسان خليفة الله على الأرض يعني أن البشر أمناء وسدنة العالم الطبيعي بأكمله لأنه آية مقدسة من آيات الخالق. إن لكل شيء قَدْراً، بحسب ما يرد في القرآن، وثمة ميزان للكون والبشر، وقد أخذ الله على البشر ميثاقًا وبالتالي فهُم في عهد مع الله كي لا يخربوا أو ينتهكوا قَدْر الطبيعة وميزانها فهم أمناء على الأرض، وإن تحقيق هذا العهد هو الباعث الأخلاقي الأساسي للبشرية في سلوكها تجاه العالم الطبيعي .

فالطبيعة رمز لله ووسيلة يمتحن من خلالها البشر (حيث الدنيا ممر ومعبر إلى الآخرة) لكونها محط النعم المسخرة للإنسان وهي من جهة أخرى محل ابتلاء الإنسان . إنها أحد شكلين لدخول الله في التاريخ فهي محل الاستخلاف وعليها يكون الإنسان إما شاكرا وإما كفورا، والشكل الثاني هو كلام القرآن الذي يتحد عن هذه الأرض بهذا العدد الكبير من الآيات يتناول فيها أوجه العلاقة وأهمية الإصلاح في الأرض وعد الإفساد فيها. فبما أن سور القرآن هي آيات/علامات، فإن أشياء العالم الطبيعي والسور القرآنية تتعادل ميتافيزيقيًا فالطبيعة هي آيات الله كما أن كلام الله في القرآن هو آيات الله. وبالتالي، فهذا يعني تمتع البيئة الطبيعية بالقداسة، كما هو القرآن المقدس، مع كل ما ينجم عن ذلك من نتائج على السلوك البشري تجاه الطبيعة وأشيائها. وهذه العلاقة بين المقدس والطبيعي والإنسان تماثل العلاقة الثلاثية الأطراف التي يحددها الصدر بين الإنسان والطبيعة والله عز وجل، فإن الله هو الذي استخلف الإنسان والإنسان هو المستخلف والطبيعة هي المستخلف عليها، فالعلاقة هي علاقة استخلاف .

وتلاحظ الباحثة أن السور القرآنية لا تعطي أي انطباع مسبق بأن العالم الطبيعي ومخلوقاته وجدا لأجل المخلوقات البشرية وبالتالي فهذه الأرض ليست ملكًا لبني البشر بل هي ملك لله وعلى الإنسان المستأمن ان يخلص في أداء الأمانة ويحافظ عليها وعلي جميع من فيها من مخلوقات الله الذي استأمن الإنسان إلا بالقدر الذي سمح الله به من خلال مفهومي العدالة وشكر النعمة . فالأرض موئل لجميع المخلوقات التي تشكل أممًا أو مجتمعات مثلها مثل البشر ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

إن القرآن يزخر بالإشارات إلى الطبيعة وقواها وظواهرها حتى أن كثيرًا من السور المائة وأربعة عشر تحمل أسماء من هذا القبيل: البقرة، الأنعام، الرعد، النحل، النور، النمل، العنكبوت، النجم، القمر، الحديد، البروج، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العلق، الزلزلة، التكاثر، العصر، الفيل، الفلق. وهذا دلالة إضافية على قداسة الطبيعة . يتجلى كل ما ذكرناه في الحياة العملية، كإلزام أخلاقي، في شكل أوامر ووصايا وتنبيهات تتعلق بالتعامل مع الموارد الطبيعية (كالماء والمراعي...) أو المخلوقات الحية (الأشجار والحيوانات) تطبيقا لمفهوم شكر النعم .

الخلاصة

مما تقدم تبين لنا ان الاسلام ينظر الى أن العلاقة بين الانسان والطبيعة هي علاقة استخلاف واستئمان فالانسان مؤتمن على الطبيعة (فالمستخلِف هو الله سبحانه وتعالى، والمستخلَف هو الانسان واخوه الانسان، أي الانسانية ككل أي الجماعة البشرية، والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها ومن عليها) ويوضح هذه العلاقة السيد محمد باقر الصدر فيقول (هذه الصيغة ترتبط بوجهة نظر معينة نحو الحياة والكون، بوجهة نظر قائلة بأنه لا سيد ولا مالك ولا اله للكون والحياة الا الله سبحانه وتعالى، وان دور الانسان في ممارسة حياته انما هو دور الاستخلاف والاستئمان، واي علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك وانما هي علاقة امين على امانة استؤمن عليها).

المصادر

١- القرآن الكريم

٢- رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني\ البيئة ومشكلاتها ص\عالم المعرفة العدد ٢٢ سنة اكتوبر سنة ١٩٧٩.

٣- من ويكيبيديا الموسوعة الحرة

٤- عن معين رومية في بحثه (نظرات في العلاقة بين الإيكولوجيا والدين)/ موقع معابر الالكتروني

٥- محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية .

الهوامش

١- رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني \ البيئة ومشكلاتها ص \عالم المعرفة العدد ٢٢ سنة اكتوبر سنة ١٩٧٩

٢- من ويكيبيديا الموسوعة الحرة

٣- من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

٤- البيئة ومشكلاتها ص \عالم المعرفة العدد ٢٢ ص١٩ (مصدر سابق)

٥- المصدر نفسه ص٢٤

٦- المصدر نفسه ص٢٤

٧- من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

٨- (انظر المدرسة القرآنية الدرس الثامن وما بعده)

٩- تفسير الميزان ج١

١٠- تفسير الرهان ج١

١١- عن معين رومية في بحثه (نظرات في العلاقة بين الإيكولوجيا والدين) / موقع معابر الالكتروني.

١٢- المصدر السابق

مشاكل الفقر

بين الواقع وآليات القضاء عليها

بحث تحليلي في القرآن الكريم

أ.م.د. ميثاق هاتف الفتلاوي

المستخلص

يحاول هذا البحث الوقوف على الاساليب والطرائق الناجحة والفعالة في معالجة الفقر في البلدان عبر استقراء تلك الاساليب والطرائق في القران الكريم، فالفقر مشكلة ذات ابعاد عالمية وذات تاثيرات تمتد الى جميع مفاصل الحياة، وان دراسة العلاجات يشكل موضوعا جديراً بالاهتمام خاصة وان الكثير من البلدان والمنظمات تحاول الوصول الى تحقيق الكفاية الاقتصادية الا انها لم تستطع ذلك نتيجة استخدام طرقا واساليب مبنية على الخبرة والتجربة والارتجال الدنيوي، وذلك كله يتم بعيدا عن الرؤية السماوية لعلاج مشكلة الفقر بشكل كامل، اذ ان الاساليب والطرق القرانية تمتاز بدقتها وعمقها فضلا عن عدالتها بالتطبيق وخاصة اذا ما عدّ القران مصدرا رئيسا ومرجعاً اساسياً في حل المشكلات التي يواجهها العالم.

اهمية البحث

تنطلق اهمية البحث من اهمية الموضوع قيد البحث، اذ يشكل الفقر احد العوائق الاساسية في تحقيق التنمية والتطور الاجتماعي والاقتصادي والاداري وجميع مجالات الحياة هذا من جهة ومن جهة اخرى يشكل الفقر السبب الرئيس في انهيار القيم الاخلاقية لدى الكثير من الاشخاص وبالتالي انعكاسها على الواقع الامني والسياسي بشكل عام، اذ ان المتفحص يرى الترابط الكبير بين مشكلة الفقر وجميع الجواني في الحياة، وانطلاقا من هذه الاهمية اوجد الخالق جلَ في عُلاه معمارية دقيقة وواضحة في القرآن المجيد لوضع خطة استراتيجية بعيدة المدى تقوم على مراحل مترابطة لتحقيق الامن الغذائي والمالي والاجتماعي ليتم بذلك نظام الخلافة التي ارادها الله جل وتعالى بافضل الصور.

مقدمة

بسم الله الذي اوجد في كتابه الكريم سبل الارتقاء بالواقع الانساني في الدنيا وكذلك في الاخرة، فجعل فيه بلسما وافيا كافيا لمعالجة آفة الفقر واثارها، تتراوح بين العلاج بشكل ينهي حالة الفقر الى العلاج الذي يخفف من حدة اثاره، وذلك كله يدور ضمن منظومة الحكمة الالهية التي قد تجعله علاجا لبعض النفوس التي لا يصلحها الى المرور بهكذا وضع اقتصادي، ودرسا للاخرين ليحمدوا نعم الله عليهم ويعيشوا مع الاخرين بما اراد الله جل جلاله، اذ قد جسد الله مضامين العلاج والتعايش مع الاخرين من خلال نبي الرحمة ومنقذ الامة الرسول الاكرم الذي كان القدوة الحسنة في تطبيق العلاجات الفعالة لانهاء ظاهرة الفقر وبناء فكر اداري قادر على علاج الفقر على مر الازمان وتعاقب الاجيال فضلا عن معايشته للفقراء، وقد حرص الباحث أن يبرز علاج القرآن لمشكلة الفقر بوسائله المتنوعة، سواء أكان بالسعي والأخذ بأسباب الرزق، أم بالتكافل الاجتماعي، أم من خلال الحقوق المفروضة في الأموال، أم من خلال الحقوق التطوعية، ليكون ذلك نموذجاً ومثالاً يتأسى به في حل كلِّ ما يواجه العالم من مشكلات. وتحقيقاً لهذه الغاية؛ فقد قسم البحث على مبحثين ثم خاتمة.

المبحث الاول: نظرة في ظاهرة الفقر

أولاً: مفهوم الفقر وتعريفه

تأتي لفظة الفقر في اللغة بمعنى الضد للغنى، كلمة فقير تاتي على وزن (فعيل) بمعنى: فاعل، وتجمع على فقراء، ويقال فقر يفقر اذا قل ماله وقد ورد الفقر بمعنى الإعارة فتقول: أَفقرتُ فلاناً ناقتي أي أعرتُه فَقارها. (لسان العرب:٥: الجزء الخامس)

وقد عرف الفقر اصطلاحاً من خلال تفسير علماء الاسلام لموضوعة الصدقة وكيفية توزيعها وكيف يعرف الفقير المستحق وفقا لقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الاية ٦٠).

وقد اختلف العلماء في تحديد معنى الفقر والمستوى الذي يجيز اعطاء الشخص المتصف بالفقر من الصدقة والحقوق وحد الغنى الذي يمنع اعطاء الصدقة للشخص المتصف به، اذ اشار العلماء الى ان الفقير (هو الشخص الذي لا يملك مؤونة سنته اللائقة بحاله له ولعياله، وهو يختلف عن المسكين باعتباره اقل تاثرا بالعوز المادي فالمسكين اشد فقرا من الفقير وهما نقيضان لغنى الشخص) (السيستاني:٣٤١: ٢٠٠٤) اما تفسير المذاهب الاسلامية لكلمة الفقر الواردة في الاية الكريمة من سورة التوبة يمكن عرضها بالصور من باب العرض فقط وليس التمحيص والتدقيق العلمي التالية:

الصورة الاولى:

ذهب أبو حنيفة إلى أن الفقر هو عدم ملك نصاب الزكاة ودليله في ذلك قول الرسول الكريمﷺ لمعاذ بن جبل (فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم) اذ وجه الاستدلال ان الرسول حدد الغني بمن يملك نصاب الزكاة في حين الفقير من تدفع له، أي ان من يملك نصاب الزكاة فهو غني ومن لا يملكه فهو فقير (البخاري: الجزء الثالث: ٣٧٥).

الصورة الثانية:

التي اشار اليها الامام احمد والثوري وابن المبارك بان حد الفقر يكون عند الشخص الذي لا يملك خمسين درهماً او ما يساويها من الذهب ودليلهم ما رواه الدارقطني عن عبد الله بن مسعود عن الرسول الاكرمﷺ (تحل الصدقةُ لرجل له خمسون درهماً) (سنن الدار القطني: كتاب الزكاة:ح٢ص١٢١).

الصورة الثالثة:

ويستند اصحاب هذا الاتجاه الى قول امير البلاغة وصي نبي الرحمة الامام علي بن أبي طالبعليه السلام، بأن حد الفقر هو ان لا يملك المرء عشاء ليلة وحد الغنى عكسه بالاستناد الى قول الرسول الكريمﷺ: (من سأل مسألة عن ظهر غني استكثر بها من رضف جهنم قالوا يا رسول الله وما ظهر الغني؟ قال: عشاء ليلة).

الصور الرابعة:

تستند في رأيها الى ما ذهب اليه مالك والشافعي الى أن حد الفقر شرعاً هو ألا يملك الإنسان ما يكفيه من المال وحد الغني عكس ذلك، لكن أصحاب هذا الرأي قد اختلفوا في تحديد الضابط لما يكفي الإنسان من المال، فقال الشافعي هو أقل ما يمكن أن يطلق عليه اسم أنه يكفي. وقال مالك بأنه ليس في ذلك حد معين وإنما هو راجع إلى الاجتهاد (القرطبي:ج١ ص٢٧٦).

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الفقر بانه (عدم امتلاك المرء للقدرة المالية والجسدية وعدم امتلاكه للعمل الذي يحقق له الكفاية)

ثانيا: ذكر كلمة الفقر في القران

ان المتتبع للآيات التي ذكر فيها كلمة (الفقر) يجد ان هناك ثلاثة عشر موضعاً موزعة على عشر سور بعضها مكي والأخر مدني، وانقسمت على الآيات التي حثت المسلمين على البر والاحسان للفقراء، بوصفهم جماعة يجب مراعاتهم والتوجه لهم بالعناية والاهتمام، وبين الايات التي حذرت من سلوك طريق الشيطان واتباعه إذ يعد اتباعه بالفقر والفحشاء، فضلا عن الايات التي تحث اولياء الامور على الزواج وان لا يتركوا التزويج بحجة الفقر، وآيات حثت العاجزين عن نفقات الزواج بالتأني والعفَّة حتى يغنيهم الله من فضله، وبعضها نفرت من الفقر مبينة أن نبي الله موسى عليه السلام قد شكا إلى الله منه، كما ذمتْ بعض الآيات أولئك الذين وصفوا الله بالفقر لأنها صفة لا تليق بجلالته وعظمته فالله الغني ونحن الفقراء، وقد مدحت بعض هذه الآيات فقراء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله ونصرة دينه.

هذا ويمكن عرض الايات التي تناولت كلمة الفقر في نوعين حسب نزول الايات وكما يلي:

أ- الآيات المكية النزول:

١- قول الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:الاية ٢٤)

٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: اية ١٥).

ب- الآيات المدنية النزول:

١- قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ (البقرة: الاية ٢٦٨).

٢- قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: اية ٢٧١).

٣- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: اية ٢٧٣).

٤- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ (ال عمران: اية ١٨١).

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: اية ٦)

٦- قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (النساء: اية ١٣٥).

٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ (التوبة: اية ٦٠).

٨- قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ (الحج: اية ٢٨).

٩- قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (النور: اية ٣٢).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ (محمد: اية ٣٨).

١١- قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ (الحشر: اية ٨)

يتضح من خلال استعراض الايات الكريمة في اعلاه يتبين ان اغلب الايات كان نزولها في مدينة الرسول الاكرم اذ يفسر ذلك كون المدينة اصلاً كان اهلها يعيشون حالة الفقر فضلاً عن قدوم المهاجرين من مكة المكرمة الذين كانوا اشد فقرا من اهل المدينة لكونهم تركوا كل ما يملكون خلف ظهورهم ولبوا الدعوة الاسلامية السامية على يد الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ.

ثالثا: الكلمات الاخرى التي استخدمها القران الكريم للتعبير عن الفقر

كما ان القران الكريم ورد فيه بشكل صريح كلمة الفقر للإشارة الى واقع ملموس كان هناك انتقالات مقدسة للإشارة الى ظاهرة الفقر من خلال كلمات مرادفة تعطي معنى الفقر ومن هذه الآيات ما ورد بلفظ (الاملاق) وذلك في سورتين من سور القران الكريم احداهما مكية هي ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٖ﴾ (الانعام: اية ١٥١) والاخرى مدنية قوله تعالى ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَـٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ اذ اشار المفسرون الى ان كلمة املاق تعني الفقر. (الرازي:ج٣:ص٢٤٥)، وهناك تعبير اخر اورده القران لمعنى الفقر بكلمة (البائس) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ (الحج: اية ٢٨)، اذ تشير الاية الكريمة الى ان الفقر هو صفة لكلمة البائس التي تعني الجوع والعري وقد يمتد ترجمتها الى التكفف (القرطبي:ج٢: ص٥٤).

كما اشار القران الكريم الى كلمة الفقر في ايات بلفظ القانع والمعتر كما في قوله تعالى ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (الحج: اية ٣٦) وقد اختلف العلماء في تفسير كلمة القانع والمعتر فبعضهم اشار الى ان القانع تعني السائل، في حين تعني كلمة المعتر بانها المعترض من غير سؤال وتفسير اخر يبين ان القانع تشير الى الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال والمعتر المعترض بسؤال (الزمخشري:ج٣:ص١٥٥) وقد اشار القرطبي قولا مختلف في معنى القانع والمعتر خلاصتها ان من العرب من ذكر القناعة بمعنى القنوع أي الرضا والتعفف وترك السؤال، اما المعتر فهو الذي يسال الناس مما عندهم. كما من تعابير القران الكريم عن حال الفقير من خلال قوله تعالى ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ﴾ (البلد :اية ١٦) فالمسكين ذا المتربة هو الفرد الفقير الذي لا يملك شيئا كانما افترش التراب اذ ليس له ماوى الا التراب وكلمة متربة تشير الى انه افتقر حتى التصق بالتراب.

حاولنا في الفقرات السابقة عرض موجز لكلمة الفقر وحال الفقير في ايات الله الكريم فضلا عن توضيح مفهوم الفقر ضمن المفهوم الاسلامي الواسع وفي الفقر التالية سنحاول توضيح العلاجات القرانية لمشكلة الفقر.

المبحث الثاني: الطرائق والوسائل الناجحة لعلاج مشكلة الفقر

اوجد الله سبحانه وتعالى في الدنيا العديد من العلاجات العملية لحل مشكلة الفقر ومنها ما اشار اليه سبحانه وتعالى في القران الكريم ضمن اياته ويمكن التطرق اليها بالشكل التالي:

اولاً: التسبب والسعي للرزق

جعل الله سبحانه وتعالى لكل سبب مسبب بهدف حث الناس على السعي نحو تحقيق مراميهم التي تجعلهم سعداء في هذه الحياة وان الرازق الوحيد هو الله المقتدر الا ان من رحمته جعل السعي سبب من اسباب الرزق، ونحن مكلفون ان ناخذ بالاسباب وذلك كما في قوله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: الاية ٢٢) كما امر الله سبحانه وتعالى الخلق على السعي للعمل لتحقيق مستوى المعيشة الطيبة للمرء وعائلته كما في قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (التوبة: اية ١٠٥) ومن اصدق الايات وضوحا لضرورة السعي لكسب الرزق قوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، هذا وان كتابنا المقدس القرآن الكريم، اوضح أن الرزق بزيادته ونقصانه بيد الله جل وعلا، وهو من يبسط الرزق وينقصه لمن يشاء.. ولكن هذا ليس معناه، الجلوس في زاوية البيت، حتى يبعث الله جل وعلا رزقاً لنا.

وهنا يكون الإنسان قد غفل عن نقطتين مهمتين: الأرزاق الإلهية محسوبة، وغير منفصلة عن حكمته. عالم الأسباب موجود، وهو عالم الوجود. وأساس عالم الوجود، هو الله جل وعلا. وبالتالي، فإن إرادة

الله جل وعلا في بسط الرزق ونقصه، مشروطة بالسعي والإخلاص والإيثار. ويؤكد ذلك، القرآن الكريم بقوله ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾.

وكذلك أحاديث أهل بيت النبوة تؤكد ذلك فقد قال الإمام علي عليه السلام قال : (إن الأشياء لما ازدوجت، ازدوج الكسل والعجز، فنتج عنهما الفقر). كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (لا تكسلوا في طلب معايشكم، فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها)، كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: (إن الله ليبغض العبد النوام، إن الله ليبغض العبد الفارغ).(الكافي: ٥ / ٨٤ / ٢ عن بشير الدهّان).

ثانياً: استخدام التكافل الاجتماعي

ان فكرة التكافل الاجتماعي تعني التساند والتضامن، ويتم التكافل بين مجموعة من الناس، وقد يكون هؤلاء الناس يمثلون جزءاً من امة او يمثلون الامة كلها، وقد اشار القران الكريم الى ذلك يقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الانبياء: اية ٩٢) اذ تشير هذه الاية الى ضرورة انسجام الامة فيما بينها والتعاون في هذه الحياة الدنيا، كما ان الرسول الكريم اوضح بان تكامل هذه الامة انما يكون من خلال وصف انفسهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وان المفهوم هو الاساس للتكافل الاجتماعي ينحصر بين توزيع العبء على كافة الافراد والفائده منه عائدة على الجميع وهذا لا يمكن ان ينقل للواقع الى في مجتمع ادرك المفهوم الحقيقي للحياة فبرئ من الانانية، وعمل بمثل الحق وكرامة الغاية، فمضى لتحقيق الاهداف ببناء وثيق والتعاون بين جميع الاطراف (البهي الخولي: ص٢٣٦) بل نرى ان القران حث على التعاون والبر بقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: اية ٢) وتظهر هذه المعنى الحقيقي للتكافل الاجتماعي في التشريع القرآني، الذي شمل كل جوانب الحياة الإنسانية، فالناس في مجتمعاتهم بحاجة إلى أن يتعاون بعضهم مع بعض في كل شؤون الحياة، فإذا توفرت هذه المعاني في المجتمع المسلم، وتجسدت بصورة عملية نعم الناس ؛ فعاشوا في رغد من العيش؛ لأن التكافل من أعظم وسائل علاج مشكلة الفقر. وهناك العديد من الايات الكريمة التي اشارت الى ضرورة التكافل الاجتماعي بين المسلمين وهي:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: آية ١٠) ولكي تتحقق الاخوة كما في الاية الكريمة يجب ان يشاع بين المؤمنين اطعام الاخ لاخيه الجائع وان يروي المؤمن اخاه العطشان وان يكسو المؤمن اخاه المؤمن بل ويمتد الامر الى حرص المؤمن على حياة اخيه المؤمن وكرامته ومكانته الاجتماعية، ويواسيه في الضراء ويفرح معه بفرحه، وهذا هو الانعكاس التطبيقي للتكافل الاجتماعي الذي حث عليه القرآن.

- قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: اية ٩) يتضح من الاية الكريمة امتداح الباري جل في علاه الانصار ويبين مدى فضلهم وشرفهم وكرمهم، وكيف انهم كانوا يؤثرون المهاجرين على انفسهم وذلك بالرغم من فقرهم وسوء احوالهم المعيشية (ابن كثير: ج٤ ص ٣٣٧).

ثالثاً: الحقوق المفروضة في الاموال:

١- الزكاة:

كان دأب القران الكريم في مكة حث الناس على الانفاق في سبيل الله بمختلف الاساليب بهدف سد حاجة الفقراء والمحتاجين دون ان يحدد نوع المال ومقداره معتمدا على جودهم وكرمهم وضمائرهم، ولقد كانت نفوسهم تطمح الى تحديد ذلك الانفاق وبيان شروطها ونصابها إذ كانت مدار بحث بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله كما نقل ذلك القران الكريم في قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: اية ٢١٥) وقد شرعت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة وجعلها الله ركن من اركان الاسلام بهدف ردم الفجوة المالية بين الفقراء والاغنياء، والزكاة تعد مورداً مالياً ضخماً ومن اهم وسائل علاج الفقر اذا ما دفعت بشكل سليم ووزعت بشكل اسلم وخاصة اذا وزعت على مستحقيها الذين اوضحهم الله تعالى في كتابه المجيد بقوله جل في علاه ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: اية ٦٠)

٢- الخمس:

يعد الخمس احد الابواب المهمة في تحقيق التكافل الاجتماعي فأمواله تقسم على قسمين القسم الاول حصة الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه، والجزء الاخر لبني هاشم (الايتام، المساكين، ابناء السبيل)، اما حصة الامام فيرجع امرهما الى نائبه في زمن الغيبة وهو الفقيه المامون العارف بمصارفه اما بالدفع اليه او الاستئذان منه، ومصرفه ما يوثق رضاه عليه السلام بصرفه فيه، كدفع ضرورات المؤمنين، واقامة دعائم المؤمنين ورفع اعلامه (السيستاني: ج١: ص ٤١١)، وقد اشار القران الكريم الى الخمس في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الانفال: اية ٤١) وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: اية ٦)

ورد في كتب التفاسير ومجاميع روايات أهل

البيت عليهم السلام مجموعة من الروايات الدالة على فضائل أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية المذكورة، فقد جاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني (أعلى الله مقامه الشريف):

عن علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم؟ فقال لي: الكف عنهم أجمل، ثم قال: والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا، قلت: كيف لي بالمخرج من هذا؟ فقال لي: يا أبا حمزة كتاب الله المنزل يدل عليه أن الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاما ثلاثة في جميع الفيئ ثم قال عز وجل: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فنحن أصحاب الخمس والفيئ وقد حرمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا والله يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شئ منه إلا كان حراما على من يصيبه فرجا كان أو مالا ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يزيد حتى أن الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى شئ من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجة (الكليني:ج٨ :ص ٢٨٥-٢٨٦).

وتشير الاية إلى فكرة عدم غنى احدكم على احد بفارق يجعل الاول متخماً محتاراً اين يضيع ماله في الوقت الذي يكون فيه يتضور جوعاً لا يجد لقمة عيش بكرامه، ولهذا الخمس باب من ابواب اعادة توزيع الثروات لتحقيق التوازن الاقتصادي للمجتمع وهي احدى اهداف فرض الخمس وليس كلها.

٣- الكفارات:

لم يكتف التشريع القرآني بفرض حقوق مالية للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء فحسب، بل فرض على المخالفين لأحكامه الشرعية أن يدفعوا جزءاً من مالهم عند كل مخالفة لأحكام الشريعة حدد لها كفارة تكفيراً عن تلك المخالفة، فالكفارة إذن ليست صدقة طوعية ولا إحسان اختياري، بل هو أمر واجب حتمي يبذله المرء تكفيراً لما اقترفه من مخالفات شرعية، وقد عرف الدكتور عبد العزيز الخياط الكفارة بقوله: الكفارة عقوبة قدرها الشارع عند ارتكاب مخالفة لأوامر الله تعالى في حالات خاصة وهي حق لله تعالى تكفيراً للذنب الذي ارتكبه المسلم (المجتمع المتكافل في الاسلام: ص ١٧٨).

وتتجلى لنا أهمية الكفارات وآثارها الاجتماعية ودورها في علاج مشكلة الفقر باستعراض أنواع الكفارات ومقاديرها وهي:

الكفارات - عدا كفارات الاحرام - على خمسة أقسام:

القسم الأوّل: الكفارة المرتبة:

وهي في موارد ثلاثة:

١ - **كفارة الظهار:** وهذه الكفارة تجب على من ظاهر من زوجه قائلاً لها : أنت علي كظهر أمي فتصبح الزوجة محرمة عليه حتى يكفر عن ظهاره وذلك تأديباً له لعدم صون لسانه، واستهانته بحقوق الزوجية ورابطتها المقدسة وكفارة الظهار

عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا والاصل في ذلك قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: اية ٣-٤)

٢ - كفارة قتل الخطأ: ويجب فيهما: عتق رقبة، فان عجز فصيام شهرين متتابعين، فان عجز فاطعام ستين مسكيناً.

٣ - كفارة من افطر يوماً من قضاء شهر رمضان بعد الزوال: ويجب فيها اطعام عشرة مساكين، فان عجز فصيام ثلاثة ايام.

القسم الثاني: الكفارة المخيرة.

وهي في موارد ثلاثة أيضاً:

١- كفارة من افطر في شهر رمضان بتعمد الاكل أو الشرب أو الجماع أو الاستمناء أو البقاء على الجنابة.

٢- كفارة من افسد اعتكافه الواجب بالجماع ولو ليلاً، ويلحق به على الاحوط وجوباً الجماع المسبوق بالخروج المحرّم وان بطل اعتكافه به بشرط عدم رفع يده عنه.

٣ - كفارة حنث العهد.

ويجب في الجميع: عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو اطعام ستين مسكيناً.

القسم الثالث: ما اجتمع فيه الترتيب والتخيير:

وهي في ثلاثة موارد ايضاً:

١- كفارة الايلاء.

٢- كفارة اليمين.

٣- كفارة النذر، حتى نذر صوم يوم معين على الاقوى.

ويجب في الجميع: عتق رقبة، أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فان عجز فصيام ثلاثة أيام.

القسم الرابع: الكفارة المعينة:

وهي فيمن حلف بالبراءة من الله أو من رسوله صلى الله عليه وآله أو من دينه أو من الائمة عليهم السلام ثم حنث. فيجب عليه: اطعام عشرة مساكين.

القسم الخامس: كفارة الجمع:

وهي في قتل المؤمن عمداً وظلماً ويجب فيه: عتق رقبة مع صيام شهرين متتابعين واطعام ستين مسكيناً). (السيستاني:ج٣ :ص ٢٤١).

٤- الفدية:

شرع الله تبارك وتعالى الفدية لمن لم يتمكن من العباد المكلفين من القيام ببعض ما افترض الله عليهم أو لمن لا يتمكن من أدائه على الوجه الأكمل، فكل من عجز عن الصيام عجزاً دائماً كالشيخ الفاني والمريض بمرض مزمن الذي لا يرجى برؤه، والمرأة العجوز التي لا تستطيع الصوم لهرمها ومرضها فأولئك الذين لا يطيقون الصوم بالكلية أو يتحملونه بمشقة بالغة قد أباح الله لهم الافطار ورخصه لهم مقابل فدية وهي إطعام مسكين عن كل يوم وهو مقدار صدقة الفطر وذلك في قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة: اية ١٨٤).

فبهذه الآية ثبتت لهم هذه الرخصة، فوجبت عليهم الفدية كما قال الزمخشري في تفسير الآية أي الذين يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم أولئك الإفطار والفدية (الزمخشري:ج١ :ص ٢٢٤) وقال الشوكاني اخرج جرير عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم فيفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينا (فتح القدير:ج١:ص١٨١).

وكذلك فمن حلق شعره وهو محرم لضرورة دعته إليه لزمته الفدية وهو مخير فيها بين الصيام أو التصدق أو الذبح وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة:اية ١٩٦).

فذلك كله يؤدي إلى التوازن الاجتماعي السليم الذي يحقق الرخاء فينشئ مجتمع الكفاية والعدل والمساواة والذي لا يتحقق إلا في ظل التطبيق الكامل لتشريعات الله سبحانه .

٥- النذور:

النذور جمع نذر، وهو التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك مثل أن يقول المرء لله علي أن أتصدق بمبلغ كذا، أو إذا شفى الله مريضي فعلي صيام ثلاثة أيام ونحو ذلك والنذور مشروع في الكتاب والسنة ففي القران الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ (البقرة: اية ٢٧٠) وفي السنة النبوية قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصيه) (البخاري:ج٧:ص٢٩٥).

وبالإضافة إلى الدور البارز الذي تساهم فيه النذور في علاج مشكلة الفقر فإنها أيضاً تخلق جواً هادئاً مفعماً بالحب والاحترام بين الناذر والفقير مما يؤدي إلى توطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع والذي يحقق بدوره الأمن والكفاية بعد الخوف والحاجة والكفاف.

٦- زكاة الفطرة:

تعد زكاة الفطرة احدى الابواب التي شرعها الباري عز وجل في دينه السمح لمعالجة ظاهرة الفقر، اذ تختص زكاة الفطرة بالفقراء والمساكين، ويمكن ان يكون تشريع زكاة الفطرة بهدف تحقيق غرضين:

الأول: يتعلق بالصائم الذي لا يخلو صيامه من أن يكون شابه شائب من رفث الكلام

ولغو في القول فشرعت هذه الزكاة لتطهر المسلم مما شاب نفسه أو علق بصيامه من لغو ورفث .

الثاني: التخفيف من بؤس الفقراء وشقاء المحرومين في يوم العيد خاصة أن أفضل أوقاتها آخر شهر رمضان، والحكمة من تأخير الزكاة إلى ذلك الوقت لإغناء الفقراء يوم العيد بتمكينهم من تلبية احتياجاتهم، فالعيد يوم فرح وسرور وأكل وشرب، ينبغي أن يشعر أبناء الفقراء بما يشعر به أبناء الأغنياء، وبهذا يتبين لنا دور زكاة الفطر في التخفيف عن الفقراء والمساهمة في سد حاجاتهم.

٧- الاضاحي والهدي:

وهي الذبيحة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تقربا اليه واحياء لسنة ابراهيم عليه السلام وقد

اشار اليها تعالى بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر:اية ٢)، وانطلاقاً من الدور البارز الذي تساهم فيه الأضاحي في علاج مشكلة الفقر فقد أجاز علماء المسلمين نقل الأضاحي من بلد إسلامي إلى بلد آخر مما يساهم في عملية التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة، والتخفيف من بؤس الفقراء وحرمانهم، والأضاحي لها أثر كبير في تقوية الصلات ونشر المودة والوئام بين الأغنياء والفقراء وذلك حين يتهادون اللحوم فيما بينهم في العيد مما يشيع جواً من المحبة والتعاون بينهم، كما تحقق هذه الأضاحي علاقة طيبة بين الأغنياء والفقراء مما يشيع جواً جميلاً من التراحم والتعاطف بين أبناء المجتمع الواحد تبقى آثاره الإيجابية طيلة أيام العام.

ويرى الباحث وان كانت الاضاحي بشكلها العام تتعلق بوقت محدد بالعيد الا ان لها اثارا وابعادا ايجابية تنعكس في ادراك الاغنياء لضرورة التقرب الى الله تعالى بجزء مما يملكونه بهدف اشباع جائع او كسوة فقير وكيف ذلك يجعل المجتمع مجتمع تراحم وتعاطف مما يوفر ارضية لنزول الرحمة الالهية.

اما الهدي فهو ما يهدى من النعم إلى الحرم تقرباً إلى الله عز وجل، وقد أجمع العلماء على أن الهدي لا يكون إلا من النعم وهي الإبل والبقر والغنم الذكر منها والأنثى، ويعد الهدي من الحقوق التطوعية والحقوق الواجبة أيضاً فهو مستحب إذ إنه بالخيار إن رغب أهدى وأثيب على هديه وإن أراد لم يهد ولا إثم عليه، وقد امر الله تعالى صاحب الهدي ان يأكل منه ويطعم منه البائس الفقير كما في قولع تعالى ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج:اية ٢٨) (الخازن:ج٣:٢٥٨).

٨- الصدقات:

تعد الصدقات من الابواب المهمة في معالجة مشكلة الفقر في المجتمع فضلا عن كونها من باب عظيم من ابواب الخير الصدقات التطوعية باب عظيم من أبواب الخير، فقد امر الله عز وجل بالمسارعة اليها والاستباق لفعلها ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (البقرة: اية ١٤٨) كما اشار الجليل العظيم الى وعده المتصدقين والمتصدقات بمضاعفة الاجر والثواب كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:اية١٨)

٩- الهبات:

الحصول على المال عن طريق الهبة طريق مشروع أحله الله سبحانه وتعالى للموهوب له وأباح له التصرف بالهبة كيفما رغب كما لو كان حاصلاً عليها بكده وسعيه واجتهاده، إذ نظر التشريع القرآني إلى الهبة على أنها وسيلة من وسائل الكسب الحلال، وهي وسيلة من وسائل علاج الفقر خاصة إذا كان الموهوب له المال فقيراً يعاني من البؤس والقلة والحرمان عندئذ تكون الهبة بالنسبة له بلسماً شافياً وعلاجاً سريعاً، وقد اشار الله للهبة بقوله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء: اية ٤)

١٠- اعالة ذوي الغنى لاقاربهم الفقراء:

حث الباري عز وجل ذوي القدرة المالية على الانفاق على اقاربهم المحتاجين ابتداء من الوالدين ثم ومن ثم الاقارب كما في قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (البقرة: اية ٢١٥)

وجدير بالذكر أن كفالة الغني لقريبه الفقير لا تعني مجرد صدقة من الصدقات بين الحين والآخر، لكن الكفالة هنا لها مفهوم أوسع وأشمل وهي أن يتعاهده بصدقاته وأمواله وأن يداوم على بره وإحسانه، وأن يقوم على تلبية حاجاته وذلك بتخصيص نصيب معلوم له يغنيه عن سؤال الناس، فالغني هو أولى الناس بالإحسان لقريبه الفقير

وأعطف الناس عليه وأكتمهم لسره

١١- كفالة الايتام:

اليتيم الفرد الذي فقد أباه قبل سن البلوغ، وهي السن التي يستغني فيها عن كفالته، وفي عرف الفقهاء من مات أبوه وهو صغير فمتى بلغ زال يتمه، إلا إذا بلغ سفيهاً فإنه يكون في حكم اليتيم ولا يزول عنه الحجر فالإنسان في مرحلة الطفولة محتاج إلى من يقوم على أمره من كسوة وغذاء ورعاية، ويعلمه ويهذب أخلاقه ويصلح أمره ويقوم على شؤونه فمن كان له أب فأبوه يقوم بهذه المهام والمسؤوليات كلها من غير تقصير، وليس هناك حاجة إلى وصي أو كافل، أما اليتيم فهو بحاجة إلى من يعوله ويرعاه، أما إذا قسا أبناء المجتمع عليه وحرموه العطف والرحمة ومنعوه المحبة والمودة وتركوه نهباً للفقر والحاجة فسيقسو على مجتمعه وتمتلئ نفسه بالحقد والكراهية، وقد يلجأ إلى المسألة والتسول في الطرقات ويصبح نقطة ضعف في المجتمع، ومنظراً يسوء الناظرين ووصمة عار في جبين الأغنياء من المسلمين (نصار: ص١٣-١٤)

الخاتمة

يمكننا بعد استعراض التاطير اعلاه ان نقدم بعض النتائج وكما ياتي:

١- بيان معنى الفقر في اللغة والاصطلاح، فضلا عن أقوال العلماء في الحدود التي تنطبق على المرء ليدعى فقيرا.

٢- تم استعراض الآيات المكية والمدنية التي تناولت مشكلة الفقر سواء أكان ذلك بإبرازها أم بعلاجها، وتبين ان اهل المدينة كانوا فقراء الا ان قدوم اهل مكة الذين تركوا كل شيء وراء ظهورهم جعلهم اكثر حاجة، وقد اظهرت الايات الكريمة مدى كرم اهل المدينة رغم كونهم فقراء اصلا في ايثار المهاجرين على انفسهم.

٣- قدمنا الالفاظ المرادفة لمعنى كلمة الفقر التي ابرزتها الايات القرانية مثل (الاملاق، والبائس، والقانع، والمعتر، والمسكين)

٤- تبين ان من الواجبات على المرء الاخذ بأسباب الرزق هو أمر تعبدي، لا يجوز لأحد أن يتغافل عنه، سواء أكان ذلك بالعمل، أم بالزواج الذي هو سبب من أسباب الرزق.

٥- يعد التكافل الاجتماعي احد المظاهر المهمة في تحقيق الامن الغذائي للمجتمع من جهة ومن جهة اخرى مطلوب شرعاً لتحقيق مبدأ التعاون على البر والتقوى، وتحقيق مبدأ الأخوة بين المؤمنين كما أراده الله .

٦- اوضح المنهج القراني الى وجود عدة علاجات تسهم في القضاء على الفقر او الحد من اثاره على الناس وقد جعُلت حقوقاً مفروضة في الأموال تسهم في علاج مشكلة الفقر، وهي الزكاة، والخمس، والكفارات بأنواعها، والفدية، والنذور، وزكاة الفطر، والأضاحي، والهدي .

٧- اشار القران الكريم الى وجود نوع اخر من المشاريع الخيرية التي تسهم في علاج مشكلة الفقر الا وهي الحقوق التطوعية واتي لها الدور الفاعل في علاج مشكلة الفقر وهي الصدقات، والهبات، وكفالة الأغنياء للأقارب الفقراء، وكفالة اليتامى.

٨- يشكل هذا البحث أحد الروافد التي تبين ان في القران الكريم منهجاً ناجحاً لادارة الحياة بافضل الصور والطرق وهو غير موجود في نظام وضعي او ديانة اخرى الا في الاسلام الذي يعد كل لا يتجزأ، وأن القرآن مشتمل على علاج المشكلات كلها مهما تعددت أسماؤها، وتنوعت أشكالها، واختلفت أزمانها وأماكنها.

المصادر

١- القران الكريم

٢- لسان العرب - لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور - طبعة جديدة محققه - دار المعارف.

٣- السيستاني: علي الحسيني(منهاج الصالحين)، ٢٠٠٤.

٤- تفسير القرآن العظيم - للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار إحياء الكتب العربية.

٥- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام محمد الرازي فخر الدين - دار الفكر بيروت ١٤١٤. - ١٩٩٤.

٦- الثروة في ظل الإسلام - للبهي الخولي - الطبعة الثانية ١٣٩١. - ١٩٧١ .

٧- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الحديث -١٤١٤ - ١٩٩٥ القاهرة - ط٢ .

٨- رعاية اليتامى والضعفاء في الإسلام رسالة دكتوراه - محمد شوقي محمد نصار ١٣٩٩. - ١٩٧٩.

٩- صحيح البخاري - لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري - دار الحديث -القاهرة.

١٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد١٣٨٣ هـ - الشوكاني - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - ط٢ . ١٩٦٤

١١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - تأليف الإمام أبي- القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري - دار الكتب العلمية بيروت - ط ١٤١٥. -١٩٩٥ -١

١٢- المجتمع المتكافل في الإسلام - الدكتور عبد العزيز الخياط - دار السلام للطباعة - ط ٣١٤٠٦ - ١٩٨٦.

١٣- الكافي: ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي رحمه الله.

من هو حسن شحاته؟؟

د. أحمد صبيح الكعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

سورة الأحزاب / ٢٣

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من معه جواز فيه (ولاية علي بن أبي طالب).

وعليه فقليلٌ هم من يتسنَّمون قمم الخلود بالتضحية والإيثار بالنفس ليحملوا جواز الولاية، ففي الوقت الذي نرى نفوس وأرواح الشهداء الموالين لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام يومياً في مختلف البلدان العربية تستنشقُ شذا الخلود وعبير الشهادة، تنظم إلى قوائم الشهداء السعداء شخصية عظيمة لها لمسات على المذهب الشيعي ألا وهي شخصية (شهيد الولاية)، ولنسمِّهِ معاً (أسد مصر) وهو الشيخ (حسن بن محمد بن شحاته) الذي أثارت خطبهُ ومحاضراته الرأي العام وقادته في أحيانٍ كثيرة إلى الاعتقال بتهم متعدِّدة منها (ازدراء الأديان)، وكان يواجه ذلك بصبرٍ وثبات، وكثيراً ما كان يقول (هذا أقل ما يمكن أن أقدمه لسيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام وأرجو من حضرته التفضل عليَّ بالقبول) .

ولد حسن شحاته عام ١٩٤٦م في بلدة (هربيط) بالمحافظة الشرقية لمصر. وحفظ القرآن الكريم

على يد الشيخ (عبد الله العويل) في سن الخامسة وستة أشهر ، وجوَّد رواية حفص على يد الشيخ محمد موسى شنب ثم التحق بالأزهر الشريف . اعتلى المنبر لأول مرة في صلاة الجمعة وهو في سن الخامسة عشر من عمره.

كان الشيخ شحاته يعتنق المذهب السنِّي، وأعلن ولايته لأمير المؤمنين عليه السلام في عام ١٩٩٦م في الصحف والتلفزيون فضلاً عن المنبر ، فأضحى أول كلامه حين يصعد المنبر (اللهم صل على محمد وآل محمد والعن أعداءهم) ثم يكمل حديثه معلناً الانتماء لآل البيت عليهم السلام والركوب في سفنهم، فجادَ عليه الله (عزَّ وجل) بموالاة أهل الولاية والإمامة التي كلفته كل ما يملك، واضطرَّ أخيراً إلى التضحية والإيثار بنفسه ، منتقلاً إلى مثواه الأخير ليلاقي ربه شهيداً محتسباً وهو يؤدي إحدى أهم مناسبات الشيعة اليوم ، ألا وهي إحياء ليلة النصف من شعبان في ذكرى مولد منقذ البشرية ومخلِّص الأمَّة من الضلال الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) في ٢٣ / ٦ / ٢٠١٣م مع ثلة من المؤمنين في دار أحد أنصار الإمام الحجة في قرية (أبو مسلم) ليلاقي ما يلاقي من تعذيب وموت بطيء كله ألم ووجع على أيدي أعداء الإسلام والمسلمين وأعداء الشيعة لعنهم الله جميعاً.

فالسلام عليك يوم ولدتَ ، والسلام عليك يوم لاقيتَ حتفك وأنت تنطق بالحق المبين، والسلام عليك (يا شيخ حسن) يوم تبعث مع من تحب من محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وشأنك شأن العقلاء وذوي الفطن ، ومن تجرَّأوا عليك هم حمقى مجانين ضالين مضلين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ينعى دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

الفقيد الراحل الشهيد الأستاذ

حيدر عطيه زويني

مدير معهد الإمام الحسين عليه السلام للتوحد

إثر حادث إرهابي جبان في السادس من شهر رمضان المبارك ١٤٣٤هـ سائلين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

فإنا لله وإنا إليه راجعون

لقاء مع
القارئ الشيخ
سيد متولي عبد العال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الفرقان على محمدﷺ ليكون للعالمين نذيراً و معجزاً للإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، نحمده على تفضله علينا بكتابه فضلاً كبيراً، ومن يؤتى الحكمة فقد اتي خيراً كثيراً.

ونصلي ونسلم على المبعوث بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى اله الطيبين الطاهرين، صلاة دائمة تتصل ولا تنقطع بكرة وهجيراً.

ضيف قرآني كريم تشرف في زيارة الامام الحسينعليه السلام فأجرينا لقاء معه، ولد بقرية (الفدادنة مركز فاقوس) بمحافظة الشرقية يوم ١٩٤٧/٤/٢٦م، اتم حفظ القرآن كاملاً وهو في سن الثانية عشرة، تعلم علوم القرآن الكريم وقراءات على يد الشيخ طه الوكيل، سافر الى كثير من الدول عربية والاسلامية والافريقية لتلاوة القرآن الكريم بأشهر المساجد هناك هذا الضيف هو الشيخ (سيد متولي عبد العال).

❖ صدى القرآن: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

❖ صدى القرآن: في البداية نود من حضرتكم ان تقدموا للقارئ الكريم نبذة عن حياتكم الشخصية.

اسمي سيد متولي عبد العال، وقارئ القرآن - عندنا - يطلق عليه (الشيخ) فيسمونني: (الشيخ سيد متولي عبد العال)، من قرية الفدادنة مركز فاقوس في المحافظة الشرقية بجمهورية مصر

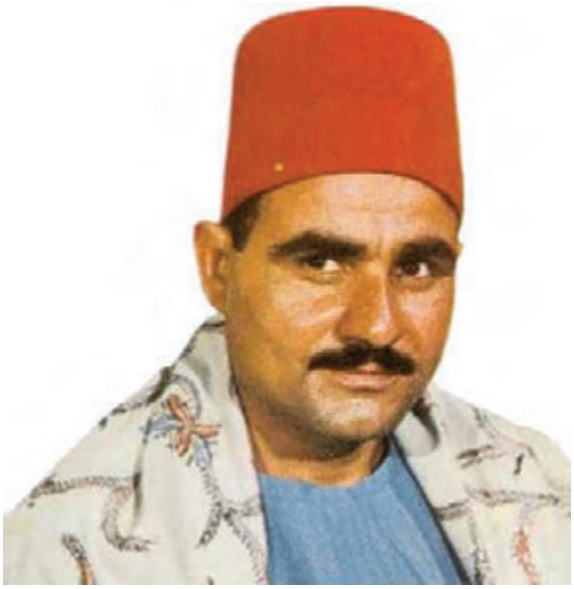

العربية، متزوج ورزقني الله بولدين وست بنات، كلهم- الحمد لله - حفظوا القرآن الكريم، البنات تعلمن في الجامعات وولدي الدكتور محمد حفظ القرآن الكريم وهو الان دكتور بيطري، وولدي الدكتور صلاح - وهو الاصغر - حفظ القرآن الكريم وقد حصل على الدكتوراه بتقدير جيد جداً من كلية طب الازهر، وهذا كله من بركة القرآن الكريم فنحمد الله حمداً كثيراً.

❖ صدى القرآن: كيف كانت بدايتكم مع القرآن الكريم؟ وهل كانت للبيئة والاهل دور في ابداعكم بمجالات القرآن الكريم؟

طبعاً، لابد من الاهل ان يراعوا اولادهم، رسولنا الكريمﷺ يقول: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». ووالدي ووالدتي (عليهم رحمة الله تعالى) نذروني للقرآن خصوصاً والدتي (رحمة الله عليها)، قالت لي في يوم من الايام: (يا ولدي وانا حامل بأول حمل نذرت ما في بطني للقرآن اذا كان ذكراً، وقلت يا رب ان اعطيتني ولدا انذره للقرآن الكريم، ولكن

الله سبحانه وتعالى رزقها بأربع بنات، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾، وبعد سنوات كثيرة ولدت - والحمد لله - وهبني الله نعمتي حفظت القرآن الكريم والصوت الحسن، فأخذني اهلي الى كتاب القرية، الى الشيخة مريم رزيق (عليها رحمة الله) وكان عمري وقتئذ خمس سنوات بدأت بحفظ سورة الفاتحة، ام الكتاب، وبعد ذلك المعوذتين، ثم الاخلاص، وبعدها بدأت الحفظ من نهاية جزء الثلاثين، واعتقد ان هذه الطريقة هي الصحيحة، لان عقل الطفل لا يستوعب الا قصار السور ولله الحمد حفظت القرآن على يد الشيخة مريم (رحمها الله)، وتعلمت احكام التلاوة على يد الشيخ احمد عبد المعطي، وعلوم القراءات على يد شيخي طه الوكيل (رحمه الله).

❖ صدى القرآن: شيخنا الكريم ما هي ابرز مشاركاتكم الدولية؟

الحمد لله، سافرت الى دول كثيرة جداً، في انحاء العالم الاسلامي، منها باكستان وايران ولبنان وسوريا واستراليا وجنوب افريقيا وبريطانيا وغيرها كثير، ورأيت في هذه الدول ان الاسلام على خير، وكل دولة اذهب اليها ارى وكأنما عندهم عيدٌ، يجتمعون حولي ويكون الحضور كثيراً جداً فيسمعون القرآن بشغف، وبفضل الله تعالى اجد عندهم اشرطة كاسيت مسجّلة بصوتي موجودة في كل مكان واراهم يترقبون الي في ذلك الازدحام يريدون ان يصافحوني ويتعرفون علي وكل هذا بفضل الله وبفضل القرآن.

❖ صدى القرآن: وانتم تسيرون في خطوات متقدمة وسريعة نحو العلا القرآني، بمن تأثرتم من القراء الكبار؟

كنت استمع كثيراً للشيخ عبد الباسط والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمد رفعت والشيخ ابو العينين شعيشع والشيخ محمد علي البنا والشيخ كامل يوسف البهتيمي واغلب القراء القدامى، كنت اعشقهم واحب ان استمع اليهم ولكن لا اقلد احداً منهم، كنت اقرأ بصوتي الذي وهبه الله لي.

❖ صدى القرآن: ما هي الشهادات التي نالها الشيخ متولي خلال مسيرته القرآنية؟

اولى الشهادات التي نلتها هي شهادة القرآن الكريم، حفظه وتلاوته، والتي لا تعادلها شهادة، ولا اريد ان اذكر غيرها، وافضل شيء فرحت به خلال مسيرتي القرآنية حينما تعلمت القرآن الكريم في كتاب القرية او الحضر.

❖ صدى القرآن: كيف كان ظنكم بأوضاع العراق؟ وماذا وجدتم حينما جئتم اليه؟

الحمد لله سمعت قبل ان ارى، الاستقرار يعم العراق، وحينما جئت في العام الماضي للعتبة الكاظمية، وجدت حب القرآن والحضور المتميز، وفي هذا العام كان لي الشرف العظيم ان ازور سيد الشهداء مولانا الامام الحسين عليه السلام وعلى جده وال بيته عليهم السلام وهي امنية قديمة ان ازوره عليه السلام، فالحمد لله وجدت الحب لكتاب الله وال بيت رسول الله وارى الناس يسمعون القرآن بشغف وعشق، ووجدت ايضاً طاقات قرآنية كبيرة هنا في كربلاء امثال القارئ اسامة الكربلائي، والقارئ عادل الكربلائي، والقارئ مصطفى الغالبي، وغيرهم. ولما سمعتهم بهرت كثيراً وسررت بأداءاتهم، فقلت في نفسي: الحمد لله الاسلام على خير.

❖ صدى القرآن: عندما زرتم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة كيف وجدتم النشاطات القرآنية فيها؟

نشاطات كثيرة ومشرفة وترمز الى حب الاسلام والاهتمام بكتاب الله سبحانه وتعالى اسأل الله ان يجعل القرآن قائدنا وامامنا في الجنة امين رب العالمين.

❖ صدى القرآن: شارك الشيخ سيد متولي عبد العال في الختمة القرآنية وامسيات قرآنية عديدة في الصحن الحسيني الشريف ما هو شعوركم وانتم تقرأون القرآن في هذا المكان المقدس؟

اشعر وكأنني اقرأ القرآن في روضة من رياض الجنة، فالحمد لله على هذه النعمة التي رزقني الله اياها.

❖ صدى القرآن: هل يرغب الشيخ سيد متولي بزيارات اخر الى العراق؟

بكل (ممنونية)... من دعي فليجب ومن لم يدع فليحتجب، نحن رهن الاشارة اذا ما وجهت الينا الدعوة، وعلى الرحب والسعة.

❖ صدى القرآن: كلمة اخيرة من الشيخ سيد متولي عبد العال للقرآنيين المبتدئين؟

انصحهم بحفظ القرآن اولاً، وثانياً الاهتمام بأحكام التجويد وهي رواية حفص عن عاصم، فلا بد للقارئ ان يكون على علم بأحكام التلاوة وكيف يقرأ القرآن الكريم، اما بقية العلوم فأنها تأتي منقادة لا محال بعد حفظ ذلك الكتاب العظيم

❖ صدى القرآن: الشيخ سيد متولي عبد العال شكرا جزيلاً لكم.

بارك الله فيكم ونفع بكم الاسلام والمسلمين.

مبرة
أهل البيت عليهم السلام
الخيرية
دار القرآن الكريم

تأسست مبرة اهل البيت عليهم السلام في عام ٢٠٠٦م، في دولة الكويت وهي متمثلة في دار القرآن، منذ انطلاقتها سمّت (المبرة) وأقامت الدورات لإعداد المدرسين وتأهيل الطلبة في مختلف المجالات القرآنية..

وفي بداية سنة٢٠١٠م قامت دار القرآن بأعداد دورة في علم المقامات والصوتيات للقارئ الكويتي الميرزا عبد الله ابل بطرق عصرية متطورة وقد تخرج على اثرها مجموعة من الطلاب وتم تكريمهم والاحتفاء بهم.

فضلاً عن الدورات الصيفية والشتوية التي تؤهل الطلبة لحفظ القرآن مجودا على ايدي اساتذة اكفاء.

وايضاً تقوم دار القرآن الكريم بالكثير من الانشطة المميزة والتي تستقطب الجماهير القرآنية؛ منها تنظيم الامسيات القرآنية المشتركة مع مركز الولاية ليكون مشاركا لها في امسيتها القرآنية ايمانا منها بأحياء الاعمال المشتركة لما فيها من اثر طيب وتوطيد لأواصر العلاقات بين مختلف المراكز الدينية.

ومن جانب اخر فأن دار القرآن الكريم عضو فعال في لجنة المبرات واللجان المشتركة المنظمة للاحتفالات القرآنية والمسابقات المحلية، اذ انها من المؤسسين لهذه اللجنة وتقوم بدور ايجابي يشهد له الواقع القرآني في هذا البلد فهي الحاضنة المقر لكل المبرات واللجان المشتركة والذي اضحى معروفا لما يقوم به من انشطة منوعة في شتى المجالات القرآنية من قبيل تعليم التجويد، والصوتيات، وعلم الاصوات (المقامات)، والاطوار القرآنية، ودروس في تدبر آيات القرآن الكريم، ودروس لحفظ القرآن الكريم وغير ذلك.

فضلاً عن ذلك قامت الادارة النسائية بالاستعانة بالمختصين في الشؤون القرآن الكريم من الجمهورية الاسلامية الايرانية بحسب توجيهات بعض الشخصيات القرآنية حول الاهتمام بحفظ القرآن وتجويده والتدبر فيه.

وقامت الادارة النسائية بإعداد برامج عديدة لغرض تدريسها وتعليمها لجميع الفئات من رياض الاطفال الى الكبار، وعبرة دورات موسمية عديدة تركز على منهج القراءة الصحيحة للقرآن وحفظ آياته والاحكام التجويد وغيرها من العلوم.

وايضا قامت إدارة دار القرآن الكريم بتنظيم عدد من الانشطة الترفيهية للطلبة والطالبات الى الاماكن الهادفة لتنمية القدرات والخبرات والمهارات الفردية والجماعية لدى الطلبة والطالبات وشارك طلاب وكوادر الدار في المخيم الربيعي السنوي والذي يجتمع فيه مختلف المراكز الثقافية والقرآنية.

وكذلك قامت مبرة اهل البيت عليهم السلام بإنشاء (مركز دائم للمتميزين) وهي مما تعقد عليه آمال كبيرة، كما انها تعد النواة التي تعتمد عليها مبرة اهل البيت عليهم السلام الخيرية - دار القرآن الكريم، للمشاركة في المسابقات المحلية والاقليمية والعالمية، ومن خلاله يتم رصد الطلبة المتميزين والجادين في حفظ وتلاوة القرآن الكريم في الدورات الصيفية والشتوية والرمضانية والتي تقام طوال العام وفي كل سنة.

وايضا شاركت مبرة اهل البيت عليهم السلام الخيرية في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده (مسابقة الامير)، وتنافس المشاركون حتى حصلوا في مشاركتهم الاولى على اربعة مراكز من جملة ٢٠ مشارك ومشاركة.

وفي سنة ٢٠٠٩م شارك دار القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم الثانية في المملكة العربية السعودية وتأهل المشارك وحاز على المركز الرابع.

حفظ آيات

نصيحة

الأسلوب لتقصير المدة الزمنية وسهولة الحفظ أولاً: الفهم الكامل لمضمون الآيات، ثم تقسيم الآيات لفظاً وموضوعاً.

وصفة قرآنية

لعلاج مرضى الحمى تقرأ هذه الآيات على المريض، أو تكتب ويحملها معه المحموم، أو تقرأ على ماء ويشرب منه. وهي ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ و ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ و﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

دروس

الفرق بين مخرج الحرف، وحق الحرف إن مخرج الحرف مكان تكوين صوت الحرف من أعضاء جهاز التكلم، وأما حق الحرف هو صفاته الذاتية التي تلازمه ويتميز بها عن غيرها من الحروف كالجهر، والشدة والاستعلاء، والأستفال والأطباق، والقلقلة والتكرير وغيرها من الصفات الذاتية من الحروف.

ومضات قرآنية

ما قالوه في القرآن

يقول د.ميلر البشر الكندي وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو: لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجراة ويؤلف كتاباً ثم يقول هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك لا يوجد أخطاء بل يتحداك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

هل تعلم

أن السور التي يطلق عليها الطواسين هي ثلاثة سور: (سورة الشعراء، وسورة النمل، وسورة القصص. وأطلق هذا الاسم عليها، لأن السورتين الشعراء والقصص تبتدآن بالحروف (طسم) والنمل، تبدأ بالحرفين (طس) فلوجود هذين الحرفين (الطاء، والسين) سميت بهذا الإسم.

تدبرات قرآنية

قد يقال: لماذا خص الله عز وجل هذه الأعضاء من الذكر (القلب، والسمع، والبصر) وقوله: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) دون غيرها من الأعضاء ؟

الجواب: لأنها أي هذه الثلاثة من الأعضاء محل العلم وطريقه، فالقلب من محل العلم وإمام الجوارح، وطريقه إما السماع من قبيل سمعهم الوعظ والإرشاد وغيرهما، أو الرؤية في آيات الله وحكمته وكثرة نعمه التي لا تحصى.

قصّة وعبرة

جلس رجل أعمى على أحدى عتبات بناء واضعاً قبعته بين قدميه وبجانبه لوحة مكتوب عليها (أرجوكم أنا أعمى أرجوكم ساعدوني)

فمر رجل إعلانات بالاعمى وقف ليرى أن قبعته لا تحوي سوى قروش قليلة فوضع المزيد فيها. ودون أن يستأذن الأعمى أخذ لوحته وكتب عليها عبارة أخرى وأعادها مكانها ومضى في طريقه.

لاحظ الأعمى أن قبعته قد امتلأت بالقروش والأوراق النقدية فعرف أن شيئاً قد تغير وأدرك أن ما سمعه من صوت الكتابة هو سر ذلك التغيير فسأل أحد المارة عما هو مكتوب عليها فكانت كالآتي (نحن في فصل الربيع لكنني لا أستطيع رؤية جماله).

(ومن كان في هذه أعمى فهو في الأخرة أعمى وأضل سبيلا)

مفردات قرآنية

قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

الأصم: أصله السد. والصمم سد الأذن بما لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسد جوف بامتلائها وحجر أصم صلب وهو الذي ولد كذلك لا يسمع أطرش.

البكم: وأصله الاعتقال في اللسان، وهو آفة تمنع من الكلام والبكم: جمع أبكم وهو الذي يولد أخرس، فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم.

العمى: ويقال ما أعماه، من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين. وفي الآية كما عن قتادة (صم) لا يسمعون و(بكم) لا ينطقون به و(عمى) لا يبصرونه.

مفردات قرآنية

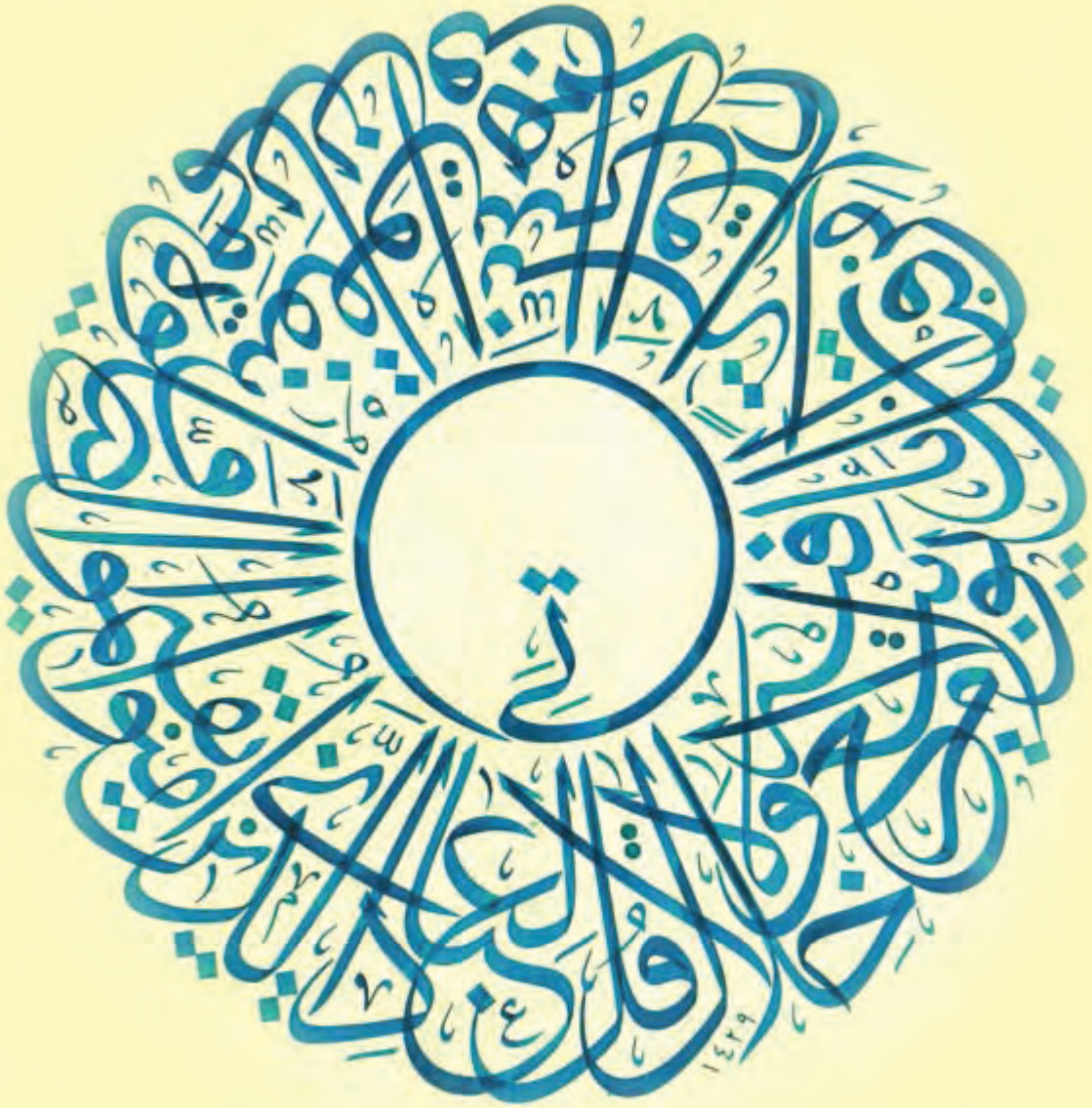

KALEM
GÜZELİ

معهد
الإمام الحسين عليه السلام
لرعاية التوحد

التوحد Autism

تعرف التوحد على أنه اضطراب في النمو العصبي يؤثر على التطور في ثلاثة مجالات اساسية: التواصل، والمهارات الاجتماعية، والتخيل. كما و يعرف بأنه عجز يعيق تطوير المهارات الاجتماعية والتواصل اللفظي وغير اللفظي واللعب التخيلي والإبداعي ويظهر في السنوات الثلاثة من عمر الطفل وهذا الاضطراب يؤثر على الطريقة التي يتم من خلالها جمع المعلومات ومعالجتها مما يؤدي إلى مشاكل عاطفية وعدم خلق علاقات مع الآخرين.

نسبة الانتشار :

في السنوات الاخيرة ازدادت نسبة انتشار اضطراب التوحد بصورة كبيرة ومخيفة بين الاطفال وبحسب الجمعية الامريكية للطب النفسي سنة ٢٠١٢ فقد كانت نسبة انتشار هذا الاضطراب طفل توحدي واحد من بين ٨٨ ولادة والآن في سنة ٢٠١٣ طفل توحدي واحد من بين ٥٥ ولادة وأسباب هذا الاضطراب غير معروفة لحدٍّ الآن .

بداية تأسيس المركز:

بعد الانتشار المخيف لاضطراب التوحد وكثرة المصابين به دعت الحاجة لافتتاح مركز في كربلاء المقدسة حيث افتتح دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة هذا المشروع الانساني عام (٢٠١١) إذ قامت بتوفير بناية في حي الحسين عليه السلام لتكون مقراً للمركز ولتؤوي هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة أطلق عليه مركز الامام الحسين عليه السلام لرعاية اطفال التوحد ليكون اول

مركز في كربلاء المقدسة وقام بإدارته ماجستير سايكولوجية طفل غير اعتيادي واخصائي في السلوك التطبيقي وبعدها بادرت العتبة الحسينية المقدسة بتوفير المستلزمات الضرورية من الاثاث والاجهزة الكهربائية ومولدات كبيرة لتوفير الطاقة، وتوفير وسائل تعليمية حديثة تستخدم لتدريب هذه الفئة وبعدها تم تعيين كادر معلمات على شكل دفعات تم اختبارهن باشراف مدير المركز على ان تكون كل منهن حاصلة على شهادة بكلوريوس او دبلوم واخصائيات في التوحد.

- تدريب كادر مركز التوحد خارج القطر وقام المركز باستقبال العديد من الاطفال المصابين بهذا الاضطراب
- قيام مركزنا بتشخيص من قبل الطبيب النفسي دكتور مناضل موسى وايضاً اخصائي سايكومتري واخصائيات توحد (تنمية مهارات وعلاج وظيفي ونطق) بمقياس (PEP) الامريكي حيث يعد مركزنا الاول بالعراق الذي يستخدم هكذا مقياس متطور وفي ضوء هكذا عناية متخصصة.
- وبسبب تزايد اعداد الاطفال المصابين في معهدنا من مختلف محافظات القطر دعت الحاجة لتوسعة هذه البناية وقامت العتبة باستئجار البناية المجاورة لها وايضاً قامت بتجهيزها على اعلى مستوى وعينت الدفعة الثانية من المعلمات حتى اصبحن ٢٨ معلمة توحد واكثر من١٠٠ طفل توحدي.

كادر المركز و البرامج المستخدمة داخل المركز:

سنتطرق هنا للكادر العامل في هذا المركز وكادر مركزنا يتميز بالنشاط في أثناء أداء عمله وببذل الجهود الجبارة لكي يجعلوا هؤلاء الاطفال يتعايشون مع بيئتهم وهو كادر مؤهل لتدريب هذه الفئة، حيث تدربن بدايةً في مراكز داخل العراق وبعدها تدربن في لبنان وحصلن على شهادة في التحليل السلوك التطبيقي ABA والسلوك اللفظي VB بإشراف الأخصائية (ميراي العلم) والدكتورة (شفيقة غريبة) في بيروت.

- وأيضاً تدربن في إيران وكانت تلك الدورات مفيدة وغنية جداً لكادرنا إذ من خلالها تعرفن على كيفية التعامل مع هذا الاضطراب من حيث السلوكيات غير المرغوبة وكيف يتم تعديلها، وكذلك السلوكيات غير الموجودة وكيف يتم تأسيسها، والسلوكيات الجيدة وكيف يمكن زيادة معدلات حدوثها، وايضاً كيفية اكساب الطفل السلوك اللغوي وكيف يمكن زيادة تفاعله الاجتماعي وكيف يتم معالجة القصور الذي يعاني منه أطفال التوحد بأحدث الأساليب العلاجية.
- ومن تلك الأساليب اولها هي الاساليب العلاجية الطبية حيث يتوفر في هذا المركز طبيب نفسي يقوم بتخصيص ادوية وفيتامينات وكيفية ارشادهم على اتباع حمية غذائية للاطفال الذين يعانون من حساسية الكازين (الجبنين) والجلوتيين (الغرويين). وثاني تلك العلاجات تسمى العلاجات النفسية الاجتماعية و تتضمن العلاج بالفن والعلاج بالقصص الاجتماعية والعلاج بالاحتضان والعلاج باللعب، اما ثالث تلك العلاجات يطلق عليها العلاجات التربوية السلوكية و منها برنامج التحليل السلوك التطبيقي ABA و برنامج تيتش وبرنامج بيكس الصوري وبرنامج فاست ورد وبرنامج ميللر وبرنامج صن رايز اما رابع تلك العلاجات التي تسمى العلاجات بالحياة اليومية هي طريقة هيقاشي.

إنجازات المركز :

- بعد النجاحات المستمرة والمتكررة التي حققها مركزنا في مجال تأهيل اطفال التوحد وادماجهم في المجتمع والوصول بهم الى مراحل متطورة وملحوظة اصبحت أنظار الناس في العراق وخارجه متوجهة نحو المركز وتسعى تلك المراكز بشكل حثيث للاستفادة من خبرة مركزنا في التعامل مع هؤلاء من ذوي الاحتياجات الخاصة .
- حيث سعت العديد من الدول في الوطن العربي ومنها الجزائر وتونس والمغرب وغيرها وأيضا محافظات من داخل العراق ومنها البصرة والسليمانية لتدريب كوادرهم من قبل مركزنا.
- أن من أهم الانجازات التي قام بها مركزنا هو تدريب كادر معهد في شمال العراق في السليمانية وحققت تلك الدورة نجاحات كبيرة اخبارها تناقلت في الوطن العربي عبر مواقع الانترنيت إذ قام كادرنا بإلقاء دروس شملت الجانب العملي والنظري في التعامل مع التوحد وقد منح مركزنا شهادات في VB، ABA لكادر ذلك المركز.
- ساعد مركزنا في فتح مركز للتوحد في بغداد وهو مركز الضحى للتوحد وتزويدهم بأهم البرامج الحديثة
- قام مدير المعهد بتأليف عدد من الكتب والوسائل التعليمية وبوسترات ودليل الى التوحد.

الاستشفاء بالقرآن الكريم :

إذ نقوم بتدريب الطفل التوحدي الذي لديه امكانية النطق بقول (يا ربي) يومياً واذا كان لا ينطق ندربه على استماعها وذلك كل صباح قبل اعطائهم التدريبات والبرامج وذلك تمثيلاً للآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ حيث اثبتت

الدراسات والبحوث القرآنية بأن هذه الآية تساعد الاشخاص الذين لا ينطقون على النطق وتخفف من اضطرابات الكلام، ولهذا استحدث قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة هذا المعهد للغرض المذكور آنفاً.

مشاركات المركز :

- انضم مدير المعهد الى الشبكة العربية للتوحد عام ٢٠١١م وهذه الشبكة تعنى بتغذية منتسبيها داخل الوطن العربي بأهم ما توصل اليه العلم الحديث.
- شارك بمؤتمر الشبكة العربية للتوحد في بيروت ٢٦/ ١٢/ ٢٠١١ إذ تم مناقشة موضوع العلم الحديث للتوحد اي كل ما يخص التوحد من تطورات في مختلف المجالات الطبية والنفسية والاجتماعية والتربوية وآخر الاحصائيات وآخر الدراسات والبحوث المقدمة بهذا الصدد ووضع المراكز بصورة عامة في الوطن العربي وكيف يتم تطويرها لكي تضاهي المراكز الغربية، وكيفية تطوير وتنمية بعض الحالات من اطفال التوحد الذين يمتازون بقدرات عالية وخارقة بالذكاء كما تفعل الشركات الالمانية الان .
- شارك مدير المركز بمؤتمر للشبكة العربية للتوحد الذي اقيم في عمان ٢٦/ ٥/ ٢٠١٢ وقدم مدير مركز الامام الحسين عليه السلام للتوحد اهم العقبات التي تواجه تدريب الكوادر العراقية من اخصائيين في الطب النفسي والسايكولوجي.
- قام مدير مركز الامام الحسين عليه السلام بالمشاركة في مؤتمرات اقيمت في السعودية بجدة ٢٦/ ١/ ٢٠١٣ إذ قام بالتدريب على معرفة كيفية استخدام مقياس (PEP) الامريكي وكيفية استخراج العمر النمائي للطفل التوحدي لكي يتم

استخدامها في مركزنا .

- انضم معهدنا الى الاتحاد الالماني للتوحد عام ٢٠١١ والذي وجه لنا دعوة لزيارة برلين تعذر تحقيقها بسبب ظروف طارئة.

التوحد في العراق :

- ان نسبة انتشار التوحد في العراق غير معروفة بسبب عدم وجود دراسة مسحية مقننة معدة لهذا المجال .
- ان وضعية المراكز داخل العراق تبشر بالخير من حيث الإمكانيات والجهود المقدمة في خدمة الاطفال المصابين بالتوحد.

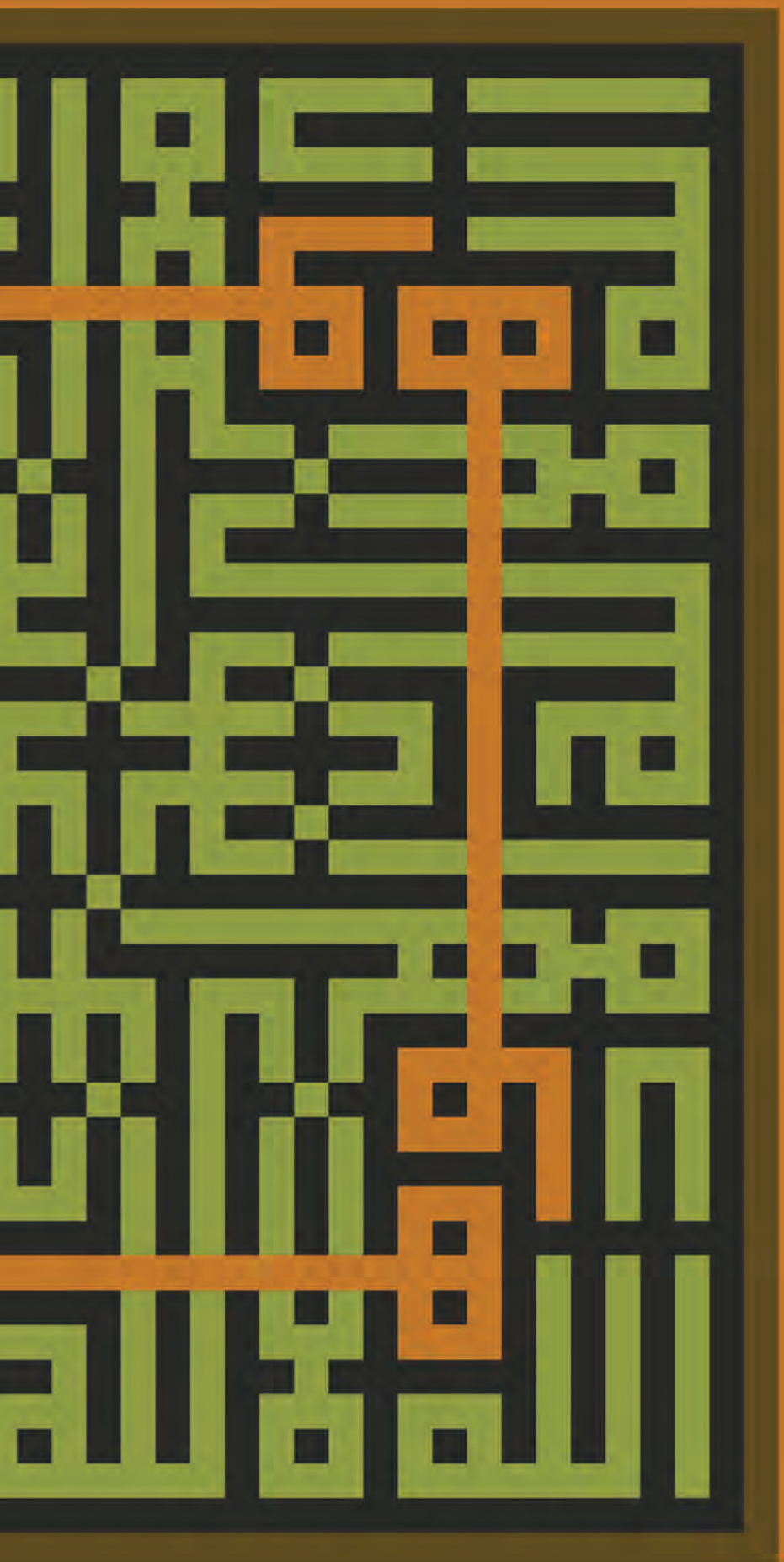

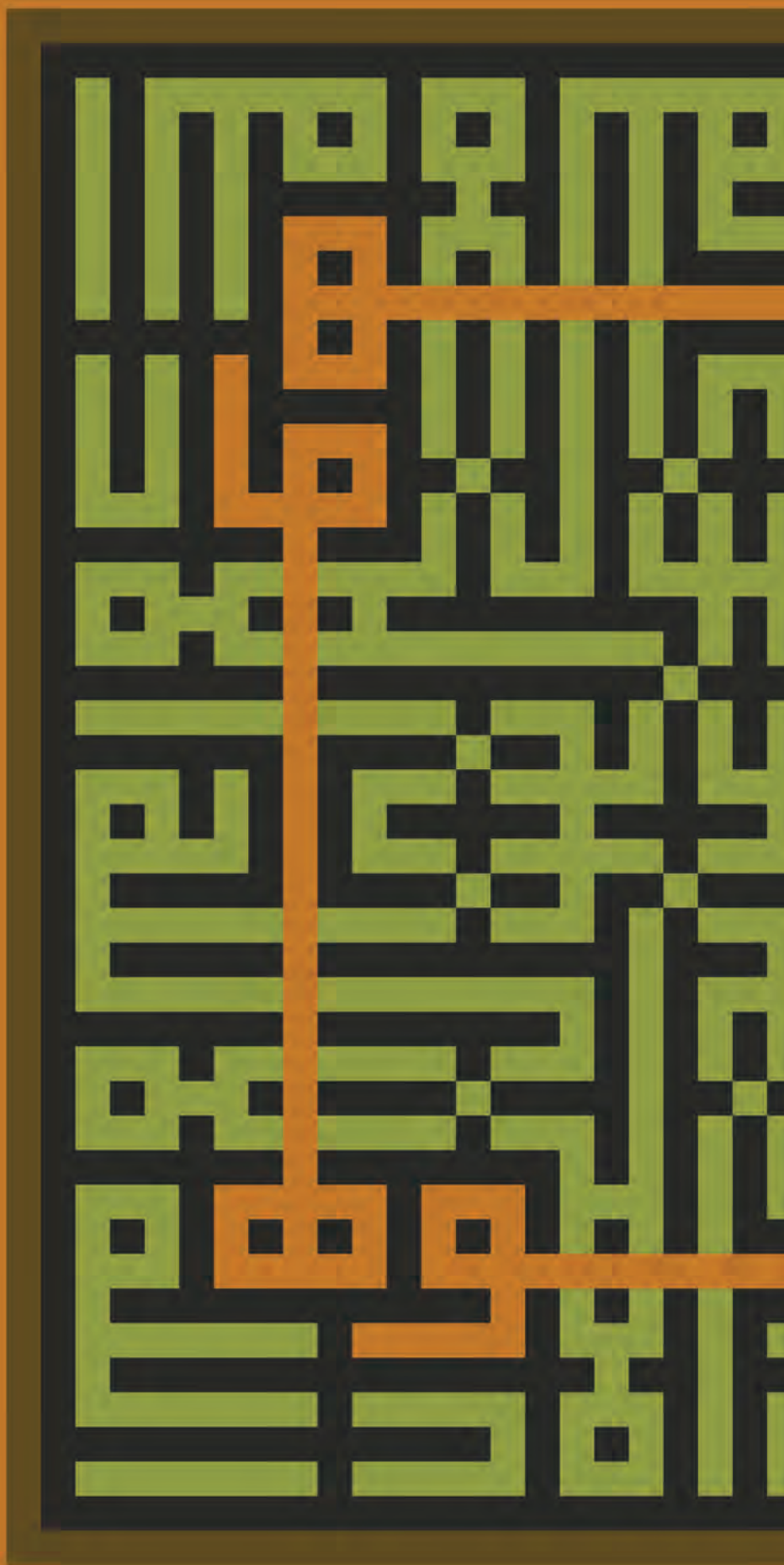

way that includes a group of material and deepened spiritual dimensions.

This analytic position is represented in what he present when using the abbreviated letters in the Qur'anic discourse, and the significant visions used in the Holy Qur'an. Then he concludes certain positions on which he depends to show his analytic explanatory ideas. Meanwhile he does not limit them to literod significances other them the rooted symbolic educational indication.

The article tries to show those analytic symbolic positions derived from sheikh waili's ideas which concern using the single letter (qaf) at the beginning of chapter (Qaf). It

الحروف المقطَّعة القرآنية بين القيم التربوية والتوظيف المعجز

The abbreviated Letters in the Holy Qur'an, Educational Values and Miraculous Usage: A Reading in Sheikh Dr. Ahmed Al- Waili's Ideology

The ideological view of Sheikh Ahmed Al- Waili's (May Allah rest his soul) is distinguished as it adopts the spiritual and significant analysis when dealing with ideological issues because he depends on comprehensive and complete aspects and tools.

A port of that analysis is what concerns using the Qur'an. He however, adopts and using Qur'anic phenomena in a

Tell anyone who argues with you concerning it, once know ledge has come to you "come let us call our children and your children, our women and your women, our selves and your selves together; then tet us plead, and place God's curse upon lairs." (3:61).

The writer ,moreover, mentions the Islamic resources in general without choosing historians or writer who follow the sect of Ahlul-Bayt. That is the point in the article.

الحوار والجدل بين القرآن الكريم والقضية الحسينية

Dialogue and Dispute in the Holy Qur'an

It might not be the intention of the writer to say facts other them spreading them within is worthy saying that the sura (chapter) gets it title from its first letter (qaf).

أهل البيت في آية المباهلة

Ahlul-Bayt in the verse of Mubaheleh (Pleading/cursing)

Mubaheleh in Arabic means cursing or pleading Allah to curse lairs to prove truth and crush falsehood and obliging those who avoid the truth to follow it. Here the writer focusses on the position of Ahlul-Bayt to Allah as he talks about them in the verse of Mubaheleh saying:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

main topic of this subject is that Imam Hussein is a man of dialogue not at Taff battle only bus also before it.

تزكية النفس في القرآن الكريم

Purifying soul in the Holy Qur'an

By: Hussein Najeeb Muhammad

The question of purifying soul in considered one of the most important ethical matters and psychological analysis to which religious and academic institutions pay attention recently, specially after the problems raised by the Austrian psychologist Sigmund Freud. Here the writer deals with the theme human psyche depending on the Qur'anic the information he has got.

Fact will stay relative the writer adds whatever clear it will be as people, humanity and Absolut fact declare. If the writer does not lead to a fact, he will lead to remarkable ambiguity and questions, therefore, the receiver will be free to react to it and answer the questions according to his information. Moreover the receiver will keep looking for facts, at least with himself or with Allah.

The subject is that Imam Hussein (P.b.u.h) is a principle of Dialogue in world of crises.

Academically, the title should be observed will lest it should iump to the aim or end without premises. The

with the peer show treatedas human beings through conversing with them and coming neaver to them at different levels. Doing so shows the humanity of the veligim and the Qur'anic discourse.

المدخل اللغوي للتشريع في القرآن الكريم

Linguistic approach to jurisprudence in the Holy Qur'an (verse of wilayeh)

By: Dr. Muhammad Kadhum Al-Bakkaa

The writer deduces the divine order of Almighty Allah concerning nominating the weli or leader. The Qur'anic text presents it as an order that should be followed since

text. He ,moreover, concludes some rational visions from the verses that deal with human soul.

انسانية الخطاب القرآني مع الاخر المختلف

The Humane Qur'anic Discourse with the (other) peer

Non believing in the beliefsand morals the Qur'anic discourse has brought results in sorting a type of receivers who reject the content of such discourse, through their contrary behaviors with the Qur'anic facts in doctrine understanding and viewpoint towards life, they represent their different hostile attitude to the Qur'an.

The Qur'anic texts dealing

scientific development and developed tools in discovering some secrets of the Qur'an to prove that.

التنمية في القرآن الكريم عرض وتحليل

Development" in" the Holy Qur'an (presentation and (analysis

By: prof. Dr. Riyad Muhammed Ali Al-mas'udi

Development is a dynamic process consisting of series of functional and structural changesincommunity.Itresults from intended interference to make direct positive reaction between human energies and environmental factors so as to increase social ability to survive

it is a divine judgement. After that the writer proves that by number of Qur'anic verses which interpret each other. Verse of wilayeh is the main proof presented as the reader Will see.

الأرض في القرآن الكريم كرة فلكية

The Earth is an Astronomic Ball as seen by the Holy Qur'an

By: Abdul-Ameer Al-mumin

The article is considered as one of the articles which assure that the Holy Qur'an is the first to refer tho the geometric shape of the earth. It mentions the shape before being proved by astronomic researches that depend on

collectively.

- Those resources, specially water, soil, seas and oceans should be protected from pollution.

Since man is the axis of the developmental operation in planning, discoveries and management, he should make use of the natural resources well turning them to other useful materials.

الأنبياء في القرآن الكريم

Prophets in the Holy Qur'an

By: Dr.Usama Rasheed As-Saffar

It is agreed among people that they pronounce names of angels, prophets and the pious with one word. That is because

and develop.

The concept, also, includes the ideal investment of available and non-available resources, increasing of national output and just distribution of wealth.

In many verses the Holy Qur'an insists on necessities like:

- Natural resources which Almighty Allah has created are for man and next generations
- Man should use those resources rationally but not unjustly.
- Natural resources like water, soil, plants, oil, gas, coal and the like should not be monopolized and they should be invested

the name comes preceeded by (الـ) (The) like (الرحمن) (The Compassionate) (الرحيم) (The merciful). Meanwhile (Abraham) kept the same in all languages because however holy he is, he will keep considered as a created figure compared with the Creator. This will be widely discussed in the article.

البيئة في المنظور القرآني

Environment as seen by the Holy Qur'an

The Relationship between man and Environment in the Light of succession Theory

By: Dr. Seleem Al-Jewher

The Environment that surrounds man will stay the source of his energy and the frame in which he does

of many factors mentioned in the discussion. The name of prophet (Abraham) or (Ibrahim) (p.b.u.h) has the same pronunciation all over the world, but that can not be applied on the name of Almighty Allah. The reason, as I see it, is that people do not dispute aout Abraham's lineage, holiness and boasting in the same way as they dispute about the name of Almighty Allah.

It should be said that Allah's name is mentioned differently in many languages like (God) and (Khudh) or (Khuda) in the Indo-European languages while It comes as (--eel) or (--ial) in the Semetic languages.In Other languages

is economically called (rare in sources) results from the unjust exhausting of natural sources.

Around 45 kinds of birds disappeared in the 19th and 20th. Centuries in addition to disappearance of 40 kinds of mammals.

It is to be reminded that sayid Sadr does not agree with the theory of resources shortage but agrees with the unjust usage. He says "The reason behind shortage of resources is unjustice (i.e) the unjust distribution of natural resources and wealth, while the second reason is man's ingratitude (i.e) the use of earth incorrectly and uselessly".

his best, and it is he who exhausts it. There fore; cries for the necessity to protect it are increasing asking man to lesson harming it. Otherwise there will be a danger of losing environmental balance Ozon hole, water pollution because of factories, air pollution because of poured gases and danger of radiation are good examples for harming and destroying environment. On the hand problems grow bigger in number and size such as shortage of food, water problem which is thought to be one of the most Important problem in balancing and political struggle in the next decades since water sources decrease. Moreover, the shortage of sources which

Editorial

«Read in the name of your lord who creates, creates man from a clot, read for your lord is the most generous,{it is He} who teaches by means of the pen, teaches man what he does not know».

So it is a heavenly call for a mindful reading which leads to a mindful writing that gives a feeling of responsibility we, the staff of (Sada Al- Qur'an) bulletin, feel this responsibility. We do our best with all the strength that Almighty Allah inspires us to make it an active bulletin like other active Qur'anic bulletins on the way of the real Islamic fact.

It is worthy saying that the elite group of writers, professors and researchers are seriously working to spread the Qur'anic perception in the largest social section. In our days the nation is in need of protecting the original Islamic identity. For this reason, sada Al- Qur'an bulletin calls all the writers and researchers who care for the Holy Qur'an to come to it with their Qur'anic works to publish them in different Arab and Islamic countries exalting the word of Almighty Allah-And to avoid delaying issuing the bulletin, now we are putting double issue in front of our honorable readers containing articles of the third and fourth issues to cover the researches of the bulletin by the end of its first year.

We pray for Allah to support people of the Qur'an to serve it (the Qur'an) successfully and earnestly.

Editor- in – chief

Editorial

Sada Al-Qur'an … A call For reading .. A call For writing

Praise be to Allah lord of the worlds and peace be upon His messenger Abi Al-Qasim Muhammed, his pure progeny and auspicious companions.

We have quoted from Imam Hussein's (b.u.h.) saying "whoever recites a verse of the Book of Almighty Allah while performing his prayers, Allah will reward him one hundred good deeds for each single letter. If he recites without prayers, he will be rewarded ten good deeds for each letter. When he listens to the Qur'an, Allah will reward him a good deed for each letter, and if he finishes reciting the whole Qur'an at night, the angels will keep asking Allah to bless him till morning, and if he finishes it during day the memorizers of Qur'an will pray Allah to bless him till evening. Any of his invocation will be answered. There will be good for him along the distance between heaven and earth."

From the above text it might be understood that it is a call for reading only, but in fact it should be a mindful one because its effect will not vanish soon after finishing. It will be translated to pondering then to behaviors that will lead to a faithful rank. All heavenly religions try to achieve that rank.

It is not strange to say that the Holy Qur'an started with ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.3 & 4 Second Year

Contents

8	"Development" in the Holy Qur'an (presentation and analysis)	85
9	Prophets in the Holy Qur'an	89
10	Environment as seen by the Holy Qur'an The Relationship between man and Environment in the Light of succession Theory	101
11	Poverty problems: Between actual life and possible solutions	111

Sada Al-Qur'an

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.3 & 4 Second Year

Contents

	Editorial	5
1	The abbreviated Letters in the Holy Qur'an, Educational Values and Miraculous Usage: A Reading in Sheikh Dr. Ahmed Al- Waili's Ideology	7
2	Ahlul-Bayt in the verse of Mubaheleh (Pleading/cursing)	15
3	Dialogue and Dispute in the Holy Qur'an	29
4	Purifying soul in the Holy Qur'an	45
5	The Humane Qur'anic Discourse with the (other) peer	51
6	Linguistic approach to jurisprudence in the Holy Qur'an	69
7	The Earth is an Astronomic sphere as seen by the Holy Qur'an	75

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.3 & 4 Second Year

Editorial

Editorial Staff
Mohammed Jafar Al-Ardi Dr.
Hayder Abdul Zahra Dr.
Faleh Hussien Al-Asadi Dr.
Intisar Radi Elewi Dr.

General Supervision
His Eminence
The General Secretary of the
Hussaini Holy Shrine Foundation
(Al-Ataba Al-Hussainiya)

Language Correction
Abdul Hasan Al-Abudi Dr.

Executive Manager
Sheikh Hasan Al-Mansouri
In charge of Darul
Qur'an Al-Kareem in the
Hussaiani Holy Shrine Foundation

Translation
Saad Sharif Taher

Editor in Chief
Adil Natheer Bayri Dr.

General Relations
and Coordinations
Ammar Razaq Al-Khuzaii

Editorial Manager
Ahmad Sabeeh Al-Ka'abi Dr.

Design
Mohammed Taher Almosawi

Editorial Secretary
Jafar Hasan Ali

Advisory Board

Sayid Fadhil Al-Jabiri
Talal Al-Kamali
Abood Judi Al-Hilli Dr.
Zayn Al-Abidin Mosa Jafar Dr.

www.dar-alquran.org sadaalquran1@gmail.com

Sada Al-Qur'an

3 4

A Quarterly Cultural and Qur'anic Magazine

No.3 & 4 First Year 2013-1434

- The abbreviated Letters in the Holy Qur'an
- Ahlul-Bayt in the verse of Mubaheleh
- Dialogue and Dispute inthe Holy Qur'an
- Purifying soul in the Holy Qur'an
- The Humane Qur'anic Discourse with the(other) peer
- Linguistic approach to jurisprudence in the Holy Qur'an
- The Earth is an Astronomic Ball as seen by the Holy Qur'an
- Development" in" the Holy Qur'an (presentation and) analysis
- Prophets in the Holy Qur'an
- Environment as seen by the Holy Qur'an
- Poverty problems، Between actual life and possible solutions
- Who is Hasan Shahatah?

Issued by Dar Al-Qur'an Al-Kareem
in the Hussaini Holy Shrine (Ataba) Foundation